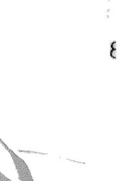
٣

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

طيبة أحمد الابراهيم

انقراض الرجل



سلسلة جديدة

أدبيات ٣

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

إنقراض الرجل

تأليف

طيبة أحمد الابراهيم



أدبيات

●

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

●

من: أدب ، وقصة ، ورواية ، ودراسة ، وسير ، وبحوث ، وفكر ، ونقد ، وشعر ، وبلاغة ، وعلوم ، وتراث ، ولغات ، وقضايا ، وتاريخ ، واجتماع ، وعلم نفس ، ورحلات ، وسياسة الخ .

●

تحت إشراف ومراجعة

لجنة القراءات

بالمؤسسة العربية الحديثة

●

شعار السلسلة

نحن نخرج لك أحسن الكتب

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقي الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري بروكسي مصر الجديدة ـ القاهرة . ت ٨٢٦٢٨٠ ـ ٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ ج.م.ع .

دفنا والدتى صباح أمس الباكر . وهى لا تزال شابة فى مقياس الزمن الذى نعيشه ، كما تصفه هى ، ومن هم فى مثل سنها .. زمن الحضارة ، التى لم يكن لنا - نحن المحدثين - نصيب من التمتع بها .

لقد بلغت والدتى الخامسة والسبعين من عمرها ، قبل أيام من وفاتها . ولكن الظروف التى عايشتها منذ تركت موطنها ، وأموالها وفندقها العتيد . وكل أسباب العيش المرفه ، والتجأت إلى هذه الجبال تلوذ بها داخل المغارات ، مع شرائم من بنى جلدتها ، الناجين من براثن (الإنسان المتعدد) . جعلتها فى اعتلال صحة بدنية ونفسية ، ويأس شديد ، مما عجل نهايتها .. على العكس منّا نحن الشباب ، الذين ولدنا فى هذه البقاع ، داخل هذه المغارات الثلجية ، ونشأنا فيها نصارع الطبيعة والظروف . نرفل فى غمرة من السعادة وهناء الشباب .

حقًّا إننا لم نعرف ، ولم نجرب ، ما مرّ بمن هم فى مثل عمر والدتى ، من رفاهية فى العيش ، ويسر فى أمور الحياة . لا نعرف من ذلك كله إلا ما يرويه لنا كبار السن من قومنا . والذى إلى الآن يراودنى شعور بأن ما يروى ما هو إلا ضرب من القصص الخيالية ، البعيدة التحقيق . لولا مشاهداتى لبعض من آثار تلك الحضارة .. كهذه الآلة الصغيرة ، التى تدعوها والدتى بالمذياع . والتى أصابها الخرس منذ عدة أعوام . كانت والدتى رحمها الله

تحرص عليها حرصها على حياتها . ولكن رغم هذا الحرص الشديد توقفت عن بث أخبار الجانب الآخر من الحياة التى لا نعرفها .

كان خرس هذه الآلة أحزن والدتى حزنًا شديدًا ، ولم تترك وسيلة لإصلاحها إلا فعلتها . دون جدوى .

ولولا أيضًا مشاهداتى لتلك الأجسام الحديدية المحلقة . وسماع أزيزها الراعد ، عند مرورها تحت سماء مغارتنا بين الحين والآخر ، على فترات متباعدة جدًّا . والتى يدعونها كبار السن بالطائرات .

لولا هذه الآثار الحضارية لما صدقت أبدًا ، أن ثمة ما يدعى بالتلفاز الذى ينقل الصورة لمسافات كبيرة ، أو ما يدعى بالهاتف الذى يمكّن الانسان من التحدث عبر القارات .. أو أن هناك عربات تسير على أربع ، وغير ذلك من المعارف والعلوم التى لا أكاد أعرف لها حصرًا لكثرتها .

ليلة الأمس ، وأنا أقلب فى حاجياتها القليلة ، التى تركتها لنا ، أنا وشقيقتى وشقيقىّ الاثنين ، عثرت فيما بينها على مخطوطها الأثير . الذى كانت تحرص عليه ، وتوليه من عنايتها الشيء الكثير . وقد أوصتنى بأن أحافظ عليه ، حفاظى على حياتى . وألا أسلمه من بعدى إلا لمن يستطيع الحفاظ عليه .

كانت تقول : احفظيه للحقيقة والتاريخ .

لم أقرأه بعد . ولكنى أعرف مضمونه من وصفها الأحداث .. إنه قصة حياتها ، عندما كانت ترفل فى ثياب العز ، وتعيش الأبهة بكل مقوماتها . وكذلك يحوى ذلك الجزء من حياة خالى القصيرة . قبل أن يقتله (الإنسان المتعدد) ، وهو صبى لم يتجاوز السابعة عشرة من العمر .. لقد كانت والدتى تحبه حبًا جمًا . وكان من تأثير

ذلك الحب عليها ، أنها تزوجت برجل يصغرها بعدة أعوام . الذى هو أبى .

كانت تقول لى : « إن حداثة سن أبيك أحد أسباب تعلقى به . إنه يذكرنى بخالك » .

وقد أفرطت فى حنانها على أبى ، وكأنها تغدق ذلك الحنان على أخيها الصغير .

يا لأمى المسكينة ، لكم عانت فى حياتها .. ومع أننا عشنا معها نفس الظروف ، التى عاشتها ، بل هى أنجبتنا فى هذه البقاع الموحشة ، كما تسميها . ولكننا لا نرى رأيها فى هذه التسمية . ربما مردّ ذلك إلى أننا لم نشعر بالفارق ، كما شعرت به هى .. نعم ربما لأننا لم نجرب العيش الهنى كما تصفه . ويصفه كبار السن ، الذين جربوا العيش معها ، داخل المدن ، قبل أن يحتلها بالكامل ذلك (الإنسان المتعدد) . فيضطروا إلى الهرب من بطشه إلى هنا .

أذكر وأنا طفلة ، لا أزال فى نحو الخامسة ، كنت مع أترابى نعيش حالة من الرعب الحقيقى ، نقله لنا الكبار بالتأثير ، دون أن نعرف له تعليلًا آنذاك .. كان مشهد الآلة الكبيرة المرعدة ، وهى تمر بالسماء . تجعلنا نحن الصغار ، ننطلق بأقصى سرعة ، بأرجلنا الدقيقة العارية نختبئ فى المغارات ومن ورائنا صيحات الكبار الهلعة تحثنا .

الطائرة .. الطائرة .. اختبئوا .. اختبئوا ..

ونختبئ داخل أقرب المغارات والكهوف إلينا . ومعنا الكبار ، الذين كانت أ ناتهم تصطك من الرعب أشد مما تفعله أسناننا اللبنية اللينة .

يا له من مشهد مرعب ، منظر الخوف ، يعلو وجوه الكبار ، والمفترض فيهم أنهم حماتنا .

كنت فاقدة للثقة ، فى كل رجالاتنا ونسائنا . فمنظر وجوههم الخائفة هزّ احترامى لمقدرتهم علي حمايتنا . ولذا فاول سماعى لأزيز ما يدعونه بالطائرة . أو أى أزيز آخر ، حتى لو كان لطائر مغرّد بصوت أجش ، أشبه به . أكون أول المهرولين للاختباء ، معتمدة على نفسى فى حماية نفسى . ولم أكن أدرك آنذاك ، أن اكتشاف أى امرئ منًا ، يودى بنا كلنا . كنت أظن بعقلى الطفولى ، أن مجرد دخولى المغارة والاختباء عن الأنظار ينجينى ، من ذلك الخطر الداهم ، الذى لا أعرف مصدره .

لست أدرى ، حتى بعد أن كبرت ، لماذا اختارتنى والدتى ، دون أشقائى الثلاثة ، لتعهد إلىّ بمخطوطها ، وتجعلنى أقسم قسمًا مقدسًا بألا أفرط فيه .

كانت تقول « إنك تشبهيننى .. فأنت مولعة بالقراءة والكتابة مثلى . ولك من الذكاء ما يكفى للاعتماد عليك فى حفظه » .

فى الحقيقة لست أريد أن أبخس إخوتى قدرهم .. لربما يكونون أكثر ذكاءً منى وأسرع فهمًا . ولكن لم تتح لهم فرصة التعلم ، فى ظروفنا الصعبة فى بدء نزوح والدىّ مع قومهم إلى هذا المكان النائى ، البعيد عن كل عمران ، واشتداد الحاجة إلى الأيدى العاملة ، لترويض الحياة ها هنا . وجعلها تلائم الظروف الجديدة .

ولكون إخوتى أكبر منى سنًا ، بحيث أكاد أغدو فى سن الابنة لصغراهم التى هى أختى الوحيدة .

وكان تعلم القراءة والكتابة نوعًا من الترف ، فى تلك الأيام الحالكة . لذا لم يكن فى قدرة والدىّ توفير هذا العلم لهم .. ولكون

مجيئى فى الآخر ، بعد تسعة من الأبناء . وكان إخوتى الثلاثة هم أول السلسلة التى أكون آخر حلقة فيها .. أى أننى بعد أن أصبح فى ميسور قومى ترويض البيئة وتطويعها نوعًا ما . وأصبح فى مقدور والدتى الاعتماد على إخوتى ، وقد كبروا ، فى مساعدة والدى . لتهرب هى من آلامها ، بتدوين قصة حياتها . وإشغال نفسها فيما يتوفر لها من الوقت بتعليمى القراءة والكتابة .

وكانت وسيلتنا لذلك تتم بالخط على الرمال الناعمة توفيرًا للمادة الورقية . التى تشح من بين أيدينا يومًا بعد يوم . فكنا نقضى معًا الساعات الطوال نخط ونمحو على تلك الرمال .

من البداهة أننا لا نستعمل المادة الورقية فى حياتنا ، بعد عزلتنا تلك ، لنوع الحياة البسيطة التى نعيشها ، ولحاجتنا إلى بعضنا ، التى تدعونا إلى التكاتف الشديد ، للتغلب على المصاعب . لذا كانت الكلمة بين بنى قومى تعوض عن الاتفاق المكتوب .. إلا أن عدم وجود مصدر لإمدادنا بالورق ، يجعل أى نقص بهذه المادة مهددًا بانقراضها ، من بين أيدينا .

كان أعداد القارئين عندنا الذين هم من جيلى قليلون جدًا . أما أكثر القارئين فقد كانوا من الأجيال السابقة للمحنة التى حلت بالإنسان الطبيعى . وهم من مثل سن أمى وأبى ، ومآلهم إلى الانقراض . أما جيل الوسط من أمثال إخوتى ، فالأمية متفشية بينهم تفشيًا مطلقًا ، وعلى أكتافهم بنينا مجتمعنا الجديد .

كان لا يزيد عددنا على خمسين شابًا وشابة ممن يجيدون القراءة ، وكانت الوسيلة إلى تعلمها مسطحات الرمال الناعمة كما ذكرت ، ولكن لا أحد كان يجيد الكتابة كما أجيدها أنا .

وكانت الكتب التى نتداولها لنقرأها قليلة جدًا ، لا يزيد عددها

على خمسين ومائة كتابًا ، معظمها كتب أدبية ، كانت بأيدى النساء ، أثناء عملية الهروب قبل خمسين عامًا . أما الرجال فقد كانوا معنيين ، حين ذاك ، بحمل أدوات الحراثة والزراعة ، وأكياس البذور ، والأغطية وما أشبه .

وكانت والدتى الوحيدة التى اهتمت بحمل ذلك المذياع العتيد ، مع بعض من القرطاسية والأقلام . إضافة إلى ما جمعته من بين أيادى قومها ، ورقة ورقة ، كى تكتب عليها قصة حياتها ، وما مرّ بها من أهوال . وقد تبقى لدى القليل منه بعد وفاتها . وها أنا بحرص شديد ، بدأت أدون عليه ملاحظاتى عن حياتها .

ويا لخوفى من أن ينفذ هذا القليل ، قبل أن أدون ما يستجد ، مما قد تأتى به الأيام .

إن ما أكتبه تسلية لى ، ولأبناء جيلى ممن يجيدون القراءة .. إنهم فى كل يوم يصطفون تباعًا لمناوبة قراءته .. لكم يسعدنى ما يفعلون .. لو كان الوضع كما تصف والدتى ، من موجودات الآلات التى تصف الحروف وتطبعها ، ووفرة الورق وجودته . إذن لأصبحت من المبرزين . ولأصبحت فى العالم أجمع كأولئك العباقرة التى تحكى عنهم والدتى . أمثال العالم (سانو) ، مهندس الجينات الذى ابتدع البويضة الصناعية الخالية من النواة . وقدمها هدية إلى (الإنسان المتعدد) ، كى ينتشل النساء الطبيعيات من قبضته . أو المهندس عالم الفيزياء الاليكترونية (أبو السعود) الذى زاوج بين إلكترونيت الجسم الحى مع الإلكترونيات المصنعة . والذى راح ضحية (الإنسان المتعدد) ، بسبب خوف هذا الأخير منه ، دون أدنى تقدير لعلم هذا العالم . أو الروائى (أحمد) ، الذى كتب عن (الإنسان المتعدد) ، فوضع نفسية ذلك المسخ تحت مبضع قلمه ، فشرحها ، وكشف قاعها ، وتنبأ له

بنهاية ، الله وحده يعلم ، ما إذا كان سيستجيب إلى أمانينا ، فيحققها .

ولولا النسخة الفريدة من تلك الرواية ، التى جاءت بها امرأة من قومنا ، كانت بيدها ، أثناء النزوح الكبير ، لما عرف عن هذا الأديب الفذ شيئًا ، بعد أن أحرق (الإنسان المتعدد) كل نتاجه .

نعم لكنت بززت هؤلاء جميعًا ، لو أن الظروف أتيحت لى كما أتيحت لهم .

هكذا كانت تردد والدتى .. ربما دعاها إلى هذا القول شدة إعجابها بى ، هذا الإعجاب الذى لا يخلو من تحيز الأم إلى ابنتها .

ولكن المهم أننى صدقته . بل ولا زالت أصدقه .

يا للسخرية ، أى طموح هذا الذى يراودنى ، إننى أشبه بحبة فول منقوعة فى كأس ماء .. مهما انتفخت ، أو أزدهرت ، لن يتعدى حجمها حدود الكأس .

هذا هو العالم الذى أطمح لأن أبرز به .. إنه لا يعدو كونه هذه البقعة التى نعيش بها .. أما ما عداه فهو الخواء .. نعم لم يتبق إلا الخواء ، بعد أن دمر (الإنسان المتعدد) كل عناصر البشرية الطبيعية ، وساد العالم بمفرداته . أو بأجزائه .. لم يتبق ثمة عالم آخر ، كما تدل الأحداث التى عاصرتها والدتى ، سوى نحن .

إن التفكير بهذا يجرنى إلى تساؤل ، لا أظن أنى واجدة إجابة عليه ..

ترى ماذا يحدث هناك من متغيرات ..؟

لو لم تعطل مذياع والدتى . لكنا عرفنا كل شىء .. لقد فقدنا أهم حلقات تجمعنا ، بعد أن توقف ذلك المذياع عن البث ، بعد خدمة طالت قرابة العشرين عامًا .

كانت والدتى تشكره لخدمته الطويلة ، ولولا شدة عنايتها به ، كما تقول ، لما استمر كل هذه المدة .. إنى أذكر قبل عشرة أعوام تقريبًا .. ووالدتى تجلس القرفصاء أمام كهفنا ، فى مساء أحد أيام الصيف ، وهى تمسك بالمذياع بين أناملها بحرص شديد ، يتحلق حولنا جمع من كبار السن لسماع أخبار الطرف الآخر من الأرض ، كما يدعونها .

إنهم فى لهفة محمومة دومًا ، لسماع هذه الأخبار . يأخذون بعدها فى تفسير كل كلمة قيلت ، وكل نغمة تغيرت ، ويشملهم الحوار والنقاش حتى ينسوا أنفسهم أحيانًا .

كانت الأخبار التى ترد عبر المذياع المهترئ - وهى ليست أخبارًا بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة - ولكن أهم ما كان يستجلب انتباه قومى ، ما كان يتراءى لهم ، أن ثمة أوجه خلاف حاد ناشب بين (الرجل المتعدد) و (زوجته العديدة) .. بيد أنه لا أحد منهم استطاع التكهن بصدد ماذا كان هذا الخلاف . أو معرفة سبب نشوبه ، وهذا الجهل لم يكن ليقلل من الغبطة التى تعلو الوجوه . أو يقلل من السرور الذى يفعم أفئدة عجائزنا وشيوخنا .

نحن الشباب فقط ، الذين لم نكن نهتم كثيرًا بما اهتموا به فـ(الإنسان المتعدد) لا يشكل ثمة إغراء لنا لمعرفته عن كثب ، ولولا الخوف الذى توارثناه عن آبائنا لتمنينا له العيش كما يرغب ، ولنعش نحن كما نريد . ولكن شيوخنا لا يسلمون بذلك أبدًا ، فهو الخطر الداهم بعينه ، المسلط عليهم دومًا ، والذى لن يهدأ لهم بال إلا فى القضاء عليه .. ومن ثم استئناف حياتهم الماضية كما عاشوها قبل خمسين عامًا . عندما كانت الأرض تزدهر بتعدادهم الوفير . قبل انقراض غالبيتهم .

إن والدتى تقول ، إن الإنسان الطبيعى كان يعمر كل جوانب الأرض . وأن تعداده لا يقل عن أربعة مليار فرد . وأن كم العلوم ، يعجز الإنسان بعمره عن الإلمام به .. وتأخذ فى سرد ما تتفتق عنه ذاكرتها من عجائب وغرائب .

يالها من حياة غريبة تلك التى عاشتها .. إنها أشبه بالخيال ، بل إن بعض ما فيها يعز على خيالى تصوره .

إننى كاتبة واقعية ، أكتب ما يدور حولى .

ولكن قد تكون والدتي من ذوات المواهب الخيالية .

كثيرًا ما يراودنى هذا الظن ، لولا أن الجميع من شيوخنا يؤيدونها فيما ترويه من أحداث سابقة مرت فى تلك الحقبة الماضية من عمرها .

نعم ، لولا ذلك الاجماع منهم لم أصدق حرفًا مما يذكر لشدة غرابته ، على الواقع الذى نعيشه .

كانت والدتى تحكى لى ، عن التعدد البشرى الكثيف ، للإنسان الطبيعى .. وكيف كان يتخوف من الانفجار السكانى لأهل الأرض .. وكيف جابوا الفضاء تحسبًا للمستقبل .. ثم دون انتباه ، أو توقع ، حوصر الإنسان الطبيعى فى كل مسالك حياته ، إلى أن أصبح تدميره سهلًا . ثم صرنا إلى ما نحن عليه ، لا يعدو تعدادنا المئات .

وحكت لى أيضًا ، طبيعة العيش الهنى . فوصفت لى القصور الشامخة والبنايات التى تناطح السحاب ، وآلات دقيقة ، ومعدات كبيرة ، وخدم لخدمة المميزين من الناس ، وخدم آليين .. ورؤساء ومرؤوسين ، وتنظيمات وقوانين ، تشمل كل صغيرة وكبيرة من

أمور الحياة . من نظم دينية واجتماعية ، وأعراف وتقاليد ، وأشياء أخرى أعجز عن حصرها ، بل وعن تذكرها بحذافيرها .

كنت أقعد القرفصاء ، إلى جانبها أمام باب مغارتنا ، أو على أحد التلال القريبة . ضامة ركبتى بين ذراعى ، ومسندة ذقنى عليهما ، مصغية تمامًا . وهى تروى ، وتروى ، دون كلل . وكأنها تجد سعادتها فيما تجتره من ذكريات .

كانت روحها مع ما مضى من أيامها . وجسدها فقط ما يتعايش معنا .

أتخيل أحيانًا حياة والدتى ، كشريط يمر أمامى ، وإلى جانبه شريط آخر ، للحياة التى أعيشها ، بقلة كثافتها ، وببساطتها . فاستغرب كيف كان فى ميسور والدتى معايشة كل ذلك الخضم من التعقيدات ، المكانية والبشرية ، وهى محشورة فيه بينهما .

وعندما يشت خيالى ، فلا أسمع بقية ما تتحدث به ، لا أسترجعه منها ، كى لا أغضبها ، لعدم إصغائى ، ولعلمى بأنه سيعاد على مسامعى ، فى مرة قادمة . وهى تسترجع الذكريات كعادتها .

مسكينة والدتى .. ها هى رحلت ، وهى تعرف أن ذهابها إلى غير أوبة .. بل هى تشعر بالسعادة لوجود بداية ونهاية للحياة البشرية . كما أرادها خالق هذا الكون ، لذا لم تتمن قط توأمة نفسها طلبًا للخلود .

إن فكر والدتى وفلسفتها فى الحياة غريبة ، ومختلفة عما نعهده من حب البشر للبقاء واستمرارية الحياة . ربما أوجد هذه الفلسفة ، وعمقها لديها ، تلك المعاناة التى سحقتها ، نتيجة لخلود (الإنسان المتعدد) ، الذى لا يرتضى مزاحمة وجوده ، بوجود آخر على الأرض .. ربما .. لست أدرى .



منذ ما يقارب الشهرين ، أشعر بفراغ قاتل ، بعد وفاة والدتى .. فى كثير من الأحيان أصاب بالملل والغثيان . لكم كانت رحمها الله تشغلنى بمعاناتها ، وذكرياتها الزاخرة .

كل يوم أهم بفتح مخطوطها ، ولكنى أحجم .. ماذا ترانى سأجد ؟. غير ما ذكرته مرارًا وتكرارًا .

كنت أعرف مسبقًا كل ما فيه ، رغم أننى لم أقرأه .

لم أجد حافزًا من الفضول ، خبأت المخطوط مرة أخرى . واتجهت ناحية الغابة ، لعلى أرى ذلك الشاب الوسيم ، الذى التقيت به يوم أمس ، لقد ندمت أشد الندم ، أننى لم أشدد بالوعد إلى لقياه ، برغم تمسكه بذلك الوعد .

إنى ارتاد تلك الغابة منذ نعومة أظفارى .. قط .. لم أشاهد أحدًا يمر ، أو يلوذ بها .

كثيرًا ما كنت آتى إليها بصحبة والدتى فى صحتها ، لقد كنا نجد بها عزًا كبيرًا ، وراحة وسكينة . إضافة إلى ميزة الاستحمام فى مياهها العذبة ، المنحدرة من صخورها الشاهقة ، عند ذوبان الثلوج فى القمم أيام الصيف .

كنا ندعوها بالغابة مجازًا ، وتحببًا بها ، حيث لا توجد شجرة واحدة بها .. فبدلًا من الأشجار الشامخة التى تكون فى الغابة عادة ، تقوم الصخور مقامها ، فى انتصاب سامق ، تحيط بالهضاب الوعرة المنحدرة والوديان السحيقة الغور .

يخيل لى أن قدم إنسان لم تطرقها قبلنا ، لشدة وعورة مسالكها . وتستحق فعلًا اللقب الذى أطلقناه عليها ، لوقوف صخورها ، كقامات الأشجار الضخمة . ملقية ظلالًا كثيفة ، وممرات ضيقة مظلمة .

ومع ذلك فإننى أعرف كل دروبها ومسالكها ، بطريقة تجعلنى مهما توغلت بها أعرف كيف أعود أدراجى إلى بقعتى .

بقعتنا أيضًا لا تقل عنها وعورة مسالك ، وظلال كثيفة . يميزها فقط تلك الكهوف التى نسكنها ، وتلك المساحات الضيقة من الأرض المتربة بين الصخور ، التى بذلنا جهدنا فى استصلاحها وزراعتها .

هناك فى تلك الغابة المجازية شاهدته .. شاهدت (على) أول مرة ، كم كانت ملابسه نظيفة وأنيقة .. ووجهه مشربًا بالحمرة . إنه موفور الصحة .

وفرح بى ، أول ما لقينى . كأنى هبة نزلت عليه من السماء .

جفلت منه أول الأمر .. خشيت أن يكون أحد نسخ (الإنسان المتعدد) ، التى تتحدث عنهم والدتى .

سألته : من أين جاء ، إلى هذه البقعة ؟..

قال : إنه هارب ..

فقلت بسرعة :

هارب ممن ؟.. أمن (الإنسان المتعدد) ؟.

فرد بإيجاز : نعم ..

فقلت له .. إننا أيضًا هاربون منه ، منذ خمسين عامًا ..

انتبه جيدًا .. وتساءل : هاربون ؟.. كم عددكم ؟..

أجبت :

قرابة الألف ، ما بين رجل وامرأة وطفل .. لم يزد عددنا منذ

خمسين عامًا ، لسوء الظروف التى نعيشها .. لا تكاد تغطى الزيادة فى المواليد ما يفقد بالموت ، من كبار السن ومن المواليد أيضًا .. جيد أننا حافظنا على تعدادنا ، دون نقص ، كما تقول والدتى .

فطنت بينى وبين نفسى ، مستغربة .. كيف يهرب متأخرًا .. إنه يماثلنى سنًا تقريبًا .. جهرت :

ـ غريب أنك ولدت وعشت كل هذه المدة بينهم .. كيف لم يقضوا عليك ؟..

فهم ما يدور بذهنى . فرد :

ـ كنت ووالدتى نعيش فى ركن منزو ، مهجور ، فى أحد مدنه غير الحافلة به .. ومع ذلك كنا نعيش فى رعب وخوف دائمين ، لا نخرج من مكمننا إلا عند حلول الظلام . عندما تهمد حركة (الإنسان المتعدد) ، وذلك فقط لسرقة الطعام ، من المزارع ، أو ما نحتاجه من المخازن .. وكما تعلمين أن أماكن تجمعه لا تقفل ، قفلًا محكمًا . لأن ليس ثمة ما يخيفه ، بعد أن ظن أنه قضى على كل إنسان عداه .. ولكن فى النهاية اصطادوا والدتى ، فقتلت ، فلم يعد لى بد من الهرب .. وقد جاءت بى الصدفة إلى هنا .. ربما خيرًا لى كى نلتقى .

فعدت ألحّ بالسؤال :

ـ كيف تيسر لك الوصول إلى هنا .. والمكان بعيد عن كل عمران ؟..

فقال متململًا :

ـ كما تيسر لكم .. أحيانًا سيرًا على الأقدام ، فى الطرق غير المطروقة .. وأخرى أسرق عربة . إذا كنت بعيدًا عن المدن ..

وبمجرد مروری بأحداها أتركها .. وآخر عربة كنت أقلها تركتها بعيدًا لعدم قدرتها على السير بعد أن نفد الوقود منها .

إنه يصف لی أشياء ، مفترضًا أنی أعرفها فقد قال فی بدء حديثه (وكما تعلمين أن الإنسان المتعدد لا يقفل مخازنه قفلًا محكمًا) .. وأنا لا أعلم .. والآن يصف طريقة سيره بالعربة . ولكنی لم أنبهه إلى جهلی بهذه الأمور . بل قلت أسرى عنه :

- هل تحتاج إلى طعام ..لابد أنك جائع .. تعال معی إلى قومی سيرحبون بك .

فقال :

- نفد ما جلبته معی من طعام .. ولكن إذا أردت مساعدتی فاجلبی الطعام إلى هنا .. لا أريد أن أرى أحدًا بعد الآن .. إنی أشعر بألم بالغ لدى مشاهدتی جمعًا من الناس .

وانخرط يبكی ، فجأة .

تحيرت .. لابد أنه مصاب بمرض الاكتئاب النفسی للضغوط الواقعة عليه من شدة خوفه من (الإنسان المتعدد) . وبعد حبسه لنفسه مع والدته طيلة عمره الذی مضى . لقد وصفت لی والدتی هذه الأنواع من الأمراض . التی يصاب بها أهل المدن .

فقلت له :

- يجب ألا تخاف من قومی .. إنهم ليسوا كالإنسان المتعدد .. بل هم يكرهونه بشدة .. ولو تمكنوا من أحد منه لما ترددوا فی قتله .. وكذلك هو أيضًا لو رأى أحدًا منا ، لازدرده حيًا .

فازداد بكاؤه .. وقال متوسلًا :

ـ أرجوك لا تحاولى الضغط عليّ.. دعيني أقرر أمر انضمامى إليكم بمحض إرادتى .. أرجوك مرة أخرى ألا تذكرى أمرى لأى إنسان آخر عداك ، كي لا يحضر لرؤيتى ، قبل أن أقرر أنا .. يكفينى أنت .. يكفينى أنت فى هذه الدنيا الواسعة .

وركع تحت قدمى ، متوسلًا .. فربت على شعره . وقد أحزننى أشد الحزن مرضه النفسى .

فقلت مطمئنة له :

ـ لا تخف .. أعدك أنى لن أذكر شيئًا عنك لأى مخلوق .. أقسم لك بروح أمى .. وأنه لقسم مقدسٌ لدى ، لو تعلم .. سوف أقوم بتهريب الطعام كل يوم .. كفكف دمعك الآن .

بان الانشراح على وجه الشاب . وهم بمسح دمعه ، مستخرجًا ورقة رقيقة ناعمة ، مخبأة فى صدار الزى الذى كان يرتديه .

عندما شاهدت ذلك المنديل الورقى الناعم صرخت فرحة .

كلا .. كلا .. إنها ورقة .. لا تدمرها .. إنى احتاجها .. دعها لى .. أرجوك .

فزع مبدأ الأمر ، من صرختى .. ولكن بمجرد أن فهم ما أعنى . ناولنى إياها ، ومسح دمعه بظاهر يده .. ثم استخرج أربع وريقات مماثلة ، تكاد تمزقها لمسة يدى .. كانت كل ما معه .

تساءل :

لم ، أنت محتاجة إليها بشدة هكذا ؟ ..

أجبت :

ـ ألا تعلم .. أننا معزولون فى هذه البقعة عن العالم ؟ إننا

فى حاجة إلى كل شىء .. آه .. أنت لا تعرف شيئًا بعد .. لقد أتيت من عالم متحضر .

نظرت إلى ثيابه .. وإلى الحذاء ، الذى ينتعله ، وقلت مستغربة :

ـ كيف ، لم يبْلَ حذاؤك ، أثناء السير ؟..

تردد لحظة ، ثم قال خجلًا :

ـ كنت أسير حافى القدمين فى الأوقات التى أترك بها العربة .. مثلك الآن ، حفاظًا عليه .. حتى وصلت إلى هنا ، فاغتسلت من هذه المياه وارتديته .

وأشار إلى المياه المنحدرة من إحدى الصخور .

أخذ يدقق النظر إلىّ .. فوضعت يدى على جلد النمر الذى أرتديه .. والذى لا يكاد يستر منى سوى المنطقة المحصورة بين أسفل الكتفين ، وأعلى الركبتين . وقلت :

ـ هذا ما ارتديه طيلة الباقى لى من العمر .. إن لم يسعفنى الحظ بثوب آخر ، من جلد حيوان يصطاده أحد إخوتى .. أما أبى فإنه طاعن فى السن .. وقد قرب أجله . هو الذى اصطاد صاحب هذا الجلد عندما كان شابًا . فى بدء نزوحنا .

فقال فى استغراب :

قرب أجله ..؟.. آه .. قرب أجله ..

عندما نظرت إليه ، استحثه على الحديث . هزّ رأسه بعنف كأنه يطرد هاجسًا ألمَّ به .. وابتسم بصعوبة ، وهو يقول :

ـ إنك جميلة .. وأنت ترتدين هذا الثوب .. من أجمل نساء العالم .

فضحكت . وقلت مفاخرة :

ـ أنا لا أخجل من ثيابى .. إنها فخر مقاومتنا الظروف ، كما يقول والداى .

ثم أردفت .

ـ هل كنت تسير عاريًا أيضًا .. ثيابك فى منتهى الجدة ..؟..

فاحمر وجهه خجلًا ، ولم يرد .

فقلت لصرف ذهنه عن وقاحتى :

ـ والدتى رحمها الله ، تقول ، إنهم كانوا قديمًا يجرون مسابقة عالمية لمن هن أكثر جمالًا من النساء .. ويطلقون عليها ملكة الجمال .. هل سمعت بهذا ..؟..

فقال .. نعم والدتى تقول كذلك أيضًا .

فقلت . وقد طافت ببالى فكرة :

ـ أنت أتيت من البلاد التى يحتلها (الإنسان المتعدد) ، ولابد أن لديك وفرة من الأخبار عنه .. لقد تعطل المذياع لدينامنذ عدة أعوام . فانقطعت أخباره عنا .

ـ ألديكم جهاز حقًا .. أستطيع استصلاحه إذا أردت . أجلبيه لى .. إننى لا أعرف الكثير عن (الإنسان المتعدد) .. لأننا فى معزل عنه ، متخوفون دومًا .

فقلت مجادلة :

ـ حتمًا ستكون أقرب إلى العلم به .. انظر إلى لباسك ، من أين أتيت به .. أليس من مصانعه ..؟..

ـ آه .. حقًا .. من هذه الناحية .. حتمًا أعرف عنه أكثر مما تعرفون .

ـ ماذا تعرف عنه ..؟..

ـ إننى جائع ، ومجهد .. وأريد أن أنام .. سوف أقص عليك ما تريدين معرفته فى فترة لاحقة .. اذهبى الآن . ولا تخبرى أحدًا عنى برًا بقسمك .. ولكنك سوف تأتين إلى .. إننى لا أستطيع الاستغناء عنك .. إنك جميلة ، رقيقة ، حنونة .. إنك أفضل نساء العالم قاطبة .. تعالى .. تعالى ..

قال هذا ، وهو يدير ظهره منصرفًا .

وقفت مكانى مسمرة . أنظر إلى خطواته الرشيقة مبتعدة .. هممت بالجرى خلفه ، ولكنى فضلت العودة إلى قومى .. ربما هو محتاج إلى الراحة . فصرخت به ، وأنا أهم بالمسير :

سأعود غدًا بالطعام .. كن هنا ، فى مثل هذا الوقت ، أتسمع ؟..

التفت مبتسمًا . وهزَّ رأسه بالإيجاب . وهو ينظر إلى معصمه . وواصل السير .. لست أدرى إلى أين . ربما على غير هدى .

عدت إلى مغارتنا .. أو بيتنا كما ندعوها كلنا . كان إخوتى قد عادوا من الحقل . يتناولون ما أعدته أختى ، من طعام نيئ .

أيديهم متسخة ، معروقة . لم أفطن إلى ما هى عليه من قبل ، حتى قارنتها بذهنى بيدى ذلك الشاب الغريب .

عدت إليه فى هذا اليوم . وفى يدى قطعة من لحم عنز جبلى ، مدفون بالثلج . هذه الطريقة التى غالبًا ما نطهو بها طعامنا ، لعدم توفر الوقود .. هذه القطعة هى نصف حصتى من الطعام .

سرَّ بى سرورًا لا يوصف ، بمجرد ما أن لقينى .. مددت له يدى بقطعة اللحم . فأمسك بيدى يقبلها . قبل أن يلتقط القطعة .. ظننت أنه لشدة فرحته بالطعام . أظهر كل هذه البهجة .. ولكنه لم يتذوقها .. قلبها بين يديه طويلًا .. ثم قال :

ـ سوف أرجئ التهامها إلى المساء .. الليل طويل ، وقارس . وهذا يشعرنى بالجوع أكثر .

وظل ممسكًا بها في يده ، وممسكًا بالأخرى ، بيدى ، دون أن ينبس .. وحاولت أن أهم بالحديث إليه .. قال فجأة :

ـ اذهبى .. وعودى لى غدًا .. لا تتركينى .

وانصرف ، تاركي واقفة ، حيرى ، لغرابة تصرفه .



أخذت كل يوم ، فى ساعة محددة ، أذهب إليه ، بنصف حصتى من الطعام . فأراه فى نفس البقعة ، التى التقيت به فيها أول مرة ، ينتظر بلهفة وشوق عارمين . يقبل يدى فى شبه تعبد .. ثم يسكت فترة قصيرة ، وينصرف بعدها سريعًا . كأنه يخاف شيئًا يطارده .. أو يتوقع مالا تحمد عقباه .

بعد مضى ما يقارب الأسبوعين ، على أول لقاء لنا . بدأ شيئًا فشيئًا يستكين لى .. فأخذ يجلس إلىّ ساعة ، أو يزيد . كما تدل ساعة معصمه ـ كان أبى يمتلك واحدة مثلها ، ولكنها أصبحت خردة . وكذلك ساعة والدتى توقفت عقاربها عن الدوران .

بعد أن تنتهى تلك الجلسة ، أعود إلى قومى . وقلبى مفعم بالسعادة .. لقد قضت صحبته على الملل فى داخلى . وانصرفت عنى بوادر الاكتئاب . وشغلنى التفكير فيه عن قراءة مخطوط والدتى .. أو أن أسطر ما يعن لى من أفكار . توقفت دنياى على دنياه . وانصب وجودى فى وجوده .

أصابنى هذا التحول سريعًا ، فلم يعد يهمنى ، أى شىء فى الحياة ، سوى لقياه ، فى الوقت الذى حددناه معًا . فى الوقت الذى التقينا فيه أول مرة .

كان طلبه منى أمر واجب التنفيذ . بمحض إرادتى ، دون إجبار منه .

استمر يطلب تكتم أمره عن قومى ، فطاوعته .

واستمر لا يجيب عن معظم أسئلتى ، التى لا تعجبه ، فلم ألح عليه .

هجرت لداتى ، وأصدقائى . حتى جارنا الشاب (ماريو) ، الذى كانت والدتى ترشحه زوجًا لى ، والذى كنت لا أرى ضيرًا فى ذلك . بل كنت أحلم به أحيانًا .. كرهت صحبته ، وأخذت اتجنب لقياه ، لقد بات فى نظرى أكثر سخفًا ، وذا عقل ضحل .. مما أثار تصرفى هذا حنق أبى وإخوتى .

ضحكت فى سري منهم جميعًا .. كيف يريدون منى الزواج من هذا الجار الجاهل . الذى لا تعدو معرفته الطريقة لبذر الحبوب وريها .. ولا يتحدث إلا عن جلب الماء بالجردل ، وعدد المرات التى روى بها الزرع .. أين هو من عقلية (على) السحرية .. إنه محيط بكل شىء علمًا .. إنه عبقرى ، ملم بكل صغيرة وكبيرة ، من أمور الحياة ، بالذكائه اللامع . لا يفوقه حتى عقلية والدتى على كثرة ما هى عليه من معرفة ودراية . والتى كنت أراها فيما مضى مثالى الأعظم فى الثقافة والعلم .

كنت أجلس إليه كالمصعوقة ، وهو يحدثنى عن أخبار الأولين والآخرين ، ويقص علىّ التاريخ البشرى ، وتاريخ العلوم ، والفلك والطب ، والهندسة ، وعلم الوراثة والمعمار ، والاقتصاد والسياسة .. كل شىء .. دون حصر .. علوم سمعت بها .. وعلوم لم يخطر ببالى تمثلها .

بدا لى ، وكأن دماغه مخزن فائض بالمعارف والعلوم .

شىء واحد يتحاشى ذكره .. إنه (الإنسان المتعدد) .. يصبح عصبى المزاج عندما تتطرق أسئلتى إليه .

فهمت أنه يكره هذا الإنسان الشائه ، كما تدعوه أختى وأمى ، أكثر من كراهيتهما له.. أخبرته بذلك . قلت له :

ماذا يهمنا ، نحن من (الإنسان المتعدد) .. لولا شيوخنا الذين يلحون علينا دومًا بكراهيته ، وتخويفنا منه ، لما عرفنا عنه شيئًا .

ثم لم أعد للتحدث عنه .

قلت له يومًا :

ـ ثيابك تكاد تبلى ، لم لا تصطاد بعض الحيوانات ، لأعمل لك رداء ، قبل مجىء الشتاء . إن هذه الثياب لن تقيك البرد .. ثم إنه يجب أن تكون لك مغارة تحتمى بها من برد الشتاء ، وهجوم الحيوانات . فرد بإيجاز ، كعادته إن لم يرق له الحديث :

ـ لا تهتمى بهذا الأمر .. سوف أتدبر كل شىء .. ما عليك إلا أن تأتى إلى هنا . وهذا ما أحتاج إليه منك فى الوقت الحاضر .

ـ في الوقت الحاضر ؟.. ماذا بعد الوقت الحاضر .. هل لديك ما تكلفنى به ؟.. إننى لعلى استعداد تام .

فقال مربتًا على كتفى :

ـ كل يوم هو حاضر .. وهذا ما أحتاج إليه منك .

لم أفهم .. ولكنى صمت كعادتى كى لا أغضبه .. إنه الأقوى دومًا . يفحمنى بكلمة واحدة ، أو جملة مختصرة ، يسلبنى كل حججى ومنطقى .

سألنى ، فجأة :

ـ هل تتزوجيننى ..؟..

أحسست قلبى يهبط ، بشدة إلى أسفل ضلوعى ، وجف ريقى ، فلم أستطع الرد .. إنه يحتاج إلى أكثر مما أنا محتاجة إليه . ولكن سلطانه علىّ لا يقاوم .

عندما رأى خرسى ، ضمنى إليه بشدة قائلًا :

ـ إذن ، أنت تحبيننى .. سوف نقيم حفلًا لزفافنا ، بسيطًا ، يشملنا نحن الاثنين .. وشاهدنا الرب .

وجدت لسانى أخيرًا . فقلت معترضة :

ولكن يجب إخبار والدىّ ، وإخوتى ، وقومى ..

فجفل منتفضًا بعنف . وانبرى قائلًا :

كلا .. كلا .. لنؤجل موضوع الزواج إذن ..

فقلت : إلى متى ؟..

رد بانزعاج ظاهر .. لا أدرى ..

ونهض مغادرًا ، المكان ، غاضبًا .

تحيرت . وبقيت فى مكانى مدة طويلة .. ماذا أزعجه منى ؟ لماذا يكره الناس إلى هذا الحد .. ليتنى أعرف طرق الطب النفسى . كى أعالجه .. مسكين .. طول الاختباء ، والابتعاد عن الناس ، أثر على صحته النفسية .. إنه لم يعتد إلا على صحبة والدته .. وهو الآن متعلق بى عوضًا عنها .

عندما عدت فى المساء إلى قومى . كانوا فى أشد القلق علىّ ، خاصة أختى المسكينة ، التى كانت تستحثهم للبحث عنى .

بادرتنى غاضبة :

أين كنت .. ألم تعرفى شدة القلق الذى سببته لنا ؟ توقعنا وحشًا افترسك . أو هاوية ترديت بها .

رغم ما تشعر به أختى من حنان تجاهى ، إذ تعتبرنى ابنة لها مع أولادها الصبيان .. إلا أنها غالبًا لا تستطيع السيطرة على لسانها السليط .. فتشتمنى بألفاظ قاسية . ودعت على بالموت العاجل لكى ترتاح من رعايتى .

ثم لم تلبث إلا بعضًا من برهة . حتى سألتنى فى حنو بالغ : هل أنت جائعة ؟.. ذاك نصيبك من الطعام .. تناولى عشاءك .

وأشارت إلى حفنة من الحبوب المنقوعة فى حجر مقعر .

انتهزت لحظة الحنو تلك فقلت :

لقد نمت على الهضبة .. ولم أفق سوى الآن .. إنى حقًا جائعة ، ولكن قبل تناولى العشاء سوف أقص عليك شيئًا غريبًا .. إذا أقسمت بألّا تبوحى به لأحد .. أتقسمين ..؟..

ـ دعينى أعرف هذا الشىء أولًا ..

ـ عدينى .. عدينى ..

ـ أعدك ..

توقفت لحظة ، وأختى تنظر إلىّ . منتظرة .. إننى أقسمت له ، بعدم البوح قسما مقدسًا لدى . ندمت على تسرعى .. ولكننى أود

البوح بما لدى لأحد . وليس لى إلا أختى ، الأقدر على فهمى ، برغم ما فى طبعها من احتداد وخشونة .

تذكرت ادعائى النوم على الهضبة .. أستطيع أن أفصح عن ذات نفسى دون أن أخل بقسمى .. إن الحلم مخرجى الوحيد من الورطة .. فقلت :

كنت نائمة ..

ـ عرفنا ذلك .. هل هذا هو السر ؟..

ـ كلا .. لقد حلمت بأشياء غريبة .

ـ حسنًا ..

ـ حلمت ، كأنى ألتقيت بشاب جميل ، مهذب واسع الثقافة يحيط علمه بكل شىء .. فوقعت فى حبه .

ـ هل هذا حلم ..؟..

ـ إنه حلم .. ولكن هذا الشاب طلب منى عدم إخبار أحد عنه .. ثم طلبنى للزواج .. فلما طلبت منه إبلاغ أبى وإخوتى ، رفض ، وألغى فكرة الزواج ، وانصرف غاضبًا .

ـ هل هذا حلم ..؟..

تجاهلت السؤال ، ورددت بسؤال آخر :

ـ ما تفسير هذا الحلم ..؟..

فقالت ، وهى تحدق فى وجهى بشدة :

ـ تفسيره .. يحسن بك أن تخبرى والدى ، عن حقيقة هذا الحلم . قد يكون هذا الشاب شريرًا فيوقع بك .

ـ لا يمكن أن يوقع بى .. إنه إنسان طيب مهذب ، عالم غزير المعرفة .

فقالت ساخرة :

ـ فى الحلم ..؟..

ـ طبعًا ..

ـ ألا تريدين إخبار والدى ..؟

ـ كلا .. كلا .. لقد وعدتنى .. ثم إنه مجرد حلم .. هل تريدين منى إخباره بأحلامى ؟..

ـ حسنًا .. أخبرينى .. ماذا قال لك هذا الشاب ، عن علمه ، وثقافته .. ثم صفى لى ملامحه .. وأشياءه .

نظرت إلى أختى ، لم أكن أعلم أنها على مثل هذا الذكاء فى الاستدراج .. كنت أظن أنها تعرف فقط كيف تنثر الحبوب مثل (ماريو) .. وتزيد عنه بمعرفة إعداد الطعام .. وأن كل ما يتعلق بأعمال الفكر مقصور علىّ فقط .

وأردت أن أكون أكثر ذكاء منها . فقلت :

ـ لا أذكر .. لقد نسيت التفاصيل .

أحسست براحة كبيرة ، بعد أن أفضيت إلى أختى ، برغم أنه إفضاء مستتر .. ولكن غضبى ، وتوترى زالا منى ، فعدت إلى فراشى الخشن .. أحلم وأنا يقظى ، مستعجلة مجىء اليوم التالى لألقاه ، وأعلنه بموافقتى على الزواج منه . حتى دون علم قومى .

لم تف أختى بوعدها لى . لقد أخبرت أبى وإخوتى .

وأبى أخبر رجالات قومى الكبّار .

عقد مجلس لذلك الغرض . لست أدرى ما دار به من نقاش . ولكن عند عودتى من حفل زفافى فى المساء نودى علىّ

أخضعونى لاستجواب حاد . ولكنى أنكرت كل شىء .. وأصررت على أن ما رويته لأختى ليس سوى حلم .

ليتنى لم أثق بها . لقد حرمت نفسى من الذهاب إلى زوجى ، بمحض إرادتى ، بعد يوم واحد من الزفاف .

لاحظت أن تحركاتى ، وسكناتى ، أخضعت لمراقبة شديدة ، من كل رجالات القرية وشبابها ، وشيوخها ، وحتى الأطفال : لذا أخذت أسير فى تجوالى ، فى كل الاتجاهات ، دون التعمق بعيدًا ، فى اتجاه معين ، ثم أعود أدراجى إلى قومى ، دون أن أجرؤ على الذهاب إلى بقعتنا الحبيبة .

لقد أخضعت للمراقبة ، طيلة اليوم على مدار الليل والنهار .. ولكنى الأصعب مراسًا .

إن حقدى على أختى زود عزيمتى بالصبر والجلد على فراقه . برغم شوقى إليه ، وشدة الحرقة على ما قد يصيبه ، دون طعام يقيم أوده .

دخلت فى تحد ، مع أختى ، لتكذيب ما نقلته عنى إلى قومى . كنت كثيرًا ما أتساءل : لم هم يفعلون معى هذا ؟

ولكن نادرًا ما أتساءل لِمَ ، زوجى يرفض الإخبار عنه . لِمَ رغب فى أن يكون أمر زواجنا سرًا ؟

كانت تنتابنى الحيرة ، أحيانًا ، ولكن لا يلبث عنادى حتى

يتغلب عليّ . فأصر على موقفى من أختى ، ومن قومى .. مؤيدة ما يرغب فيه زوجى - دون معرفة ما يبرر ذلك .

إنها حريتى .. يحسن بهم أن يعترفوا بأنى حرة التصرف ، فيما أرغب فيه ، وفيما أبديه ، وفيما أكتمه .

لماذا يعاملوننى كأوصياء عليّ ؟ من أعطاهم حق الوصاية؟. من أنابهم عن نفسى ؟

ليس ثمة من ينوب عن النفس إلا النفس .

لن أدعهم يعرفون الحلم من الحقيقة قط .

وأضحك فى سرى ، ساخرة منهم ، مزهوة بمقدرتى على تضليلهم عن معرفة هدفى ..

ولكن شوقى إليه كان يزداد على مرّ الأيام .. وكان خوفى عليه من كساد الطعام أشد وقعًا .

وفى محاولة لصرف الانتباه عنى ، أخذت أتقرب إلى جارى - خطيبى العتيد (ماريو) .

ومضى شهر آخر . والتوتر بشأن الحلم لم يزل فى أذهان الجميع . ومع ذلك خفت حدة المراقبة ، بعد أن لزمت المغارة لا أغادرها ، إلا لمساعدة جارى فى رى المزروعات .

وأخيرًا ، باتوا أميل إلى تصديق ما رويته لأختى ، وأنه لا يعدو كونه أحلام المراهقات .. قلت لنفسى حينئذ ، يمكننى التسلل الآن .

وأنا أحمل جردل الماء ، لأساعد فى رى الزرع بصحبة (ماريو) العزيز . لقد اعتدت التودد إليه . وأعتاد هو منى ذلك ..

ووجدت التشجيع من قومى لهذه المساعدة ، التى أبذلها ، كى تتواءم نفسانا .. هكذا قيل .. فى أعماقى وصمتهم بالعته والبله ، لهذا القول .

هناك فى الحقل البعيد . اختفيت عن أعين (ماريو) .. تسلقت الصخور ، أقفز الوديان الضيقة وأقفز على الهضاب المنخفضة ، أنحدر ، وأرتفع . حتى وصلت إليه أخيرًا .

عندما لمحته ، كان يهم بمغادرة المكان . ركض إلىّ يطوقنى قائلًا :

ـ شكرًا .. شكرًا جزيلًا .. لقد أخفيت أمرى .. الآن عرفت كم تحبيننى .. وكم يمكن الاعتماد عليك مستقبلًا .

دهشت .. فقلت : كيف عرفت ؟..

ـ غيابك الطويل عنى .. ثم حضورك هكذا .. لابد أنك كنت مراقبة .. أليس كذلك ؟..

فقلت معجبة به :

ـ يا لذكائك الشديد .. لقد كنت مراقبة فعلًا .. لا أستطيع المكوث معك طويلًا .. ليكن لقاؤنا ليلًا .. فى منتصف ليلة الغد .

ثم لفت نظرى ، أنه ليس هزيلًا كما توقعت .. وأنه يرتدى ثيابًا جديدة ، غير التى كانت عليه . قلت :

ـ من أين لك هذه الثياب ؟.. كيف تدبرت أمر طعامك ؟..

أجاب بحسم :

ـ لا تقلقى علىّ . إن الطعام والثياب ليس مشكلة بالنسبة لى .. سوف أقص عليك هذا لاحقًا .. إذن منتصف الليل .. إلى منتصف ليلة الغد .. عودى الآن .. عودى .. قبل أن يفتقدوك .

مسكين التجأ إلى السرقة ، كعادته قبلًا . ولكنى لم أناقشه الموضوع .. قبلته على عجل . وانصرفت بسرعة كبيرة .. أعبر الوهاد . وأتسلق الصخور ، حتى وصلت إلى جارى .

كان (ماريو) المسكين فى أشد حالات القلق . ظن أنى سقطت فى هوة سحيقة . وكان يهم بمغادرة المكان للاستنجاد بمن يساعده فى البحث عنى .

ولكن بمجرد ظهورى أمامه . صاح فرحًا .

أوه .. ظننتك سقطت فى أحد الوديان . ودق عنقك .

قلت فى سرى .. ليت عنقك الذى يدق .. وتذكرت أمر الجردل .. لقد نسيته عند الخرير .

جهرت :

ـ لقد سقط منى الجردل فى الوادى . وحتى التف إلى منحدر مأمون ، وأحضره ، استغرق كل هذا الوقت .. وبما أنى أجهدت فقد تركته هناك .. إنى لا أقدر على حمله بعد كل هذا التعب .

ـ حسنًا فعلت .. دلينى عليه .. سوف أحمله أنا .

★ ★ ★

نسى قومى أمر الحلم ، ولكن أختى لم تصدق أن ثمة حلمًا فى الأمر ، وكذلك لم تنسه قط .

فى ضحى أحد الأيام . وكنت أساعدها فى إعداد وجبة شهية ، نادرًا ما نتذوقها ، وهى وجبة من اللحم المطبوخ . لأننا فى ذلك اليوم حظينا بنصيب من الحطب .. فقررت أختى إعداد وجبة مطبوخة ، بعد أن مللنا الطعام النيئ المدفون فى الثلج .

كان هذا الحدث العزيز يمر بنا ، بين فترة وأخرى ، كلما استطاع القوم جمع كمية من الحطب واقتسامها .

انتهزت أختى فرصة بقائى قربها ، فقالت :

ـ لم ، لم تعودى كسابق عهدك ، تهتمين بأوراقك ، وأقلامك .. لماذا لا تقرئى مخطوط والدتى .. إنه قد يفيدك .. ربما يشرح لك ما غمض من أمرك .

فقلت مستغربة : أمرى ؟..

ردت :

ـ لست أدرى .. إننى غير مثقفة مثلك .. ولكنى أظن لو أنك قرأت مخطوط والدتنا ، لعرفت أشياء كثيرة ، تفيدك ، فيما تفكرين به .

ـ وفيم أفكر ؟..

ـ فى الحلم ..

ـ الحلم ..؟.. أى حلم ؟ ألا زلت تتكرينه ؟ كم أنت خيالية يا (ليلى) .. لو كنت فقط مثقفة ، لأصبح لك شأن فى قبيلتنا . بل فى العالم أجمع . مثل المشهورين القدامى ، من قومنا ، كما تقول والدتى .

كنت أنتظر صراخها كالعادة عند التعريض بالقسط الضئيل الذى تملكه من الثقافة ، وعندئذ تنسى الحلم ، عندما ينشب بيننا العراك .

ولكنها قالت بكل هدوء :

ـ أنصحك .. اقرئى المخطوط .. ستعرفين منه الكثير .

ـ إنى أعرفه ..

ـ كلا .. إنك لا تعرفين شيئًا ، فى هذه الحياة .. إنك تعيشين الحلم .. ولا ترين الواقع .

لأول مرة تحدثنى فى مثل هذه الرقة المتناهية ، متخلية تمامًا عن عاداتها فى إصدار الأوامر ، معترفة فى ذات الوقت ، بأنى مثقفة واعية .. كم كان يضايقنى جحودها على تلك الصفة .

ثم لفت انتباهى إصرارها على قراءة المخطوط .

تركتها ، تعد الطعام .. ودخلت مغارتنا .

فتشت فى الحفرة ، التى فى أحد جوانب المغارة .

كانت هذه الحفرة مبطنة من الداخل ، بإحدى قطع الجلود المهترئة ، من التى كنا نرتديها .. وكنا نحفظ فى هذه الحفرة أشياءنا الغالية .

استخرجت المخطوط ، لقد استعدت رغبتى العارمة فى القراءة مجددًا بمجرد أن لامست يدى الورق .

كانت والدتى تضع العنوان التالى (فصائل الإنسان) . من ذاكرة السيدة (سلوى خطاب ابراهيم) . وسلوى ، اسم والدتى .

تابعت القراءة .

تراكم الثلوج خارج المغارة ، يمنع الرياح العاتية الباردة من اجتياز المدخل . إلا من هبّات خفيفة تتسرب من بين الشقوق .

إنى وزوجى ، من منتصف ليلة البارحة ، نعمل مجرافينا جاهدين ، متقطعى الأنفاس فى إزاحة هذه الثلوج عن مدخل المغارة ، بعد أن أخلد ابنى البكر مع أخته إلى النوم ، بعد عمل نوبتهما فى أول الليل .

كنّا نحن الأربعة نقاوم الثلج طيلة الليل خشية أن تسد فتحة المغارة ، فندفن أحياء داخلها .

هذا هو دأبنا فى كل موسم شتاء ، من كل عام ، حتى يأتى الربيع . وكذلك يفعل معظم جيراننا ممن لهم كهوف مماثلة ، مداخلها فى مهب الريح .

استمر بنا العمل ، برغم الجهد الذى نبذله ، والإعياء الذى نعانيه ، إلى أن أشرقت الشمس . وارتفعت وبددت الغيوم المتراكمة ، فتقطعت زخات المطر . ورفعت شيئًا قليلًا من درجة الحرارة .

انسحبت أنا وزوجى إلى الداخل .. ليقوم صغار الأولاد بنوبتهم فى إزاحة الثلج من المدخل .. أما البنات فقد أخذن فى تدبر شئون معيشة اليوم . الكبرى (ليلى) مع (خالد) اللذين استنفدهما الجهد فى أول الليل .

مساكين هؤلاء الصبية ، ثلاثة منهم مرضى .. ولكنهم يصرون على أداء نوبتهم فى العمل ، ويرفضون بشدة الإخلاد إلى الراحة .

إن العمل فى هذه البقعة ، ضرب من التسلية حتى للصغار .. إذ لا يوجد أى أيما نوع من التسالى الأخرى . وأنا بدورى لا أحاول إجبارهم على الراحة ، هم أعرف بمقدار تحملهم .

ها هى (سعاد) تعاود النوم ، لابد أنها استنفدت كل قواها .

يا إلٰهى ، كم وجهها مصفر .. وها هما أخواها يتبعانها .. أظن أنى سأفقدهما قريبًا . كم هذا مؤلم . لم أنس بعد ذلك الصبى الذى فقدته ، قبل ستة شهور .. ليعنى الله .

غدًا يوم الصيد .. سيغادر جميع الرجال البقعة .. وسيبقى

عبء إزاحة الثلوج علينا نحن النسوة . إن هذه الثلوج رحمة ونقمة فى آن واحد . رحمة كونها تتدلى بما يشبه الستارة من أعلى مداخل الكهف فتمنع عنا برد الصقيع . وفى نفس الوقت نخشى تراكمها السميك ، فنعجز عندئذ عن إزاحتها .. لذا ترانا نترك الثلج إلى مقدار معين ، وما زاد عن ذلك نعمل على إزاحته .

كل منّا أنا وزوجى انسحب بجهد إلى فراشه ، المسكين ، ما كاد جبينه يلامس فراء العنز الناعم ، حتى راح يغط بصوت مسموع . كأنه لم ينم عمره .. أما أنا ، فإنى عاجزة تمامًا عن إغماض جفنى جلبًا للنوم ، أو الراحة . قبل أن أفرغ شحنتى من الانفعال .

برغم ما بى من جهد ، فإنى أحاول إمساك القلم من وسطه . تكاد مفاصل يدى تنتزع لتجمدها .. إنى أقسر يدى على الإمساك بالقلم ، حاثة نفسى على الكتابة .

كل يوم هذه حالى ، برغم شعور الألم ، الذى يصاحب تصلب عظام أصابعى .

إنى أخشى الموت ، قبل أن أسرد هذه الحقبة ، من عمر البشرية ، كيما أواصل ما بدأت به (أمل)(١) . قبل ثلاثة قرون .

نحن الآن فى مغارة ، لا تتجاوز مساحتها الستة أمتار مربعة . هى تقريبًا أكبر مغارة حظيت بها عائلة . وذلك لحسن الحظ .

إنها تضمنا ، أنا وزوجى وأولادى التسعة ، بعد وفاة العاشر قبل ستة شهور . خمسة من الأولاد وأربع من البنات .

برغم ظروف الحياة الصعبة ، التى نمر بها . إلا أننى أحمد الله دائمًا أننا ما زلنا قادرين على الصمود إلى هذه المرحلة من الزمن .

---

(١) (أمل) على لسانها جاءت قصة (الإنسان المتعدد) .

فصمودنا يعتبر نصرًا للبشرية الطبيعية ، غير المعدلة . وأدعوا أن يستمر بنا الحال حتى نتغلب على كل المعوقات .

لن تعوا ، شيئًا ، مما أتحدث به ، أو ، عنه ، مالم أعد بالزمن إلى الوراء قليلًا . الذى هو زمن عمرى القصير . برغم أنى على مشارف الستين منه الآن .

أقول عنه ، قصير ، نسبة إلى عمر البشرية ، ولكنه على أية حال يعتبر شريحة من الزمن حافلة ، تقاس عليها بقية شرائح كبيرة من الحياة . مثلما فعلت (أمل) فى قصتها التاريخية (الإنسان المتعدد) .. عندما أطلعتنا على بدء الداء لمأساة البشرية اليوم .

وها أنا بعد ثلاثة قرون ، من كتابها ذاك .. أكاد أروى نهاية المأساة .. أو ما قبلها بقليل . ولعل أحدًا ما ، يأتى من بعدى ، ليروى البقية .. من يدرى ؟

سأعود ، أربعين عامًا إلى الوراء .. لنبدأ البداية معًا .

فى يوم ما من الزمن البعيد ، عندما كنت على مشارف الرابعة والعشرين من العمر عندما كنا فى لب الحضارة فى ذلك اليوم البعيد ، كنت أقف خلف زجاج نافذتى ، ناظرة إلى سلسلة جبال (سيرال) الرمادية ، المغطاة قممها بالثلوج . تمتد أمامى ، حيث أقف فى الطابق الثالث عشر من الفندق العريق . الذى ورثته عن أسرتى . منذ ما يقارب من الثلاثمائة عام ، عن الجد (جعود)(٢) . الذى هو أحد أجدادى لأمى .

ها قد آل هذا الفندق الضخم إلىّ ، وأخى ، قبل ثلاثة شهور فقط .

---

(٢) وردت تفاصيل حياته فى قصة (الإنسان الباهت) .

كنت حيرى ، لا أدرى كيفية تدبر أمر هذه الثروة الضخمة التى هبطت على فجأة ، وقد حضرت أنا وأخى خالد من بلادنا البعيدة ، فى المشرق العربى ، إلى الجانب الآخر من الكرة الأرضية . كى أتسلمها ، وأتصرف بها كيف أشاء .

مرت على فترة فى وقفتى ، ساهمة ، أنقل البصر ، بين سلسلة الجبال الرمادية ، وأخاديد الوديان المخضرة . وبريق نهر بعيد تنعكس على صفحته أحيانًا ، أشعة فضية ، عندما تنحسر الغيوم عن وجه الشمس لبرهات قصار .

كان سنى الغض فى ذلك الزمن البعيد ، يجعل كل امرئ فى نظرى بالغ السحر والعذوبة .. كنت استشعرها فى نفسى ، دون أن أعرف لها مصدرًا ، أو سببًا واضحًا .

بيد أن تفكيرى القلق ، فى الواقع المعاش ، المحيط بى ، يقلل من ذلك الشعور بالهيمان ، ويحاصره أحيانًا .

حقًا ، لولا ذلك الواقع المحيط بنا ، لكنت من أسعد الناس قاطبة ، بما لدى من شباب ، وجمال ، وثراء ، وصحة موفورة .

لولا .. لولا .

كثيرًا ما أردد هذه العبارة لنفسى ، وفى ذلك اليوم ، كنت أقولها ، عندما حانت منى التفاتة فى أنحاء مكتبى . حيث كنت أقف .

إنى لم أصمم هذا المكتب ، ولم أختر موقعه فى هذا الفندق ، ولكنى حالما دخلته لأول مرة ، منذ ما يقارب الأسبوع . أعجبت بكل ما فيه ، خصوصًا موقعه الذى تظلله من أحد جوانبه سلسلة رمادية من الجبال تغطى قممها الثلوج ، غالبية أيام السنة .

وأمامه يمتد على مرمى البصر للواقف فى أحد نوافذه ميـاه رقراقة لنهر طويل .

فى وقفتى تلك المسمرة ، سمعت خلفى حفيف أوراق .. فالتفت على عجل مرة أخرى ، لأرى أخى خالد على مبعدة قليلة منى ، يعبث فى أدراج خزان كبير . مستحرجًا كل ما به مـن أوراق وصور تاريخية قديمة جدًا .

قال ملوحًا بالأوراق ، عندما رأى التفاتتى .

ـ انظرى .. هذه صورة للجد (موا)[٣] .

فصرخت به .

ـ كف عن العبث .. إنها أوراق ومستندات قيمة ، لا تتلفهـا بالتقليب ، والعبث .. من أين جئت بالمفاتيح ..؟..

ودون أن يجيب على سؤالى . استمر .

ـ انظرى .. هذه نسخة من صحيفة إخبارية .. إنها تتحدث عن التوأمة .. انظرى التاريخ .. إنها قبل قرنين من الزمن .

★ ★ ★

كانت هذه الزيارة الثانية لدولة (سيرال) ، فى فترة قصيرة لا تتجاوز الستة شهور ، ولكن أظن فى قرارة نفسى ، أنها فى هذه المرة ستكون دائمة .. فـ(سيرال) رائعة الطقس .. ثم هذه الثروة . كيف أتدبرها ، وأنا بعيدة عن موقعها . حـيث كنت أسكن فـى بلـد أبـى

---

(٣) (موا) هو الرجل الباهت المعنى فى قصة (الإنسان الباهت) . وهو جد السيد جعود الوارد ذكره آنفًا ، وبالتالى هو الجد الأبعد لسلوى وأخيها خالد من جهة الأم .

وأجدادى ـ بلاد العرب النائية ـ ثم عملى السرى الجديد ، القديم ، ماذا بشأنه ؟..

وحانت منى التفاتة أخرى . وتوقف بصرى أمام إطار كبير ، حيث أشار أخى . يحمل صورتين متجاورتين للجد الأكبر (موا) الغارق فى برودة مستمرة منذ مائتين وثمان وتسعين عامًا .

إنه بعد عامين قادمين سوف يستيقظ مجددًا .. إن لم نتدخل لتقويض مهده .

ترى أية صفات ستستجد لديه لو استيقظ .

وسرحت بخيالى .. هل سيكون مكثف الإحساس ، بعد تغير ترتيب جيناته .. أم يكون كما فى المرة السابقة ، إنسانًا باهتًا ، بدون حس ، أو مشاعر .

برغم شطحات خيالى ، لم يكن فى ميسورى تصور الطباع التى ستطبع التصرفات الجديدة للجد (موا) .

وانحدرت بخيالى مرة أخرى .

إنه ليس علىّ سوى التوقيع ، على تصريح يحمل موافقتى على تدمير المهد البارد للسيد (موا) . وتقديمه إلى (الإنسان المتعدد) . وينقضى كل شىء بالنسبة لذلك الجد البعيد .

إن (الإنسان المتعدد) ، يظن أن حافزى على الموافقة ، على تدمير مهد جدى ، هى الثروة الكبيرة المرصودة للعناية به على مرّ القرون . والتى ستئول إلىّ عن طريق جدى الأقرب السيد (جعود) . مثل هذا الفندق الفخم ، العائد لنا ، عبر الزمن ، من الجد جعود ، إلىّ وأخى ، آخر من تبقى من الأقربين لسلالته .

لندعه فيما يفكر فيه ، فهذا لا يجانب مصلحتى ، بل يحسن بى أن أظهر أن الطمع فى الثروة الكبيرة ، هو حافزى إلى إعطاء تلك الموافقة .

نعم الرغبة فى تدمير المهد العتيد ، مهد جد أجدادى الأقدمين ، تنازعنى ، برغم ما فيها من جحود . ليس بسبب الإرث ، كما يتوهمون ، وإنما لأن مصلحة الإنسان الطبيعى تقتضى ذلك .

وقد اقتضت مصلحة (الإنسان المتعدد) أيضًا ، أن تتفق مع مصلحة الإنسان الطبيعى . برغم العداء المستحكم بينهما ، فاتفقا على تدمير مهد (الإنسان الباهت) . ولكن إلى متى يا ترى ستتفق مصالح اللدودين ؟ إنى أرى ، أن المدى قصير جدًا .

نظرت ما بداخل إطارى الصورتين مجددًا .

إن المنظر ، عكس منطق الطبيعة ، فالصورة الأحدث عهدًا ، كانت لشاب فى ريعان الصبا .. أما الصورة الأقدم ، فهى لعجوز متقدم فى السن ، كل خلية فى جسده تشير بإشارة الوداع ، للرحيل الوشيك ، من عالم الأحياء ، عكس ما يفترض أن تكون عليه الحال لرجل واحد .

ابتسمت رغمًا عنى . بل برغم انشغال بالى .

يا له ، من عالم غريب . كان يجب أن تكون الصورة الأكثر نضارة ، هى الأبعد حدثًا .. ولكنها ثورة العلوم ، التى عكست مفاهيم الطبيعة .

فى هذه الأثناء ، قال أخى الأصغر (خالد) ـ كان عمره آنذاك لا يتجاوز السادسة عشرة ـ عندما شاهد نظرتى .

ـ كان يجب وضع صورتيهما بجانب صورتَيْ الجد (موا) .

التفت إليه ، ثم عدت أتفحص صور السلالة كلها . التى كانت تغطى الحائط وتساءلت .

ـ صورتى من تعنى ؟..

ـ جدى (خالد) .. وجدتى (تودا)[٤] .. يجب أن توضع صورتاهما بالقرب من صورة جدى الأكبر (موا) ..

ـ ولماذا .. هما بالذات ؟

ـ أليسا هما من سلالته ..؟..

ـ جميعهم من سلالته .. ألا ترى هذا الكم من الصور ، بدءًا من الجد (جعود) .. ونهاية بنا ؟

ـ ولكن الجد (خالد) سمّيى .

فضحكت لتفكيره الطفولى ، الذى لا يناسب عمره ..

وقلت :

ـ إذا كان لهذا السبب ، فكل امرئ يرى لنفسه الحق فى ذلك .. وفى نفس الوقت ، لا يمكن أن يكون محقًّا بالنسبة للآخرين .. ثم إن الجد (موا) ، هو الجد الحقيقى للجد (جعود) .. أما جدنا لأبينا (السيد خالد) ، فهو ليس إلا زوجًا لابنته (تودا) جدتنا لأمنا .. ثم انظر ، كم (خالدًا) فى سلالتنا .

واستأنفت ، قبل أن أعطيه فرصة للغوه الطفولى .

ـ لقد تأخر المحامى .. إنى أنتظره منذ ساعة تقريبًا .

ـ ها هو قادم .. انظرى إلى عربته ، فى أقصى الشارع .

(٤) (تودا) . هى ابنة الجد (جعود) فى قصة الإنسان الباهت .

ثم أردف مبالغًا .

ـ ولكنه يحتاج إلى نصف ساعة ، كى يصل إلى هنا ، حاملًا كرشه الضخم .

واستطرد ، وقد تخلى عنه مرحه .

ـ متى نعود إلى بلادنا .. لقد مللت هذا الطقس الغريب .. وهذه اللغة التى لا أفهمها .

فقلت محتجة :

ـ وما يعيبه الطقس ؟.. إنه فقط ، أكثر برودة من طقس بلادنا .. ثم كيف لا تفهم اللغة السيرالية .. ألا تفهم لغة الأجداد .؟.. ثم ماذا تقول ، وأنت الآن تكلمنى بها ؟..

ـ كلا .. ليس هذا ما أعنيه .. وإنما عندما يكون بقربى عدد من الأشخاص المتماثلين ، فيتكلمون بنفس الألفاظ ، ونفس الصوت والنغمة .. لك أن تتمثلى مبلغ الضيق الذى يعترينى ، عند نزولى إلى المطعم ، فيهرع إلى خدمتى أكثر من عشرة من النادلين ، بصفتى صاحب الفندق .. إنهم يتحدثون إلىّ بنفس واحد ، وبنفس الألفاظ والنغمة ، لكأن ما أراه شخص واحد ، وانعكاس عدد من صوره فى مرآة دائرة بى ، فيدور دماغى ، ولا أدرى إلى من أنظر .

فقلت معزية :

ـ أوه .. تعنى (الإنسان المتعدد) .. انظر إلى واحد فقط . وسترى الجميع .. ثم إن الأمر ليس كما يبدو لك يا عزيزى .. أرجو ألا تصدق .. أو تثق بأى منهم ، مهما بدا لك ، من ضروب الود والاحترام .. إنهم يداعبوننا ، كما يداعب القط الفأر ،

عندما يكون واثقًا من المقدرة على التهامه فى أية لحظة .. يجب أن تفهم أن احترامهم لك زائف .. بل هو نوع من السخرية .. إنهم يستغلون خداثة سنك للسخرية .. وليس لأنك مالك المطعم ، والدليل على ذلك أنهم لا يفعلون ذلك معى ، إن كل نسخة منهم تحدثنى منفردة .. إنهم يوهموننا بقدرتنا وهم القادرون ، كل حسب مقتضى ما يرونه مناسبًا للموقف .. يحسن بك ألا تتصلب معهم ، فى أى مطلب يطلبونه منك .. وإلا سحقت سحقًا .. بل الأفضل أن تتجنب الاحتكاك بهم قدر الإمكان .. إنها مشكلة كبيرة حقًّا ، معايشتنا لهم ، بهذه الطريقة .. ولكن ماذا ترانا فاعين ؟..

ـ نطرده من الخدمة لدينا ، بكل أعداده .. ونستحضر أناسًا طبيعيين للعمل فى الفندق .

ـ كى نؤلبه علينا .. ألا تعلم أنه الأعم .. وأنه الأقوى .. حقًّا إننا فى بلادنا لا نرى منه الكثافة التى هنا . ومع ذلك حتى فى بلادنا مع قلة كثافته ، فهو مساوٍ لنا فى العدد .. وكما تعلم أن السبب فى عدم وفرته ، عدم انتشار معامل التكرار ، هناك ، كما هو الحال هنا ، حيث كل شىء معد لتكاثره ، فإذا مات ، أو قتل أحدهم ، عملوا عشرة أو أكثر من نسخة ، لتغطية مكان فراغ النسخة المفقودة .

فقال الصبى مترجيًا :

ـ إذن ، لِمَ ، لا نعمل نحن أيضًا نسخًا لنا ؟.. إننا نملك الكثير من المال اللازم لهذا الغرض . لنشتر أحد معاملهم ، أو لنقم معملًا ..

فقاطعته :

ـ أولا أين المعدات ، والمستشفيات ، والأطباء .. أرجو ألا تكون ساذجًا إلى الحد ، الذى لا ترى ما نحن فيه . فنقترح شراء أحد معاملهم . ألم تلحظ أنه إذا مرض أحدنا ، يموت فى منزله ،

دون أن يسمح له بدخول أحد المستشفيات ، حتى وإن كان تحت إدارة إنسان طبيعى . إن كل ما لدينا من نقود وأموال طائلة ، لا يشكل أى إغراء لهم ، لأنهم لا يحتاجون إليها بصورة حقيقة . طبيعة حياتهم لا تستلزمها . ولو أرادوها لسلبونا إياها ، دون أن نقدر على منعهم . ليكن فى علمك أيضًا ، أنهم لن يسمحوا لنا بشيء مما نتمنى ، حتى لو دفعنا لهم كنوز الأرض .. هل لاحظت أنه ممنوع علينا الاستعانة بأى طبيب إلا سرًا ، وأنه لا يسمح لنا بشراء الدواء .. وإذا بيع لنا ، كان الدواء الخطأ .. ألا تعلم أن (الإنسان المتعدد) ، هو المتصرف بكل ما يحيط بنا ، من مقدرات الحياة .

هذه إحدى طرائقهم ، فى التخطيط للعمل على انقراض الإنسان الطبيعى .. ولكن لِمَ ، أستعمل صيغة الجمع .. إنه رجل واحد ونسخه .

فصحح لى أخى ، بنغمة تحمل المرارة والحقد .

ـ وزوجته ، ونسخها ..

ـ نعم .. إنهما يقصران الوجود ، عليهما فحسب ، ويحاربان كل من يحاول الاستفادة من هذا المنحنى من العلوم ، كى لا يستمر فى العيش والحياة معه .

فقال الصبى مشاكسًا :

ـ لقد قلت ، أولا ، ولم تقولى ثانيا ..

ضحكت لتدقيقه فى الحوار اللفظى .. وأخفضت صوتى ، وأنا أعلم أن لا أحد يسمعنا ، ولكن لأبيّن له أهمية السرية فى الحديث :

ـ ثانيًا .. لا تنس ذلك اليمين المقدس ، الذى يجب علينا التزامه للحفاظ على الجنس البشرى الطبيعى من الانقراض . والذى يحرم علينا عمل نسخ لأنفسنا ، حتى لو أتيحت لنا الأسباب .

وليس ثانيا فحسب .. بل أقول ثالثًا . لو أن أيًّا منا نحن البشر الطبيعيين نجح فى عمل نسخة له . فهو قطعًا لن يستطيع تغطية العدد الذى عليه هذا (الإنسان المتعدد) . وطبعًا لا نستطيع كلنا كبشر طبيعيين ، عمل نسخ لنا ، لأن ذلك سوف يثير انتباهه ، فيعرض وجودنا لخطر داهم ، بسبب هجوم ، هذا (الانسان المتعدد) علينا ، وسنمحق من الوجود ، بسرعة مذهلة ، قبل أن تنمو نسخنا من الحاضنات فضلًا عن أن أى امرئ ، يقوم بمفرده بهذه الخطوة ، سيجلب عليه عداوة الإنسان الطبيعى و (الإنسان الأنبوبة) ، بما أنه تحول إلى (إنسان متعدد) آخر . كل هذا ، وهو لن ينجو من (الإنسان المتعدد) الحالى .. أرأيت مكمن الخطر ؟

ثم لا تنس أن غيرنا ، فعل ذلك منذ زمن بعيد ، حتى من قبل أن يصل التوأم الحالى إلى كثافته الحالية ، ومع ذلك لم ينجح . لقد قتل قبل الخروج من الحاضنات ، قتل البعض من (الإنسان المتعدد) ، والبعض من (إنسان الأنبوبة) ، أو من الإنسان الطبيعى ، لأننا لم نرم إضافة عبء علينا فوق ما لدينا من مخلوقات بشرية شائهة ، ولذا يحسن بنا أن نتمسك بالقسم المقدس ، ونعمل جهدنا للقضاء على هذا (الإنسان المتعدد) وزوجته .

فقال أخى خائب الرجاء :

ـ ليت (إنسان الأنبوبة) . يستطيع القضاء عليهم .

فقلت أشد عزمه ، وأبعث فيه الأمل .

ـ دعك من هذا الإنسان الشائه .. إنه ليس بأقل منه شراسة للحفاظ على نوعه .. لن يستطيع إنقاذنا غير أنفسنا .. نحن متعددو الفكر ، إن (الإنسان المتعدد) له فكر واحد . ومن هذا المنطلق نستطيع بالمكر والدهاء ، التغلب عليه ، ولن يفيده كثرة عدده .

ـ إن (إنسان الأنبوبة) ، لـه مثلمـا لنـا مـن قـدرات فكريـة متنوعة ، إذ هو متعدد الفكر أيضًا ، لِمَ لا نضع يدنا فى يده .

رددت :

ـ لا تقلق ، ولا تيأس .. لنر أولا نتيجة الصراع بين القوتين العظميين ، (الإنسان المتعدد) و (إنسان الأنبوبة) ، وبعدها لكل حادث حديث .

وصمت الصبى برهة ، يتدبر حوارنا مع نفسه .. ثم رفع صوته بغضب محتجًا .

ـ ولكن نحن أناس طبيعيون ، المفترض أن ننتصر عليهما .. ألم تخبرينى أن العدالة تنصر الحق دائمًا .

ـ نحن الملومون ، أولًا وأخيرًا .. لأننا الذين أوجدناهم .

فقال معارضًا :

ـ إذن لماذا لا نعمل تجارب لطرق أخرى ، تقضى عليهما ؟..

أجبته بنفاذ صبر ، كى أطامن من حدته .

ـ أيها الصبى الغرير .. لقد أخبرتك مئات المرات .. أننا قلة .. لقد أفلت زمام الأمر من أيدينا .. لقد فرض علينا أن نحارب على جبهتين ، (إنسان الأنبوبة) ، و (إنسان الكلون) . وكلاهما أقوى منّا عدة وعددًا ، صحيح أنها حرب غير معلنة ، وأن كلًا منهما الآن يبدى الود لنا ، لأنهما فى حالة حرب مع بعضهما البعض . ولكن فيما بعد سوف يسخط علينا المنتصر منهما .. توسل إلى خالقك كل يوم ، بل كل دقيقة ، أن يبقيا على توازى قوتيهما .. يضعفا معًا ، أو يقويا معًا ، حتى نتدبر أمرنا .. نعم لو انتصر أى منهما لن نبقى

لنا باقية .. لأننا لا نساوى عشر معشار أحدهما منفردًا .. ألا ترى معاملهم تقذف كل يوم الآلاف منهم .. ألا ترى أنهم سدوا كل مسالك العلم والمعرفة بوجوهنا .. هذه المدارس لا تستقبل إلا هم .. والمصانع لا يشغلها غيرهم . والأرض لا يزرعها سواهم .. حتى دور النشر لا تنشر إلا نتاجهم ، والصحف ، تجبر أقلام الأناس الطبيعين ألا تكتب إلا عنهم .. إنهم يحولوننا تدريجيًا إلى مجتمع بدائى لا يفقه شيئًا .

فقاطعنى الفتى :

ـ ولكن إنسان الأنبوبة ، لا يرفض دخولنا مدارسه .

رددت :

ـ قبول مشروط .. بشرطهم ، أن نتكاثر على طريقتهم فى زراعة أطفالنا بالأنابيب .. الأفضل لنا تعليم بعضنا بعضًا ، دون مدارس منتظمة على أن نستعمل طرائقهم فى التكاثر .. أما (الإنسان المتعدد) فهو الأنكى . هم الذين لا يتقبلون فكرة التعايش مع أى نوع آخر .

فقال معترضًا مرة أخرى :

ـ لماذا ننسى أنهما واحد وواحدة .

ـ أعرف ، ولكنهما وفرة من هذين الواحد والواحدة .

ـ ليت التوأم الآخر لم يهزم .

ـ لابد لأحدهما أن ينتصر .. هو الذى يكون الأسرع فى إنتاج أعداده .. ثم لو انتصر التوأم الآخر فلن يكون بأفضل من نظيره الحالى .. ألم نر كيف كان يحارب بشراسة . لو لم تفن أعداده

بسرعة .. لو لم يسيطر هذا (الكولون) الموجود الآن على المعامل والمستشفيات ، ربما استمرت المعركة إلى اليوم .. ولكان أفضل لنا حتى نلم شتاتنا ، ونستعيد بعضًا من قواتنا .

فقال الفتى ضاحكًا . وقد انقلب مزاجه فجأة :

ـ آه .. لو كان فى مقدورنا الاستيلاء على بعض معامل التكرار ، وعمل نسخ لنفسينا أنا ، وأنت !!

فأجبته بضحكة مماثلة ، وقد سرى عنى أن أراه فرحًا .

ـ كلا .. ليس فى مقدورنا ذلك .. إما أنا ، أو أنت .

فقال الصبى مستنكرًا .. لماذا ؟..

ـ لأننا إخوة .. فمن أتزوج أنا ؟.. ومن تتزوج أنت ؟..

وضحك كلانا .. وعاد الصبى إلى القول متفلسفًا .

ـ لو لم يكن الإنسان أنانيًا .. لكان هناك العديد من أنواع التوأم .. توأم للأخ .. والخال .. والأم .. ولكل الناس .. ما رأيك ؟..

ـ يمكن ذلك .. لو لم يكن الإنسان أنانيًا كما قلت .. ولكن بهذا ستكون حياة الإنسان موصولة .. إذ لا يوجد موت لأى إنسان . ومن ثم تضيق الأرض بما رحبت .. ألم تسمع قديمًا الحديث عن الانفجار السكانى .. لقد خلق الله حدث الموت لهذا السبب فيما أظن .

فقال الفتى يحدوه حب الخلود ، رغم صغر سنه :

ـ إذن يمكننا عمل توائم لنفسينا فقط .. ونتزوج من غيرنا .. فأنا لا أشعر بالغيرة منك .. ولا أحسدك شيئًا .

كان حديثه لغوًا مستفيضًا . ولكنى صبرت عليه كى أطوع فكره إلى المنحى الذى أريد . فقلت له .

ـ ذلك لأننا فى وضع طبيعى .. ولكن عندما تنتشر هذه الأنانية فينا ، ونحتاج إلى إعالة كل جزء منا .. وتزحمنى وتوائمى على مصادر رزقى . وأزحمك وتوائمك على مصادر رزقك . عندئذ تنشب الخلافات بيننا .. وتكون المسألة بقاء أو فناء .. ثم لا تنس أن عاطفة الأخوة ليست بالأقوى من عاطفة الأبوة .. أو الأمومة . ومع ذلك ألا ترى كيف قتلت هذه العاطفة فى وجدان (الإنسان المتعدد) .. وصدقنى لو تيسر لهم إنجاب أبناء بالتوليد الطبيعى لما ترددوا فى وأدهم .. إنهم لا ينكرون هذا الاحتمال أمامنا ، أو أمام (إنسان الأنبوبة) فى كل محضر . بل هم يصرحون به فى وسائل إعلامهم المختلفة . قائلين إن هذه العاطفة ، عاطفة الأبوة أو الأمومة ، ما هى إلا شىء غابر ، عفا عليه الزمن .. ويجب ألا يعتد به ، وأن متطلبات التقدم الحضارى لا تعترف به .. وبما أنهم نتاج الحضارة ، فما هم عليه هو الأصح ، من وجهة نظر الواقع الحضارى كما يزعمون .. أرأيت يا أخى الصغير ؟ ولو افترض جدلًا ، وحدثت معجزة ، فأنجب أحدهم ، لما تردد الذى أنجبه فى وأده .. أتعرف لماذا ؟

ـ لماذا ؟..

لأنه سيكون مختلفًا عنه .. أى سيكون إنسانًا طبيعيًا . وبمرور الزمن وتكاثره سيشكل خطورة على تواجده مثلنا تمامًا .. ويقلل من فرص الحياة المرفهة أمامه ، أى سينضم بأعداده إلينا ، فيزحمه .. يكفى أنك لم تر فى أى يوم أحدًا منهم يصطحب طفلًا له يحمل خواص أمه وأبيه .. إننا لا نرى إلا أولئك الأطفال خريجى

حاضنات التكرار ، صورة مصغرة لآبائهم .. أو أمهاتهم .. والتى نطلق عليهم مسمى (الأبم)(٥) .

واستطردت .

وأضف أيضًا أننا تجاوزنا عن كل ما تقدم .. وأننا نريد أن نحقق رغبة دفينة فى كل إنسان ، رغبة الخلود ، .. هل فى مسيورنا فعل ما نصبوا إليه ؟ أين المعامل ، والأطباء ؟ لو كان ذلك فى ميسورنا ، لتيسر لكل إنسان طبيعى غيرنا .. ولتحقق ما تمنيته قبل لحظات .

وسكت ، وقد أثقل صدرى هذا الجدل مع أخى .. فسرحت بخواطر عديدة .. لم أنتبه منها إلا على خطواته الخارجة . فصرخت به .

- تعال .. تعال .

- وهمست بأذنه .

- إياك والتفوه بما دار بيننا من حديث .. ثم إياك والاحتكاك بهم .. احتفظ بآرائك لنفسك ..

فى هذه الأثناء دخل المحامى . سادًا بكرشه فتحة الباب .. وهو يميل نفسه للدخول .

ولكن الفتى أسرع لنجدته ، ففتح مصراع الباب الآخر .

وبعد أن استقر به المكان ، مالئًا مقعدين صفًا متجاورين . قال له أخى قبل أن يغادر .

- ألا ترى أنه من الأفضل أن تخفف من وزنك قليلًا ؟

فرمقته بنظرة مؤنبة .. ولكن المحامى ضحك على أثرها قائلًا :

- لا تعتبى عليه .. إننى أعلم كمية اللحوم التى تثقل كاهلى .. لست من الذين ينبهون إلى أمر يعانون منه .. ولكنى فى الحقيقة لا أملك حيال هذا شيئًا .. ولعل ذلك راجع إلى شدة الضغوط النفسية

---

(٥) الأبم . هو الذى يكون الأب والأم فى آن واحد لأن التوأم اشتق منه وحده .

التى تعانى منها . للتغلب على هذه المخلوقات الغريبة علينا .. لكل امرئ طريقه فى البحث عن متنفس له ، عندما تحدث له حالة من العجز التام لتحقيق رغبة ملحة .. وأنا متنفسى الشراهة فى تناول الطعام .. قد يكون لغيرى غير ذلك من أنواع السلوك الشاذ .. أو قد يكون من القوة النفسية بحيث لا يمارس أى سلوك تعويضى .. ويتقبل عجزه برحابة صدر .. المهم ..

وضحك ببلاهة الرجل السمين .. واستطرد :

ـ إنكم هناك فى المشرق العربى لازلتم أفضل منا حالًا .. وفى وسعكم مقاومتهم ، حيث لم ينتشر هذا الوباء بالقدر الذى هو عندنا .. ولكننا عاتبون عليكم ، حيث بدأنا نسمع أنكم بدأتم تسمحون لهم ببناء المعامل والمستشفيات لتكاثر هذه المخلوقات الدخيلة على البشرية بأعداد كبيرة بينكم .

فقلت بمرارة :

ـ لم نسمح لهم قط .. ولكننا فى الوقت نفسه ليس فى مقدورنا إيقافهم .. إننا نعرف مسبقًا أنها معركة خاسرة ، لو خضناها حربًا سافرة .. فما أسرع أن تأتى أعداد جرارة من نسخه التى لديكم للقضاء علينا .

واستطردت بنزغ عفوى ، ليس من عادتى . فقلت :

ـ دائمًا من جهتكم يصدر الخراب إلينا .. ولكن كل هذا لا يعنى أننا سنقف مكتوفى الأيدى .

فقال المحامى متجاوزًا عن تهجمى عليهم :

ـ لِم لم تنضموا إلى (إنسان الأنبوبة) فى حربه معه ..؟..

ـ ولماذا لم تنضموا أنتم ..؟.. وتقيموها حربًا شعواء عليه ؟

أجاب :

ـ إننا قلة جدًا .. ومتفرقة .. بضربة واحدة سوف يقضى علينا ، هذا ما يشل حركتنا .. كل فريق هنا يدعي أنه سيتركنا لشأننا لو انتصر .. ولكننا لا نصدقهم .. لو انتصر توأم نفسه سوف يقتلنا ولو انتصر (إنسان الأنبوبة) سوف يجبرنا على التكاثر بطرائقه .

فقلت باعتزاز :

ـ لعل الخلاص هذه المرة يأتيكم من الشرق .. لقد سبقتمونا أحقابًا طويلة فى مضمار العلم والتقدم التكنولوجى ، حتى بلغتم نهاية المطاف بإنتاجكم (الإنسان الأبم) ، و(إنسان الانبوبة) . اللذين حملا إليكم هذا الخراب المؤكد .. ولكننا فى الشرق مازلنا كالأرض البكر التى تطرح محصولًا جيدًا .. ولكن غير محسن .. أو مقوى بأدوات صناعية .. وإنما يستمد قوته من طبيعة تربته الخالصة .. لعل الخلاص يأتيكم من هناك هذه المرة .

وسكت فترة ليست بالقصيرة . والمحامى ينعم النظر إلىّ .. منتظرًا تتمة حديثى .. وخيط من الأمل الواهى مخالجًا نفسه .. ثم لم يلبث أن اختفى ، حين دقق النظر إلىّ .

لم يقنعه قولى ذاك ، عندما رأى حداثة سنى .. إذ انبرى .

ـ آنسة (سلوى) .. هل لى بسؤال لا يغضبك ..؟..

وقبل أن آذن له استطرد :

ـ من أين لك هذه الثقة بما تدعينه من أقوال ؟.. وأنت فيما أظن لا يعدو كونك فتاة صغيرة لم تتجاوز الثانية والعشرين من العمر ؟! وقبل هذا ، من أين تأتت لك هذه الثقة فى الخبرة ، وأنت على ما أنت عليه من حداثة السن ؟

ثم كيف لبدنك الدقيق القدرة على تحمل مثل هذا الهم الرازح علينا ؟ .. أليس خليقًا بك ، وهذا الوجه البرئ الهادى ، الذى يحمل

سمة طفولية دائمة أن ينغمس فى مرح موصول ؟ من أين لك هذا الكم من الإحساس بالمعاناة ، التى ترزح تحتها البشرية .. والمفترض بك أن تكونى لاهية فى ملاعب الصبا والشباب .

وسكت الكهل لحظة ليلتقط أنفاسه ، وعرج إلى منحى آخر . فتابع مغازلًا كعادته كلما رآنى .

ـ هذا الصوت الخافت ذو الجرس الموسيقى ، الذى تتحدثين به ، وكأنه الهمس ، فلا يتجاوز همسه مدى هذه الفسحة التى بيننا ، كيف يتأتى له قوة الإيحاء بأن لك عزيمة لا تفل .

واستطرد :

ـ واضح أن لك أفقًا واسعًا فى مدى تصورك للأشياء .. وواضح أنك تخلبين لب محدثك فى أى موضوع يتناوله الحديث .

واستمر فى غزله متابعًا .

ـ آنسة (سلوى) .. يلوح لى أن لك طبيعة قضيب المغناطيس المخالف لطبيعة الأشياء .. فلا تلبث جميعها أن تتجه حثيثًا إليه . برغم مالك من جمال عادى .. وطبيعة هادئة وطباع متحفظة .. مرارًا قلت لنفسى .. لعلك امرأة تختلف عما نعهده من النساء .

فى الحقيقة لم يطف بخيالى أن رجلًا بمثل هذه الضخامة البدنية ، يملك مثل هذا الشعور المرهف ، الذى يدفعه للتعبير بكلمات غزلية ترفع المتغزل به إلى آفاق سامقة .

لقد خشيت على نفسى من التعاطف معه ، فقاطعته ضاحكة .

ـ رويدك يا أستاذى الجليل .. لم أعد أميز القدح من المدح فى حديثك هذا .. على أية حال ، وفر ما يخالج فكرك الآن .. لا أرى داعيًا لإسماعى إياه .. وقد قلته لى مرارًا .

وضحك .. فضحكت مستطردة .

ـ الذى أود قوله . أنكم فى يوم غابر ولىٰ .. وإلى وقت ليس ببعيد ، كنتم تنعتوننا بالعالم الثالث . أو ما دون ذلك .. نحن نراكم الآن عالمًا منحدرًا على نحو موصول .. وليس ثمة من يصده ، إن لم تتبعوا إرشاداتنا .

فقاطعنى منقلب المزاج فجأة .

ـ عفوًا سيدتى .. أراك موغلة فى الغرور .. أرجو ألا يكون ما اسبغته عليك من الثناء سببًا لذلك .. كونك لا تحملين أية صفة تجيز لك حق الإرشاد .. هذا أولا .

ثانيًا ، إن لم يكن لديك ما يمنع ، فليكن حديثنا بعيدًا عن التجريم ..

ثالثًا ، كنت أظن أنى هنا لمناقشة ميراثكم من جدكم الأبعد السيد (موا) . بعد إعطائكم الإذن بتقويض مهده البارد . كما تم الاتفاق بينك وبين (الإنسان المتعدد) . كما ندعوه هنا ، أو توأم نفسه ، كما تدعونه فى الشرق ..

فقلت مغيرة دفة الحديث :

ـ قبل الإجابة على الشق الأول من سؤالك .. هل لى أن أسألك بدورى .. بصفتك إنسانًا طبيعيًا .. أى أنك ليست (توأمًا لنفسه) ، ولست (بإنسان الأنبوبة) .. لو أتيح لك عمل التوأمة لنفسك .. هل تنتهز هذه الفرصة ؟..

فقال ، وقد نسى غضبه سريعًا :

ـ لن تتاح لى هذه الفرصة مطلقًا . (فالإنسان المتعدد) ، الموجود الآن يغطى ما يقارب نصف كثافة سكان العالم ، ولن

يسمح لأى مخلوق آخر بنسخ نفسه . ومجرد عمل شيء من هذا القبيل يعتبر جريمة فى نظر قوانينه وأعرافه . التى يطبقها علينا بالقوة الجبرية ، ويقدم من يخالف هذه القوانين والأعراف على الفور إلى المحاكم العرفية التى لا ترحم .. ثم إن عملًا كهذا يحتاج إلى استعداد كامل من الناحية المادية ، والتقنية . وهذان الشيئان افتقدهما مثل ما يفتقدهما الآخرون من بنى البشر الطبيعيين ، ربما أنت تمتلكين الناحية المادية ، لأنك فتاة ثرية ، ولكن لن تجدى من يبيعك التقنية سوى (الإنسان المتعدد) .. وهذا مستحيل .

فقلت :

ـ دعك منى .. وإنما . لو أتيحت لك هذه الفرصة جدلًا ؟..

فرد بواقعية :

ـ لا أظن أن أى امرئ عاقل يرفض مثل هذه الفرصة .. خصوصًا إذا أمن على سلامته .. كلنا بشر نهوى الديمومة والخلود .

فقلت بصيغة آمرة دون أن أفطن إلى نفسى :

ـ نريد منك أن تنتزع هذه الرغبة وتقاومها .. وترضى بجزئية الحياة كما وهبت لك .

فقال مستنكرًا :

ـ أحب فنائى الوشيك ؟.. أعارض رغبة الخلود فى نفسى ؟ إن محبة الخلود بُذرت فينا منذ الأزل . بل هى قد تكون إحدى غرائزنا التى عجزنا عن تحقيقها بصفة مباشرة كما فعل (الإنسان المتعدد) ، فاتخذت لدينا منحى آخر للتعبير عنها . كأن نخلد أنفسنا بأبنائنا ، أو حتى نخلد أنفسنا بأى أثر غير حىّ نتركه من ورائنا ،

مثل الأثر الذى يتركه المخترعون والمكتشفون ، أو الأدباء وأضرابهم من الفنانين .. ألم ترى كيف يكون تارك الأثر سعيدًا مع علمه أنه لن يحسه بعد موته .. ولكن يستمد سعادته لمجرد معرفته بأنه سيخلد ذكره .. إذن كيف تريديننى أن أفعل ما يتعارض وإحدى غرائزى .. ثم من يريد منى ذلك ؟

تجاهلت الشق الأخير من السؤال . وقلت :

ـ حسنًا لأضرب لك مثلًا بسيطًا .. لنفرض أنك فى أشد حالات الجوع .. ومتاح لك فقط كسرة من الخبز . وقطعة لذيذة من الحلوى المسمومة ، أيهما تفضل برأيك ؟..

ـ يا له من سؤالٍ ساذج .. كسرة الخبز الجافة طبعًا .

ابتسمت ، لأنى لم أذكر له أن كسرة الخبز جافة ، ولكنه أضاف لها هذه الصفة كى يبرهن شدة مقاومته للحلوى المسمومة .

فقلت مسترسلة :

عظيم .. كسرة الخبز هى ، هذه الحياة الطبيعية ، كما أرادها لنا خالق هذا الكون .. أما قطعة الحلوى اللذيذة جدًا هى هذه الحياة المعدلة . ولكننا لا نستطيع انتزاع السم منها ، والتى لها خاصية النمو إلى درجة الطغيان على هذه الكسرة وتفتيتها . فتقطع عنى وعنك وعن غيرنا مقومات الحياة ، وتحول بيننا وبين كل طرائق العيش السليم .. عندئذ ألا ترغب فى العمل لإبادة هذه القطعة الحلوة المغرية المهلكة فى آن ؟..

ـ سأفعل حتمًا ..

فقلت :

ـ اتفقنا إذن .. بما أن فردًا واحدًا من هذا الجنس البشرى هو الذى يعيش ولا يدع مجالًا لغيره فى سبل التعايش معه غير امرأته المتعددة مثله .. ألا يحق لنا العمل للقضاء عليه .. ثم العمل على تقويض الأداة التى قد تساعده على السيطرة على الأنواع الأخرى من البشر ؟

فقال باستسلام :

ـ أظن فى ذلك واجبًا حياتيًا لنا على أنفسنا .

أجبته :

ـ مؤكد .. إذن أنا هنا أحمل صفة قيادية ، لتنظيم سرى يدعى (هيئة الحفاظ على الطبيعة البشرية) .. إن هذه الهيئة مهمتها محاربة كل الفصائل البشرية التى استحدثت بفعل العلوم التجريبية التى تمت قبل ثلاثة قرون من الزمن .. والتى اتخذت قاعدة التطبيق العملى المستمر منذ قرنين إلى وقتنا هذا . فأدت إلى إيجاد هذه المخلوقات البشرية المعدلة ..

أنا هنا أقود مجموعة سرية لمحاربة (الإنسان المتعدد) و(إنسان الأنبوبة) ، و(الإنسان الباهت) .. أى أننا نعمل على تنقية الوجود البشرى وإعادته إلى سالف عصره . نموت وتأتى أجيال تعقبنا من أولادنا وأحفادنا .

رد بأسى مبتسمًا بسمة صفراوية :

ـ نموت بحسرتنا .

جاهدت لدس الفكرة واضحة فى دماغه الضخم .. وأنا أخشى أن يكون بليدًا فلا يستوعب ما يلقى إليه .. قلت :

ـ قد يعجب المرء لزهدى فى توأمة نفسى وعدم مقاومتى للرغبة

فى الاستسلام لعوامل الطبيعة عند حلول الأجل .. ربما لأننى غير شاعرة بالخوف من العدم .. إن أكثر ما يعذب المرء ، ويجعله مستديم القلق شديد الرعب كلما كبر فى السن ، واقتربت منيته لعل ذلك ناتج عن محاسبته لنفسه على رغائبها ، وعدم قدرته على كبح جماح تلك الرغائب وخشية مما سيناله من عقاب على اقترافها .. أما لو كان له رأى آخر حول لذة العدم بعد الموت . عندئذ يصبح الأمر عنده سيان . يعيش هانئًا ويموت فرحًا .

قد تقول إن الجسم المادى هو ما ينوبه التحلل والفناء أما الروح فلا . قد تكون هذه المقولة صحيحة . وقد لا تكون . فليس فى وسع إدراكنا الإلمام برأى قطعى لا يقبل الريبة .. قد تحل الروح فى تشكيلة أخرى .. أو قد تتحلل مثلها مثل الجسم عندما تنتشر ذراته ، لتكون مع ذرات أخرى جزئيات لمواد أخرى . وقد يجرى لها ما يجرى لمادة الجسم ، فتلتئم ذراتها مع ذرات الأرواح . لتكون جزئيات لروح جديدة .

فى كل الحالات يجب أن تكون الروح مادة .. ولكن لشفافيتها يصعب على حواسنا إدراكها .

أما إذا كانت العملية لا تعدو كونها تفاعلًا كيميائيًّا كهرومغناطيسيًّا داخل خلايانا العصبية . تحثها على العمل عوامل ميكانيكية من أجهزتنا الجسمانية ــ لكى تعطينا هذه الصفة ــ صفة (الحياة) .. والتى نطلق عليها مجازًا أرواحنا .

فعندئذ لا توجد غير مادة الجسم الذى ندرك جميعًا أنه يتحلل ليكوِّن مواد التربة مع غيره من الأنواع المختلفة .

إذن ففى كل الحالات . سواء وجدت الروح بصورة مستقلة . أو فُتِّتت إلى ذرات . وشكلت مع ذرات أخرى أرواحًا جديدة . غير

الروح القديمة .. أو كانت معدومة أصلًا . فلا وجود لها .. وأن الفعل الكيميائى الكهرومغناطيسى بتحريك ميكانيكى من أجهزة الجسم هو الذى أعطى صفة الحياة .. وأقول فى كل هذه الأحوال لا مبرر مطلقًا للخوف . فلنمت وينتهى دورنا . بعد أن تتناثر ذراتنا الجسدية والروحية .

إذًا النتيجة واحدة . مبعدة للخوف والوجل عن حالة طبيعية هى حالة الموت .. هل تخاف الموت الآن ؟..

فقال .. يبدو أنك ورثت عن جدك (الإنسان الباهت) ماديته الميكانيكية المفرطة . وهذا خطأ فادح يا ابنتى . فأنت ترومين إعادة الحياة الجسدية إلى طبيعتها كما خلقت . وهذا جيد بحد ذاته . ولكنك تشتطين فى تخريب النفس الطبيعية ، لو كان لك مريدون يستمعون إليك .

فاحذرى من إصلاح شىء إعتمادًا على إفساد غيره .. ولو سلمنا لك بما قلت مع عدم التسليم به إطلاقًا .. تبقى لذة الحياة .. ففقدها ليس بالأمر السهل .

برغم قناعتى بحقيقة ما يقول إلا أننى تركت التعليق على حديثه حول طبيعة النفس . وأصررت على فكرتى كى أزيل عنه رهبة الموت . كى لا يسعى لخلوده الفردى ، ويرضى بالخلود النوعى .

فقلت مكابرة ممسكة بآخر عباراته ..

ولكن هناك لذة الصمت .. أو لذة العدم إن جاز التعبير . قس موضوع النوم . ولذة انعدام الوعى .. لماذا ننام ؟.. أليس لأن التفاعل الكيميائى الكهرومغناطيسى داخل دماغك أستنفد جزءًا من طاقته ؟. ولأن المادة الميكانيكية المحركة للوعى شلها الإرهاق .. فهى فى حاجة إلى صيانة كل ثلث المدة تقريبًا من يقظتك ؟

وأنك فيما لو قاومت النوم مدة طويلة تعجز عنها قدراتك لعجل الأمر بك إلى الموت ؟

إذن عملية الموت هى توقف لهذا التفاعل الكيميائى الكهرومغناطيسى توقفًا كاملًا . لبلى الأجهزة العاملة لإنتاجه وتشغيله وصيانته .

ودون أن يعلق على حديثى بالرفض أو التأييد . انصرف إلى مسارٍ آخر بسؤال خارج موضوع الحديث ، فقال وعينه تبرق .

ماذا عن كبح جماح أمر الرغائب بالتخويف .. هل ترخى أعنَّة النفس على هواها فى رأيك ؟

ابتسمت لانحراف فكره . ورددت .

ـ يحسن بك أن يكون لك إيمان مطلق بالأخلاق .. ليس ناتجًا عن الخوف بل تفهمًا لما يجب أن يكون عليه مجتمع مثالى .. فالخلق القويم هو الذى ينبع من النفس مع فطرتها قبل الخضوع للخوف والإرهاب . الخلق مقاومة كل ما يفسد الطبيعة .. إن لدى قناعة تامة بأنه لابد ثمة من الإجبار اللا إرادى للسير بما يخدم الحياة المثالية . كما أرادها خالق هذا الكون .. يحسن بنا أن نلحظ أن كل شيء فى خلق الإنسان والحيوان وما يحيط بهما ويحتويهما ويداخلهما ويتبعهما خلق منظمًا لصالح الشيء القويم . وأن محصلة العمل ناتجة عنه إما رداءة أو طيبًا . سلبًا أو إيجابًا . ولكن معظمنا لا يلحظ ذلك .. ألم تر كيف شذت الحياة عن مسارها عندما استحدث هذا المسخ (الإنسان المتعدد) ، نتيجة لعبثنا وتدخلنا بحق مخلوقات الله القويمة ؟

فقال مندهشًا :

ـ لله فى خلقه شئون .. إن أمرك لعجب .

فقلت .. وما وجه العجب فى أمرى .

ولكنه لم يجب ..

واستمررت أنا فى محاولة إقناعه ، فأدرت الحديث إلى منحى آخر .. ولكن لخدمة نفس الهدف . فقلت :

ـ هل بمقدورك بمدى عمرك هذا .. وإمكاناتك الحالية . أن تتغلب على (الإنسان المتعدد) . الموجود حاليًا ؟.. ولو فرضنا جدلًا أنك تغلبت عليه ..

فقاطعنى المحامى .. لا يمكن هذا .. مستحيل .

ـ جدلًا .. لو حدث هذا من باب الاحتمال ، فمن يضمن لنا ألا يستجد (أبم) آخر .. حيث الكل يرغب فى تخليد نفسه . قد يكون أنا هذا الآخر ، أو يكون أنت .

فقال مستنكرًا .

ـ كلا بالطبع لكننى أفضل لو كان لكل إنسان منا نسخة بديلة عنه ، عندما يموت أو يهرم .. وهكذا دواليك .

فقلت :

ـ لا يمكن أن يحدث هذا كما ترغب .. إن أى إمرئ منا لن تسد حاجته نسخة واحدة .. وسوف يعمل العديد من النسخ له لزيادة متعته . لذا كلما ازداد عمل النسخ ازدادت رغبته فى الشمول أكثر .

إننا بعمرنا القصير هذا ، ترانا نحارب بعضنا البعض ، ونقتل بعضنا البعض ونسرق بعضنا البعض ، فما بالك إذا ازدحمت

الأرض بنا .. كل امرئ وتوائمه . وأبنائه وتوائمهم . وأحفاده وتوائمهم . عندئذ يصبح الأمر مسألة بقاء أو فناء . كما هو حادث الآن .. وعندئذ أيضًا .. إما أنا أو أنت . أو غيرنا سنعمل على تفريغ الأرض من المزاحمين . وما نشاهده من أعمال (الإنسان المتعدد) ، لأكبر دليل على أن الإنسان أنانى بطبعه .. وما الإيثار إلا نوع من السلوك المعدل المستحدث للحاجة إليه للحد من شراهة الإنسان لتملك الأشياء .. أى كنوع من الاتفاق غير المكتوب لجعل الحياة يسيرة التعامل فيما بيننا .. لأنه لا غنى لنا عن بعضنا البعض .. أما (الإنسان المتعدد) فهو غنى بنفسه عن كل ماعداها .. فلوفرة أعداده ، فى ميسوره أن يلبى كل احتياجاته .. إن البيئة عندئذ ستجبرك على نفس سلوك (الإنسان المتعدد) الموجود حاليًا . أى ستُدعِّم غريزة الأنانية فيك .. ثم الأرض لن تتسع لكل ما عليها ، لأن عملية التوالد ستستمر بالإضافة إلى التوأمة .. أم تريدنا نقتل المواليد كيما يسود فصيل التوأم .. أم ..

ـ كلا .. كلا .. ردد المحامى .

فقلت :

إذن كما نرى استحالة عمل التوأمة لأنفسنا من منطلقين ، الأول ـ وهى العقبة الكأداء ـ وقوف (الإنسان المتعدد) حائلًا فى وجوهنا سادًا كافة الطرق المؤدية لذلك . مع تحريم وإعدام كل من يحاول ذلك .. ثانيًا الآثار المترتبة على توأمة كل امرئ لنفسه مستقبلًا حتى لو كان من المستطاع عمل ذلك جدلًا .

إذن ليس أمامنا إلا محاربة هذا (الإنسان المتعدد) .. وتخريب كافة الأدوات التى تساعده على توأمة نفسه .

ـ ليس بمقدورنا فعل شيء إزاءه .. إنه كثر ــ كما تعلمين ــ يحرس معامله ليل نهار .

فقلت في حاولة التغلب على يأسه ..

ـ الكثرة تُغلب بالتنظيم والدهاء .. إن له فكرًا واحدًا .. وإن تعددت نسخه .. أو قل مساعدة فكر زوجته المتعددة إذا أضفنا ذلك . وهى ليست بالغة الذكاء كما يبدو لى .. أما نحن فلنا أفكار عديدة لأننا جمع من الناس .

ردّ المحامى :

ـ ولكن سوف يمحقنا بمجرد أن تخالجه الريبة فينا .. فإذا كان الآن يهادننا فلأنه فى حرب مع (إنسان الأنبوبة) ، ولأنه يعرف أننا أضعف من أن نرفع إصبعًا فى وجهه .. ولكن محاربته تعطيه الفرصة سانحة للقضاء علينا سريعًا .

فقاطعته :

ـ الفرصة سوف يستحدثها عندما يفرغ من حربه مع (إنسان الأنبوبة) للقضاء علينا ، شئنا أم أبينا .. ثم أخبرتك أنه تنظيم سرى .. ثم لا تنسَ أن (إنسان الأنبوبة) هدف آخر لتنظيمنا .. وبما أنكم هنا فى سيرال تملكون أكبر المعامل والمستشفيات لإنتاج هذه الأنواع المعدلة من البشر . فقد كلفت بالمجيء إلى هنا كى ألم صفوفكم وننطلق فى عمل دائب وحدوى . وما دعوتى لك لمناقشة موضوع الميراث لجدى الأقدم (السيد موا) ، ومناقشة التصريح بتقويض مهده .. إلا غطاءً لهذه الحقيقة .. وأعتقد أننى أصبحت واضحة لك تمامًا الآن .

وكعادته قفز بالموضوع فقال :

ـ هناك سؤال آخر .. كيف وثقت بى ؟

ـ لا يعطى الأمر مجالًا للشك .. أنتم مثلنا هدف لتوأم نفسه .

فكما هو الحال معي ، هو الحال معك .. وهو الحال مع أى إنسان طبيعى . حتى لو فرضنا أنك ترغب فى أن تكون عينًا لهم .. حتمًا إنك تعرف كما كلنا نعرف . أنهم لن يتركوك كإنسان طبيعى .. ولن تحصل على أية ميزة مادية كانت ، أو معنوية .. أو حماية من أى نوع . هذه حقيقة معروفة لك كما هى معروفة للجميع .. وقد لمست ذلك من المقابلات العديدة التى تمت بيننا نحن الناس الطبيعيين .. إذن أنا أعرف مسبقًا أنك لن تخوننى .. ثم إنه لابد لأحدنا من المجازفة ، فلو أحجمت عن تبليغك ، أو أحجم غيرى . كيف ترانا نبدأ ؟ .

ـ حقًّا .. ولكن ما العمل الواجب علىّ ؟.

ـ ستعرف هذا لاحقًا .. ما عليك الآن سوى تجنيد نفسك وتعبئة غيرك .. والاتصال بمختلف الطوائف الطبيعية . وإحاطتهم علمًا بما عرفته عن هذه الخلية .. ثم تخطو خطوة تالية . فالأمر ليس سهلًا .

فقال بغِلّ :

ـ ألا اللعنة على القديسة (سلمى) . كما يدعونها ، لو لم تنقذ جدهم (رقم واحد) من موت محقق لما حدث لنا ما حدث الآن .. ولكان لكل إنسان منا رديف له يعالج به هرمه . أو عاهته كما كانوا يفعلون قبل قرنين من الزمن .. ولكنها أفسدت بعاطفتها الهوجاء ، عمل علماء تلك الحقبة لتجعل هذا الفصيل الممسوخ من البشر يسود العالم .

فقلت له :

ـ ليس كل الخطأ من القديسة (سلمى) .. إن علماء تلك الحقبة من أكبر جالبى هموم زماننا هذا .. ألا ترى (إنسان الأنبوبة) كيف تقوقع على نفسه .. وكون مجتمعه الخاص به ؟ هل هذا من فعل القديسة (سلمى) ..؟ ألم تر (الإنسان الباهت) الذى يفيق من سباته ليعاود السبات لمدة أطول ؟ هل هذا من عمل القديسة (سلمى) ؟..

فقال المحامى ساخرًا .

ـ والغريب فى الأمر أننا نجاريهم بتسميتها بالقديسة ، حتى فى مجالسنا الخاصة .. فإذا كانت هى أنقذت جدهم ، أو نسختهم الأقدم .. فهى لم تجلب لنا سوى الدمار ، وكذلك زوجة (رقم واحد) المدعوة (أمل) ، التى يدعونها جدتهم مع أنها النسخة الطبيعية الأقدم لزوجته الآن .

فقلت :

لا أظنك تجهل أننا نجاريهم فى هذه التسمية خوفًا من أن نخطئ باللفظ أمامهم بالاسم مجردًا ، فنجرم حسب قوانينهم ، ويبطش بنا .

دخل الصبى فى هذه الأثناء غرفة المكتب . فصمت ، ولاحظ المحامى ذلك فلزم الصمت هو الآخر . فقال الصبى متسائلًا :

أأنهيتما موضوع الأرث ؟

رددت .. تقريبًا .

ـ ما المشكل إذن .

ـ لا مشكل .. مجرد تنظيم .

ونهضت مودعة المحامى .

★ ★ ★

جمهرة من الناس يفترشون رمل الشاطئ ، ومثلهم يسبح فى مياه البحر ، وكان الجزء الأكبر من تلك الجمهرة من (الإنسان المتعدد) .. والبعض من (إنسان الأنبوبة) .. وقلة قليلة من الإنسان الطبيعى الذى بقى على مبعدة من هؤلاء وأولئك ، لخوفه من الاصدام بأى من هذين الفصيلين ، لأنه يعلم مسبقًا أن أيًّا منهما لن يرحمه .. وأن أيًّا منهما سيكون المبادر للاعتداء عليه ، باختلاق أوهى الأسباب للإيقاع به .

كان الجو صافيًا فى ذلك اليوم الربيعى ، والشمس ساطعة ، حتى لكأنى أكاد أحس لسعتها على ظهور أولئك السابحين .

كنت أرقبهم من خلال زجاج المطعم الذى يغلف الواجهة العريضة له فى الطابق الأرضى ، حيث دأبت منذ وصولى إلى دولة سيرال على اتخاذ طاولة صغيرة لإفطارى فى ركن منزوٍ ، لا يحرمنى من التمتع بمنظر الشاطئ وجمهرة السابحين ، من خلال الزجاج .

هذا الفندق الضخم الفخم ، الذى لا يعرف الأغلب من رواده من غير (الإنسان المتعدد) . أننى المالكة له ، ولكل ما حوله من مبان وأراض شاسعة تحيط به .

. لقد مضى على فى دولة سيرال ما يقارب الثمانية شهور .. مضى الشتاء بثلوجه .. وأقبل الصيف بطقسه الرائع الجميل . وأنا لا أغير زاويتى أبدًا .

كل إفطار أجلس هكذا .. أفكر .. إلى أن ينتصف الضحى . ثم أغادر إلى غرفتى لأتابع القراءة والكتابة .. أو إلى أى مكان آخر حيث تلحقنى وتلحظنى أعين التوائم أينما حللت .

إن عملى السرى فى تعرقل تام .. المحامى لم يكن بالنشاط

المطلوب حتى الأشخاص الذين استطاع اجتذابهم ، بدأوا وقد ملأهم الخوف والرعب من (الإنسان المتعدد) .

كانت الاجتماعات صعبة .. ومما يزيدها صعوبة أنها تتم فرادى ، غالبًا على الشاطئ .

وعندما ألتقى بأحدهم اليوم ، يجب ألا ألتقى بآخر إلا بعد عدة أيام ، زيادة فى الحذر ، وكى يبدو الأمر وكأنه حدث مصادفة .

فكانت هذه اللقاءات المنفردة ، تشتت الفكر وتوزع الكلمة . فيبعد الاستدلال على خط سير عمل منظم . بينما (الإنسان المتعدد) كل يوم تقذف معامله الألوف من توائمه ، وفى المقابل تتناقص أعدادنا بالتدريج .. لأسباب عدة منها المرض وعدم العناية ، أو الاغتيالات السرية ، والدهس المتعمد ، أو الرمى من فوق أسطح البنايات . أو الإغراق فى البحر .. آلاف الضحايا يلاقون حتفهم كل يوم فى حوادث تبدو وكأنها أحداث تلقائية .

وكلما زادت الحوادث ، كلما تباعد الناس عنى خوفًا ورعبًا .

الغريب أنى لم أشعر بالخوف ، ولكن خالجنى الإحباط والألم ، وأسقط فى يدى . لا أدرى من أين أبدأ .. أو كيف أسيّر الأمور وأضبطها .

كان التفكير فى هذه الأمور يشغلنى ، ونظرتى مسمرة على كاتب الحسابات ، وعلى عدد من النادلين دون وعى منى .

إنهم كلًا لواحد هو (الإنسان المتعدد) .

كنت ولا أزال دائمة التساؤل بينى وبين نفسى .. ترى من ألحقهم بالعمل هنا ؟ لم يطلعنى أو يأخذ رأيى أحد ، إن أيًا منهم يعمل داخل الفندق .

واستمر بى التفكير . لابد أنهم استغلوا فرصة موت جدى فأقحموا أنفسهم بطريقة ما .. ليتنى أستطيع التخلص منهم . هذا هو ناظر الاستقبال ، إنه منهم أيضًا ، وموظف العلاقات العامة وشئون الموظفين . إن العملية مدروسة ومخطط لها .. لا فائدة ترجى من مقاومة وجودهم فى الفندق .. لا فائدة ترجى من المقاومة ظاهرة أو مستترة .

ابتسم فى وجهى التوأم القادم يسألنى عن طلبى ، فقلت له إنى لا أرغب سوى كوب من الشاى المخلوط بالحليب .

فقال متوددًا :

تملكين كل شىء ها هنا .. ولا تطلبين شيئًا .

فقلت متصنعة البساطة :

ـ لعل الإحساس بتملك كل شىء يُدعِّم قناعة الزهد .

فخرج فجأة عن موضوع الحديث . إذ قال مغازلًا بوقاحة .

ـ أتعلمين يا آنسة (سلوى) .. أنك جميلة جدًا .. وأن لك قوامًا مغريًا وسحرًا لا يقاوم ؟

لم يكن مفروضًا من نادل مطعم أن يوجه قولًا بمثل هذا التبسط إلى مالكته .. ولكن لم يكن فى مقدورى كبح جماحه خوفًا ورهبة .

فقلت فى تواضع :

ـ شكرًا لهذا الإطراء .

ثم التفت بعينى .. وأردفت ضاحكة لكى أدارى حنقى .

ـ ألا تخشى إذن إحدى زوجاتك .. قد تسمعك إحداهن الآن .

ـ تعنين زوجتى ونسخها .. إنها واحدة .

ـ ولكنها متعددة مثلك .. وأنت لا تستطيع التمييز بينهن لتختص بواحدة .

فقال ساخرًا من جهلى :

ـ ولماذا يلزمنى التمييز ؟.. إنها واحدة رغم الملايين من نسخها .. وأنا واحد رغم الملايين من نسخى . فكونها متعددة لا ينفى كونها واحدة .. الأجزاء التى ترينها كل واحد . وكونى أى جزء من كل أيضًا لا يغير من الواقع شيئًا .. نعم إننى لا أميز بين أجزاء زوجتى .. إلا الجزء الأحدث عهدًا .. وبنفس الوضع هى لا تميز بين أجزائى إلا بنفس الطريقة .. ومع ذلك أنا رجل متدين محرم علىّ الزواج بأكثر من أربع .. لأن أصل نسخى الذى هو (رقم واحد) من لدنكم . بما معناه أننى عربى الأصل .. وإن عشت هذه الأحقاب فى مدينة سيرال ، فأنا لا أنسى موطنى الأول منبع وجودى ، ومع ذلك فإن أعدادًا كبيرة من أجزائى موجود فى وطنى الأصل .. ولولا التقدم العلمى منذ أزمنة بعيدة دعا إلى تركيز وجودنا فى مدينة سيرال .

وسكت لحظة ، ثم استأنف .

ـ ومع ذلك . رغم أن زوجتى لها أكثر من ربع مليار نسخة إلا أنها تعتبر واحدة .. إذن يحق لى فى هذه الحالة أن أتزوج من ثلاث أخريات .

وغمز بعينه وضحك .. وقال كأنه يلفت نظرى بطريقة غير مباشرة ، إلى أنه ليس نادلًا فقط :

ـ انظرى إلىّ ، وأنا أقف هناك أمام مكتب مدير الحسابات ، هل يغير بعد هذا المكان عن نسختى أنه أنا ؟ بل فكرى برئيس الدولة فى مكان أبعد من طاولة الحسابات هذه .. إنه أنا أيضًا .

إنى متواجد فى عدد كثير من الأمكنة وإن شاء الإله سأتواجد فى كل ...

ثم قطع جملته عندما فطن إلى أنه يحدث إنسانة طبيعية ، ولكنى فهمت ما يريد قوله .. واستطرد هو :

لا يعنى هذا العدد من الأجزاء أن كلًا منها كيان مستقل بذاته فكريًا . وإنما جسديًا فقط .

وران الصمت لحظة ، قبل أن أقول :

ـ هل تسمح لى بسؤال ، دون أن أغضبك .

رد بفرح .

ـ لن أغضب منك إطلاقًا .. لأن لك جمالًا غافرًا.

فقلت :

ـ وأنت تحادثنى الآن .. هل يسمعنا ناظر الاستقبال الذى هو فى القاعة الأخرى ؟

فضحك .

ـ ليس من داع إلى سماعنا .. إن قدرة السمع محدودة ، مثلما هى الحاسة عندك . ولكنه يفهم ما يدور بيننا حسب قدرة التركيز على الجزء الذى هو أنا .. وإذا كان مساويًا لى فى العمر يكون الإحساس متطابقًا أكثر .

ـ معنى هذا أن أى واحد يركز على ما يدور بيننا يفهم ما يقال من حديث الآن .

ـ قطعًا .. إنه نسخة منى . حتى فى بلادك البعيدة يشعر ، بما أشعر به نحوك الآن .. ويلتذ به كما ألتذ .. ومع ذلك حسب درجة التركيز كما ذكرت .. على أن يكون فى سن تطابق الانفعالات .
فقلت فى غضب مكبوت :

ـ أرجو أن لا تتجاوز الحد فى حديثك معى .

فضحك .

ـ حسنًا .. هل لأننى نادل فى فندقك .. أنسيت أننى رئيس الدولة .. وأننى الوزير .. وأننى الطبيب والمزارع .

فقلت وقد نسيت غضبى :

ـ أوه .. إن هذا يفجر فى ذهنى العديد من الأسئلة :

ـ إنى مصغ .

قال هذا .. وجذب كرسيًا آخر من طاولة قريبة ، وجلس قبالتى بكل ثقل الند للند ، وليس بصفة مستخدم إلى مخدم .

فقلت متجاوزة حالة الموقف :

ـ بما أنك عديد . فهذا يعرضك لعدد من المواقف المختلفة فى الأماكن المختلفة .. كيف تحس بها جميعًا ؟

فضحك مقهقهًا . وأجاب :

سوف أضرب لك مثالًا عمليًا مبسطًا ..

وأمسك بإحدى يدى .. ولكننى سحبتها منه بسرعة ، ومع ذلك ظل قابضًا عليها بشدة .. وأردف :

ـ لتمسك يدك الأخرى حافة الطاولة .

فلما فعلت . قال :

طبعًا إنك تشعرين بقبضة يدى . وفى نفس الوقت تشعرين بملمس الطاولة .

فقلت مكابرة :

ـ هذا فى مجال ضيق .. ممكن .. ولكنك تعد بالملايين .

فقال :

ـ ألا تحسين بملمس حذائك من جهة ثالثة . وملمس ثوبك على جلدك من جهة رابعة ؟ هذا مثال مصغر مع الفارق طبعًا .. إن أجزاء بدنك ملتحمة مع بعضها البعض .. بينما أجزاء كيانى متناثرة عن بعضها البعض .. ولذا يأتى الإحساس تبعًا إلى لشدة تركيز الفكر عند الجزء الواحد .. ولكن يساعدنى أيضًا أن مساحة الفكر عندى واسعة جدًا .. لأن لى أدمغة عديدة فتكون مساحة الجزء المختص بالذوق مثلًا أو الشحم لديك أصغر بمقدار ما هو متوفر لى من أعداد ، فلو أخذنا حاسة اللمس مثلًا .. وافترضنا أن مساحتها فى مركز الإحساس الخاص بها فى دماغك جزء من المليمتر ، فإنها ستكون عندى هذا الجزء مضروبًا فى ما يتوفر من أعداد من نسخى . ولكن مع هذا لا أستفيد من سعة هذه المساحة ، استفادة كاملة لتطابق أجزائها .. إلا فى حالة تساوى العمر الخلوى .

فقاطعته .

ـ ماذا تقصد بالعمر الخلوى ؟ هل لأنكما متسويين فى السن ؟

ـ نعم لكوننا متساويين فى السن .. ولكن لأننا ولدنا فى زمن واحد وقد يكون أحد الأجزاء مساويًا لى فى السن .. ومع ذلك أكون حضرت إلى هذه الدنيا قبله أو بعده .

واستطرد شارحًا :

ـ قديمًا ولازلتم تعتمدون على شهادات الميلاد لاحتساب عمر

أى منكم .. بينما أثبتت التجارب لدينا وبالتطبيق العملى أن العمر الزمنى ليس دقيقًا وآخر ما يمكن الاعتماد عليه لحساب العمر مقارنًا بأناس آخرين .. إن بنية الخلية هى ما يعتمد عليها عندنا فى تقدير عمر الجزء ليكون التطابق تامًّا .

ـ لم أفهم بعد .

فقال شارحًا :

ـ لنفرض أن أحد أجزائى جاء إلى هذا العالم قبل مجىء جزء آخر . بفترة قد تطول ، أو تقصر . ولكن تركيبه الخلوى محتفظ بجدته وحيويته . ويمارس نشاطه بنفس الدرجة التى تمارسها الخلايا عند الجزء الآخر برغم أن الأخير أصغر منه زمنًا .. عندئذ لا نلقى اعتبارًا إلى الفارق الزمنى بينهما . ويعتبر الاثنان متساويين فى العمر .. وعمليًّا تكون كل مشاعرهما متطابقة تطابقًا تامًّا .. حتى وإن كانوا يعدون بالملايين .. والعكس صحيح أيضًا .. فلو كان أحد الأجزاء مساويًا للجزء الآخر في العمر الزمنى ، ولكن شاخت الخلية عنده قبل أن تشيخ عند الآخر ، وقل نشاطها وحيويتها .. عندئذ لا يملك هذا الأخير الإحساس والمشاعر بنفس الدرجة التى يشعر بها الآخر . قد يحس بها ولكن بدرجة باهتة .

وأضاف :

ـ فضلًا عن ذلك إن الخبرات التى تضاف إلى فكر أى جزء نتيجة للظروف المحيطة به ، تختلف طبعًا عن الخبرات التى تضاف إلى نسخة أخرى . ولكنها تتراكم على نفس النوعية من خلايا المخ الخاصة بها . ولذا فأحيانًا تنسخ ما سبق منها . وأحيانًا تلتصق بها طبقًا لأهميتها . طبعًا الموضوع خارج نطاق تصورك ولن تشعرى به تمامًا إلا إذا توأمت نفسك .

وأردف ضاحكًا :

. إن لدىّ الاستعداد لتوأمتك . برغم غضب زوجتى .. حتمًا ستسعى إلى تدميرك .. ولكنى قادر على حمايتك .

فتجاهلت إشارته ، وكنت أعلم أن زوجته دمرت العديد من الحاضنات ألتى تضم توائم أخريات كان لهذا المسخ يد فيها ، فقلت لمجرد تغيير دفة الحديث :

ـ ولكن يقل الإحساس إذا تكاثفت علي الملامس .. ثم إن الإحساس لشيئين أو أكثر فى وقت واحد يتفاوت بدرجة التركيز على أحدها دون الآخر .

فرد مصدقًا على قولى :

ـ وهذا يحدث معى أيضًا .. مبلغ أهمية الحدث تعطى إحساسًا أكثر به دون ريب إن استمتاعى الآن بقبضة يدك موجودة فى ذهنى أينما أكون . ولكن تركيزى يكون أكبر فى الجزء الموجود أمامك .

فسحبت يدى وقد شعرت بحرارة شديدة تغمر وجهى وعنقى . ليس بسبب من خجل ، ولكن لعظيم غضبى الذى لم أستطع التعبير عنه لشدة خوفى منه ، وكى أدارى هذا الانفعال الذى يكاد يعمى بصيرتى . واصلت أسئلتى :

ـ ليس فى ميسورنا التكلم فى عدة مواضيع فى آن واحد . ولكن أنت لديك الملايين من الألسن التى تجعلك تتحدث بشتى المواضيع فى شتى المواقف . فكيف يحدث هذا ؟

ردّ :

ـ لا غرابة أبدًا . طالما أن لديك عددًا من الأعضاء المالكة لحرية الحركة فمن المستطاع استعمالها فى آن واحد .. انظرى إلى

يديك إنهما يستطيعان التحرك كل على حدة ، وفى اتجاهين متضادين فى آن واحد .

وكذلك فى مقدورك أن تفعلى لو كان لديك أكثر من عشرة أيدى مثلا .. وقيسى على كافة الأعضاء الأخرى . سينطبق عليهم ما ينطبق على يديك الاثنتين .. وإن المستفيد فى زيادة الأعضاء قدراتك الحركية ، وأنت فى استطاعتك إيقاف بعض هذه الأعضاء أو جعلها تتحرك كلها دفعة واحدة فى اتجاه واحد أو فى اتجاهات مختلفة ، خاصة فى مثال الحالة التى نحن عليها لامتلاك أعضائنا حرية أكبر فى مجال الحركة .. لذا نحن نتكلم فى عدة مواضيع وأحيانًا بنفس الألفاظ وبنفس الوقت ، وذلك عندما نريد أن نبهر شخصًا ما ، أو نسخر منه . ولكن فى الغالب كل جزء منا يتكلم حسب الموقف الذى يجد نفسه فيه .

وتذكرت شكوى أخى .. اللعنة .

وسكت هو .. ولكنى لم أسكت .. كان ألم ممضّ يعتصرنى .. إن لم أتحدث كى أنسى وإلا سأنفجر .. قلت له :

ـ ماذا عن ألم الموت ؟.. كيف تشعر لو مات أحد نسخك ؟..

ـ كما تشعرين عندما تسقط خلية ميتة من جلدك .. ولكن الوضع يختلف إذا كانت النسخة يافعة .. فعندئذ يكون الألم كقطع إصبع أو جرح غائر فى مكان ما من جسدك . موضع سبب الموت . ثم إن شدة الألم خاضعة لعدة اعتبارات مادية وغيرها مثل العمر الخلوى .. التركيز الذى يتعلق به البعد المكانى أو العوامل الظرفية .. وهكذا .. ولذا لا نشعر بالألم إلا فى حالات قليلة جدًا .

أسئلتى العديدة أفادتنى (اعرف عدوك) رددت هذه الحكمة القديمة مع نفسى ، وواصلت حوارى معه :

ـ ألا يوجد أي جزء منك فى هذه اللحظة نفسها يقوم بعمل مهم مثل إدارة شئون الدولة .

ـ نعم .. أنا الآن كرئيس للدولة أظهر أوراقًا قدمها جزء منى ، الذى هو رئيس المحكمة ، فعندما كنت ممسكًا بالقلم أقوم بعملية الإمضاء غاب إحساسى بيدك لجزء ضئيل من الوقت .. فعملية التخاطر على البعد تصبح واضحة تمامًا ، عندما يكون العمل على جانب كبير من الأهمية . مع العلم بأن رئيس الدولة أكبر منى سنًا زمنيًا وخلويًا .. ولكن للتركيز الشديد على الموضوع ، لأنه محتوم للصالح العام . حدث الانتباه لدىّ .

قلت لنفسى .. بل لصالحك أيها المسخ .. ولكن لم تواتنى الجرأة للسؤال عن نوع هذا العمل .. بل قلت .

ـ وهل تتم مناقشة بينك كرئيس للدولة ورئيس للوزارة .

ـ أبدًا فأى جزء منى يقرّ الجزء الآخر ـ أو ليس بهذا المفهوم فكل جزء منى هو صاحب القرار .

ـ إذن لِمَ لا يقوم رئيس الحكومة بالإجراءات كاملة ؟

فقال ضاحكًا :

ـ أمور شكلية من بقايا مخلفاتك ، ثم إن هذه الأمور تخص كل فصائل الإنسان .. ولكن عندما يستتب الأمر لنا لن نحتاج إلى كل هذه الشكليات .. لا تنسى أن هناك فى ديوان الدولة العديد من الموظفين أناس طبيعين كما يحلو لكم أن تدعوا أنفسكم ، (إنسان الأنبوبة) ، فأنا أقوم بهذه الشكليات كى تكون المسألة مقبولة لديكم .. وإلا دخلت فى صراع أكبر مما هو حادث الآن .

فقلت فى عملية جس نبض :

ـ ولكنك متفوق الآن .. فلماذا تحسب لغيرك حسابًا .

ـ أنا متفوق عدديًا .. ولكن لدى فكر واحد .. أما أنتم فأقل عددًا ، ولكن أوفر فكرًا .. وكذلك (إنسان الأنبوبة) .. ثم إن مجموعكم يوازى عددنا ..

فقلت :

ـ مقابل تعدد الأفكار التى لدينا ، فأنت لك فكر متطور بشكل رهيب لكثرة ما زاولت من أعمال . لتعدد الظروف والأمكنة والطول الزمنى الذى عشته بخبراته الجمة ثم إن لك رإيًا واحدًا ، وبالتالى موقفًا واحدًا ، ولكن نحن لتعدد الآراء نتيجة لتنوع الأفكار يضعف موقفنا .. ولكن لى سؤال أخير ، لماذا لا تحد من سرعة انتشارك ؟

فانبرى قائلًا :

ـ من يضمن لى أن أحدًا غيرى لا يأتى فيوسع انتشاره .. وبالتالى تقضى علىّ.إن سعة انتشارى حماية لوجودى .. إنى سأقضى على كل رجل يعارضنى فى هذا العالم ، لأن الموت ليس شرابًا سائغًا ، فلو أوقفت انتشارى لمتّ كما يحدث لغيرى فأنا أحافظ على بقائى ، وها أنا أعيش وأكاد أختتم ثلاثة قرون .. وسأعيش إلى الأبد .

فرددت مجادلة :

تستطيع المحافظة على إدامة بقائك بأعداد قليلة :

ـ عندئذ تتغلبون علىّ .. أو أحد منكم يتوئم نفسه فيتغلب على الجميع .. إننى مضطر لتوفير انتشارى والقضاء على كل ما عداى .. ثم لا تنسى المتعة المضاعفة بكمّ أعدادى التى تصاحب ذلك الانتشار .. إنها سعادة غامرة لا يمكنك تصورها ، إلا إذا

ما عايشتيها .. ولذا فإن أى أحد غيرى ، إذا تمكن من التوأمة سيفعل فعلى .. وهنا مكمن الخطورة علىّ .

ـ يمكن ترتيب الأمر باتفاقية ، أو سن قانون محلى أو دولى أو أممى يحرم على كل امرئ أن يعمل أكثر من ثلاث نسخ له فى كل مرة ، أى عندما يهرم أحد نسخه ويموت يستحدث غيره .. وحتى لو مات الاثنان معًا يعمل له نسختان فى نفس الآن .. وبذلك تعطى الفرصة للجميع .

ضحك حتى كاد يستلقى على قفاه .

ـ إذن أنتم لستم معارضين ، كما تدعون وتروجون فى مجالسكم الخاصة .. ولكن محاربين لنا ، لأن ليس لكم مجال معنا . اعلمى ياسيدتى لو كنتم من القارئين للتاريخ لعلمت أنه من أول نشأة هذا التاريخ ، أى من قديم الزمن الأقدم وإلى يومنا هذا ، أن جميع الاتفاقات والعهود والمواثيق . بل معها القوانين والنواميس . سواء أكانت أممية أو دولية ، أو فردية .. تلغى بجرة قلم ويستحدث غيرها . أو قد لا يستحدث . وذلك ليس باتفاق الأطراف فى الأغلب الأعم .. بل من قبل أحدهم . الذى قد يرى منفردًا وقد استغنى عنها لأنه أصبح الأقوى دونها .

واعلمى أيضًا أن أى اتفاق يعقد ، أو قانون يسن ، ليس إلا لدرء عجز عن نيل حق أو باطل ، يشمل الطرفين معًا .. وما القانون سوى حائط واه يستند عليه الأضعف ، حتى يصبح الأقوى فيقوضه على رأس الآخر . فالقوانين ياسيدتى ليست أخلاقية .. ولا تتمسك بقواعد الأخلاق .. وإن جاءت لتحميها فى بعض تشريعاتها ، وتلقفت الكلمة . فقلت :

ـ وماذا عن الأخلاق ؟ أليس من الأخلاق إتاحة الفرصة للجميع ؟ ضحك .. وقد بدا أن حديثى يطربه . ورد :

ـ حب البقاء ينسخ الأخلاق ، إذا حدث تعارض بينهما .. هل تمنعك أخلاقك ، من سرقة لقمة تقوم بأودك .. إذا لم يتيسر لك سبيل آخر للحصول عليها ؟

واستأنف :

ـ لو أتيحت الفرصة للإنسان الطبيعى لقتل (الإنسان المتعدد) الذى يهدد وجوده .. هل يتردد ويفلت الفرصة .. هيه ..؟

وعندما لم أجب .. تابع :

ـ أليست السرقة غير أخلاقية .. أليس القتل جريمة ؟.. أين الأخلاق التى تنادون بها ؟ قد تقولين إنكم تحمون وجودكم .. وتدافعون عن أنفسكم .. وسأقول وهذه حجتنا أيضًا .. وحجة كل متعلل .. إذن فالمناداة بالأخلاق فى مثل هذه المواقف حجة العاجز الضعيف وهى نسبية تفسر حسب مصلحة وظرف الطرف الأقوى ، واستطرد قائلًا :

ـ حتمًا ستكون أخلاقك عالية فيما لو حافظت عليها دون تهديد .

فقلت :

ـ وأكون قديسة لو حافظت عليها مع وجود التهديد .

فرد :

ـ هراء .. ليس هناك قديسون .. حتى ما ندعوه بالقديسين هم فى الحقيقة كانوا واثقين من النصر .. لم يروا غير النصر .. ولم يعوا الهزيمة أبدًا لسوء تقديرهم .. وإلا لكانوا أول الفارين .

ـ أحسست بانقباض فاندفعت قائلة :

ـ وامرأتك تسعى للقضاء على كل امرأة فى العالم عداها .. إذن أنتم سائرون إلى نتيجة واحدة .

فاستثنى بسرعة :

ـ إلا إذا كان الفصيل الآخر . لا يسبب لنا أية مشاكل عندئذ ندعه يعيش بسلام .. على أية حال تبين لى من حديثك . أنك لست بالفتاة الغبية .. ولا بالسهلة .. وهذا أمتعنى كثيرًا .

فلم أرد .. أردت أن ينتهى الحديث معه عند هذا الحد .. إذ رأيت أن بقائى مع هذا التوأم ، قد ينتج عنه ما لا أعرفه من الإشكالات اللفظية ، التى قد تؤدى إلى الاصطدام به .

ففضلت أن أنهض معتذرة ببعض المشاغل .

وهكذا غادرت دون أن ألتفت إلى أى منهم داخل المطعم .

وأنا أهم بالخروج شاهدت أخى مقبلًا . فخشيت عليه مغبة ثرثرته . أمسكت بيده ، وقدته معى إلى الشاطئ .

هناك جلس كل منا على صخرة كبيرة منعزلة . وسرحت بأفكارى تاركة أخى يعبث بثقوب الصخرة باحثًا عن الديدان .

نظرت إليه فى استغراقه . لكم هو برىء وطفولى .. ولكن برغم براءة من هم فى مثل سنه ، إلا أن الظروف التى وجد بها جعلته يحمل عبئًا كبيرًا ، مثله فى ذلك مثل أى إنسان طبيعى واقع تحت نير فصائل أخرى معدلة التكوين .

إنى حتى الآن لم أذكر لأخى أى شىء عن عملى السرى . خاصة بعد ما عانيت من إحباطات هذا العمل .

وإنى لشديدة الرغبة فى تدريبه على بعض المهام البسيطة ، ولكن أخشى مغبة تسرعه . إنه ليس على شاكلتى من تكتم لأى أمر من الأمور أو حتى التروى فيه . ربما لصغر سنه .. أو ربما لطبع فيه : وبينما أنا غارقة فى لجج من أفكارى . أهم بمحادثته ثم أتراجع . إذ ابتدرنى قائلا :

ـ لكم هى الحياة جميلة ها هنا .

فالتفت إليه مستغربة .

ـ ما الذى غير رأيك ؟.. كنت منذ بدء وصولنا ، وإلى وقت قريب جدًا وأنت متبرم بكل شىء .. وتلح فى العودة إلى بلادنا .

فقال الفتى :

ـ ربما كنا مخطئين فى نظرتنا إلى الأمور .

ازداد استغرابى . وأنا أقول .. أية أمور كنا مخطئين بها ؟

أجاب :

ـ مثلًا .. نظرة العداء ، التى كنا نلقيها إلى (الإنسان المتعدد) .. إنه إنسان مثقف . على درجة من كرم الأخلاق والطيبة ..

ثم قبل أن يتم حديثه .. وقبل أن أعبر أنا عن دهشتى لتحول آرائه تساءل :

ـ من هى القديسة (سلمى) والجدة (أمل) ، والجد (رقم واحد) ؟ إننى أسمع هذه الأسماء .. ولا أعرف أصحابها .

فقلت معاتبة :

ـ أنت ترفض قراءة التاريخ .. ولا تقرأ منه إلا ما يؤهلك

للإجابة على أسئلة المدرس عند الاختبار .. أتعرف لو كنت فى مدرسة نظامية كما كان عليه أجدادنا ، لما استطعت اجتياز الاختبار أبدًا .. إنك لا تبذل جهدًا جديًا فى تحصيل العلوم .. مع أننا فى وضع من يجب عليه الاستماتة فى تحصيلها كى نحمى أنفسنا .

فتبرم الفتى .. قائلًا :

ـ أخشى أن أقول لك شيئًا فتغضبى .

ـ قل :

ـ لِمَ عند كل سؤال موجه منى إليك ، تكررين علىّ نصائحك المعادة .. أتعلمين أن مجلسك ممل .. وأنك لا تلقين بالًا إلى ما يجعلك محببة الحديث لدى الآخرين ؟ لماذا تعتقدين أنك الأعرف بمصالح غيرك ، أتعلمين أتعلمين ؟ أنك تتظاهرين أحيانًا بأنك انصعت لنصح الاخرين كى تضربى لى المثل للانصياع .. ولكنى أفهم دوافع تظاهرك ذاك .. لماذا تظنين أنى أقل منك فهمًا ؟ هل هذا لأنك الأكبر منّى سنًا ؟.. أتقبلين نصيحة واحدة فقط ؟ لن أكررها ؟

وعندما نظرت إليه .. قال :

ـ لا تقدمى نصحًا لأحد .. عندئذ يكون لك مجلس رائع .

نظرت إليه نظرة تأنيب طويلة .. وقد كظمت غيظى لأقول :

ـ حسنًا أنت وشأنك .. ولكن أسمع الإجابة على سؤالك :

منذ ما يقارب الثلاثة قرون مضت كان (الإنسان المتعدد) . وكذلك (الإنسان الباهت) ومعهم (إنسان الأنبوبة) . كل هذه الفصائل فى طور التجريب المبدئى . وليس كما هو حاصل الآن ..

لنأخذ الموضوع مرحلة مرحلة . حسب تسلسلها التاريخى .

كانت أول التجارب العلمية على (الإنسان الباهت) . وكان ذلك على جدنا السيد (موا) . الذي نحن من سلالة حفيدته (تودا) . تسأل مستغربًا :

ـ ألسنا نحن أناسًا طبيعيين ؟ كيف نأتي من سلالة (موا) المجمد ؟..

رددت :

ـ نحن من سلالة حفيدته (تودا) . التي جاءت من سلالته قبل أن يجمد نفسه . ويصبح إنسانًا باهتًا بقرنين من الزمن .. وعملية تجميده لا تمنع كونه أحد أجدادنا القدماء من جهة أمنا .. لقد جمد نفسه بعد أن أنجب أسلافنا الذين نحن من سلالة حفيدتهم .. على أي حال . لقد انقرض كل (الإنسان الباهت) بعد أن تعرضت أمهدته الباردة لحملات تدميرية من قبل (الإنسان المتعدد) لم يبق سوى جدنا (موا) .. برغم أنه الأقدم . لأنه أول إنسان باهت وجد على ظهر الأرض .. ولكن قريبًا سوف يلحق بأمثاله ، فقد أعطيت تفويضًا بالموافقة على تدمير مهده البارد . لقد أعطيت التفويض هذا بضغط من (الإنسان المتعدد) الذي لن يتردد عن تقويض مهده سواء رضيت أم أبيت .. وبهذا يكون قد قضى على (الإنسان الباهت) قضاء مبرمًا .. وإذا أردت المزيد من المعرفة عن هذا الإنسان فما عليك سوى قراءة تاريخ نشأته ، في قصة (الإنسان الباهت) التاريخية . وسوف تُلم بكل تفاصيل حياته وصفاته .

ثم لنأخذ الحديث عن هذا (الإنسان المتعدد) . الذي يكاد يغطي بوجوده كونية الأرض .. وأعني به (رقم واحد) .

(ورقم واحد) . هو الجد الأكبر لهم كما يدعونه تجاوزًا . لأنه في الحقيقة الواقعة ما هو إلا النسخة الأصلية منهم ، التي نسخ

من تكرارها هذا العدد المهول .. إنهم يبلغون الآن نصف مجموع سكان الكرة الأرضية والنصف الباقى ، الثلث منه الإنسان الطبيعى . الذى مآله إلى الانقراض التدريجى . كما هو باد من سير الأمور ، إن لم نتدارك الأمر بالسرعة والتكتيك المنظم .. أما الثلثان الباقيان فهم من (إنسان الأنابيب) .

منذ ثلاثة قرون تقريبًا (رقم واحد) يتكرر بمعدل يتزايد سنويًا .

إضافة إلى أن السيطرة الكاملة استتبت له على جميع مقدرات الأرض بما فيها من أرزاق الناس . لقد سيطر على المعامل والمصانع والزراعة وشتى فروع الانتاج الأخرى .. ولم يترك لنا نحن (الإنسان الطبيعى) سوى أشياء هامشية . حتى الثروات الطائلة التى يمتلكها الإنسان الطبيعى أصبحت لا تساوى شيئًا . لأنها لا قيمة لها تجاه ما نحتاجه من أشياء (فالإنسان المتعدد) . غير محتاج إلى ثروة ، فهو يزود بعضه بعضًا دون تداول العملات . وعندما نعرض عليه عملاتنا لا يقبلها لأن كل ما نملك لا يساوى فى نظره حفنة من القمح الذى نحتاجه .. ولولا حاجة (إنسان الأنبوبة) إلى ما معنا من عملات لمتنا جوعًا . ولكن هذا الأخير أقل منه سطوة .. ومآله الزوال أيضًا مثلنا تمامًا . وإن كان يبدو أقوى منا الآن ، ولكنه قطعًا أضعف منه ، وربما يأتى يوم يرفض هذا أيضًا بيعنا شيئًا ، أو التعامل معنا مشترطًا أن نتكاثر على طريقته . كما يفعل الآن فى اشتراطه دخولنا مدارسه .

والآن كما ترى .. أعداد هذا (الإنسان المتعدد) تغطى نصف الكرة الأرضية ، حسب آخر إحصائية عملها هو .. أما مستقبلًا كما هو متوقع فى الحقيقة ، وكما يتخيل هو ويخطط له ستغطى أعداده كل حيز . وبناء عليه لن يكون لنا مكان عليها . ولا (إنسان

الأنبوبة) أيضًا . نعم سوف يضيق علينا الخناق لتدميرنا .. إذا لم يؤد الأمر بنا إلى الانقراض التدريجي لسوء الظروف المعيشية كما هو حادث الآن .. لا أحد يعلم .. لا أحد يعلم بصورة أكيدة ماذا يمكن أن يحدث من متغيرات فى القريب أو البعيد من الزمن .

على أية حال ها هى الحرب سجال بينهما ، حرب خفية ، وحرب معلنة . وكل جانب منهما فى محاولة دائبة لتدمير معامل الإنتاج للجانب الآخر . وكما ترى فهذا التدمير لا يشمل تدمير مصانع ومعامل التغذية أو المعدات أو الأجهزة . أو تخريب المدن وقتل الأفراد والجماعات كما هو حادث في سالف الأزمنة . بل فى معامل خلق هؤلاء الفصائل المُستجدة .. أى تدمير معامل التكرار الخاصة (بالإنسان المتعدد) من جانب .. ومن جانب آخر تدمير معامل التلقيح فى الأنابيب لخلق (إنسان الأنبوبة) . ويا ليت الطرفين يفلحان فى ذلك لكنا تخلصنا من هذين الفصيلين المستحدثين كما تخلصنا من (الإنسان الباهت) ولعادت الأرض . كما كانت عليه قبل بضع قرون .

وألقيت نظرة إلى أخى الغارق فى صمته . واستأنفت :

ـ سوف أقص عليك نبذة موجزة من تاريخ (الإنسان المتعدد) .. أما إذا أردت معرفة كل شىء تفصيليًا عن هذا الفصيل . فما عليك سوى قراءة قصة (الإنسان المتعدد) .. وسوف تعرف تاريخ نشأته .

وسكتّ لأزدَرِد رِيقى . ثم استأنفت بحرارة .

ـ اسمع يا أعز الناس . كانت التجارب المبدئية لعمل التوائم تهدف إلى إيجاد قطع غيار للإنسان الطبيعى يستعان بها عند اللزوم .. أى عندما يصاب المتوأم له بمرض . أو عندما يشيخ أو يتعرض لحادث . وذلك بإيجاد نسخة طبق الأصل منه لترقيعه ، وكانت من

مهام هذا العمل أيضًا تعطيل القدرات الفكرية والحركية لهذا الإنسان المصنع عند إنتاجه ، كى يفيد منه الإنسان الطبيعى فى عمليات ترقيع متعددة ، ولكن لسوء حظ البشرية الطبيعية أن أحد هذه التوائم ، أفلت بطريقة ما نتيجة لخطأ معملى .. تجد بيان هذه الأحداث فى قصة (الإنسان المتعدد) .

وكان رقم واحد الذى هو (الإنسان المتعدد) الآن هو أول إنتاج (للإنسان الأبم) الذى هو (الملعون عادل) .

قلت كان (رقم واحد) أول قطعة غيار بشرية أنتجت ، والذى استطاع أن ينجو كما ذكرت بطريقة ما من تعطيل قدراته الفكرية والحركية ، ومن ثم أصبح فى ميسوره التعايش بطريقة طبيعية مع الإنسان الطبيعى . وتحت حماية الإنسانة الطبيعية ، التى تبرعت بحمله فى أحشائها ، برغم أنه ليس من صلبها . ولا توأمًا لها ، والمدعوة (سلمى) والتى تدعى الآن (بالقديسة سلمى) نعم إنها هى التى حمت نسختهم الأصل ـ (رقم واحد) ـ من الموت المحقق المرصود له بحتمية من قبل الذى توأمه لأجله والمدعو (الملعون عادل) كما يدعونه الآن .

فقاطعنى الصبى .. آه فهمت الآن من هو الملعون (عادل) .

ـ نعم إنه الرجل الذى كان (رقم واحد) توأمًا له ..وكان يصر على استعماله هذا الأخير كقطعة غيار له . بالرغم من أن (رقم واحد) لم يفقد قدراته الفكرية أو الحركية ، كما كان مقدرًا له كما ذكرت . وقد أفلت من الموت المحقق بمعاونة والدته (القديسة سلمى) التى حمته من الاستعمال كقطعة غيار لمنجبه .

ـ حسنًا أتمى .

ـ لقد أطلق عليه (رقم واحد) لأنه أول توأم كما قلنا ..

وقد أحب هذا فتاة لقيطة تدعى (أمل) فتزوجها .. وبما أنه عقيم لا ينجب مثل كل نسخه الآن .. فقد توأم نفسه وكذلك فعلت زوجته (أمل) فتزوج توأمه العقيم من توائمها العقيمات . وهكذا استمر عمل التوأمة إلى عصرنا هذا ، بتزايد مستمر وبخط بيانى متصاعد عامًا بعد عام إلى يومنا هذا ، لذا نسمع ترديد الجد (رقم واحد) والجدة (أمل) والقديسة (سلمى) و (الملعون عادل) .

فقال الفتى وكيف تتم عملية توأمة (رقم واحد) .

ـ كما تتم الآن فى معامله ، إن كنت تجهل هذا فسوف أشرحه لك شرحًا مبسطًا .

تكشط الخلية البالغة من جسم المرء المراد توأمته . وتؤخذ بويضة من امرأة ما .. وبعد أن تفرغ منها نواتها لأنها تحتوى على نصف العدد من الكروموسومات ، ومن ثم تزرع البويضة الملقحة بالخلية البالغة والمحتوية على العدد الكامل من الكروموسومات فى رحم امرأة مهيأ لحالة الحمل كيميائيًا .. وبعد تسعة شهور تنجب توأمًا مطابقًا تمام المطابقة للمرء الذى كشطت منه الخلية .

ـ ولكن امرأة (الإنسان المتعدد) عقيم مثله .

ـ ولكن لديها رحمًا يستطيع حضن الجنين بعد تهيئته ، أما البويضة فقد كانوا قديمًا يغرون النساء الطبيعيات بانمال لإنتاج البويضات لهم . ولكن بعد أن استفحل أمرهم ولم تعد الإغراءات ذات فائدة . أخذوا فى خطف النساء الطبيعيات بغرض إنتاج البويضات . وكان يعطى للمرأة منهن حافز منشط لإفراز قدر كبير من البويضات فى مدد قليلة . ثم تزرع بعدئذ فى رحم (امرأته المتعددة) . ولذا فإن امرأته تحمل نوعين من (الأبم) . مرة تنجب الذكور المكررة لزوجها ومرة تنجب نفسها

تكرارًا ولذلك ، تكون (المرأة المتعددة) أكثر أصالة ، وأشد تركيزًا على ذاتها ، من (الرجل المتعدد) .. ففوق أن توائمها تحمل كروموسوماتها ، فهى أيضًا تتغذى على دمها ، وبذلك فى ميسور المرأة المتعددة الاستغناء عن زوجها فى استمرار بقائها ، ولكنه هو لا يستطيع ذلك .

فقال الفتى ضاحكًا :

ـ ألا تخافين أن يخطفوك لتنجبى لهم البويضات .

ضحكت أنا الأخرى .

ـ اطمئن .. لقد أقلعوا عن هذا العمل . بعد أن أصيبت المختطفات بنوع من المرض النفسى مما أدى إلى تعطيل عمل الرحم ، مهما أعطين من محفزات ، فمعظم المخطوفات عجزن عن إفراز البويضات ، وأصابهن العقم المفاجئ ولكن لم يتركن وشأنهن . خشية الإعلان عن أساليبهم الوحشية فى معاملتهم لهن ، فقتلن . بعد ذلك قام الكثير من الأطباء العلماء الطبيعيون قبل نصف قرن مضى ، بمساعدة (الإنسان المتعدد) بإجراء العديد من التجارب لإنتاج بويضات صناعية خالية من الكرموسومات . وذلك لعتق النساء الطبيعيات من عمليات الاختطاف تلك ، وقد نجحوا فى إنتاج تلك البويضات الصناعية الخالية من الكروموسومات حيث تزرع فيها الخلية البالغة ومن ثم تزرع بعدئذ فى رحم (المرأة المتعددة) من ذلك الآن وإلى يومنا هذا .

ولم يتطرق إلى أذهان أولئك العلماء ، أن هذا العمل له المردود السيء أيضًا . إذ أصبح (الإنسان المتعدد) فى غني تمامًا عن الإنسان الطبيعى ، مما أدى إلى تهديد وجوده .. وها أنت ترى ما نحن عليه الآن .

على أية حال تستطيع الإلمام بالتفاصيل أكثر لو قرأت سيرة حياة

(رقم واحد) فى قصة (الإنسان المتعدد) . وهى قصة تاريخية قديمة جدًا روتها زوجته (أمل) . الأصل الطبيعى من زوجته الآن تجدها الآن فى المكتبات . وهى لديهم بمثابة كتاب مقدس يوالون ، طباعته والحفاظ عليه دومًا .

بعد هذه المحاضرة المطولة شعرت بالرضا عن نفسى لأنى استطعت إخضاع هذا الفتى العنيد دون علمه إلى الاستماع إلى درس نظرى فى العلوم والتاريخ والسياسة فى آن واحد . ونحن جالسان على الصخرة .. حيث لا مكان لدينا نحن الناس الطبيعيين ، لتلقى الدرس سوى مدارس (إنسان الأنبوبة) . التى يشترط على من يريد الالتحاق بها أن ينجب بنفس الطريقة التى جاء بها حتى وإن لم تكن به حاجة لذلك .

أما مدارس (الإنسان المتعدد) . فمحرم علينا دخولها البتة كما أنها تحوى أنماطًا معينة من العلوم والتدريب عليها . لا تعدو كونها عما يحتاجونه فى حياتهم المميزة بهم .

بعد مشاعر الرضا تلك . تذكرت بدء الحوار مع أخى فأحسست هاجسًا مؤلمًا يحز فى نفسى ، فقلت متسائلة :

ـ والآن جاء دورك لقد ذكرت فى بدء الحديث أنك كنت مخطئًا بنظرتك للأمور .. ترى ما وجه الخطأ فى رأيك .

فقال الفتى بتلقائية :

ـ مثلًا .. العداء الذى نكنه نحو (الإنسان المتعدد) .. مع أنه لا يعدو كونه إنسانًا يفعم داخله بالكثير من الخير والشر مثل أى واحد منا . وإن من مصلحته أن يحمى نفسه من أى خطر يهدد وجوده .. فإذا كنا مصدر خطر له سيحاربنا . ولذا يجب علينا أن نعرف كيف نتعامل معه .

فقلت بسلاسة أكثر . وقد تحفزت كافة قوى الانتباه فى داخلى .

ـ أهذا رأيك برغم كل ما ذكرته لك قبل لحظات ؟

ـ نعم .. أنت تحملين وجهة نظر تحجب عنك رؤية أى شىء دونها .

ـ أحقًا ما تقول ؟.. كل شىء جائز فى فكر الإنسان .. أظن أن ما قلته لا يعدو المنطق .. فمعظمنا يجهل كيفية التعامل معه . لقد حفزت فضولى .. هل أستطيع أن أعرف منك كيف أكسب صداقته ؟

أو على الأقل تبيان الحجب التى تغلف وجهة نظرى . كما تقول ؟ فقال الفتى مسرورًا :

ـ أنا أدلك على طريقة تجعله يحبك .. وأيضًا يساعدك على توأمة نفسك لو أردت ذلك .

قلت بانفعال شديد :

ـ كيف ؟.. كيف ؟.. ليت هذا يتم حقًّا .

أظن أن الاهتمام بان بشدة على، وجهى . إذ لم أفلح فى كبح ما بى . مما أدى بالفتى إلى أن ينتبه إلى اعترافى . فرد دهشًا :

ـ كنت من أشد المعارضين لفكرة التوأمة .. ما الذى غيرك ؟

آه .. لقد فطن إلى سرعة لهفتى . فلزم جانب الحذر .. خشية أن استدرجه .. يا له من صبى ماكر .. جهرت بصوتى .

ـ حديثك الآن .. أتظن أن أى امرئ عاقل يرفض الخلود ؟

فقال بشك ظاهر :

ـ كان هذا رأيى دائمًا .. وأما أنت فلا .

فقلت بإلحاح . وقد أفلت زمامى :

ـ ولكن قل كيف ؟.. كيف ؟.

بان التمرد واضحًا على محياه .. وخشى أنه أوقع نفسه بلسانه فقال مستدركًا .. ليس الآن .. ليس الآن .

ـ ولماذا ليس الآن .. ألا تريد أن تساعدنى يا خالد ؟

ونظر إلىّ بريبة وحذر .

ـ قطعًا أريد مساعدتك .. فأنت أختى .. ليتنى أستطيع .

فقلت معاتبة :

ـ ألم تقل إنك توصلت إلى طريقة تكسب بها ثقة (الإنسان المتعدد) ؟

فقال مصرًا على حذره :

ـ إنى أفكر بطريقة ما ..

ثم استطرد .

ـ بل أبحث عن طريقة ما ، ولم أستطع التوصل إليها بعد .

يا له من صبى ماكر .. إنه يخفى أمرًا ما .

لم أرغب فى الضغط عليه كى لا ينفر من مصارحتى .

وخطر لى عندئذ قول النادل ـ إذن أنتم لستم معارضين لفكرة التوأمة كما تروجون فى مجالسكم ؟ ولكنكم محاربون لنا ـ من الذى أبلغه بما يدور فى مجالسنا الخاصة ؟ .
ونظرت إليه متصنعة البرود .. وقلت :

ـ لنفكر كلنا عن طريقة ما . وبعدها نناقش هذه الأفكار معًا

أخذت بعد ذلك أرقب تصرفات أخى ، وجندت معى عددًا من الأفراد الطبيعيين . كان من ضمنهم المحامى الخاص بنا .

تبين لى من التحريات ، أن الصبى على علاقة حب ، بأحد نسخ (الإنسان المتعدد ، المرأة المتعددة) ، يافعة فى مثل سنه .

وكانت نسخها الأكبر سنًا منها ، يلحظن ذلك بعين الرضا والسعادة لا تخلو من المتعة الخفية .

إذن هذه (المرأة المتعددة) لديها الاستعداد للخيانة . ولم يمنعها من ممارسة خيانتها سوى إحجام رجالنا عن مطارحتها الغرام ، خوفًا من أعين زوجها العديدة .. وكذلك وثوقًا منهم بمنعتها واحترامها لذاتها . ولولا تصرف هذا الصبى الأهوج . لبقيت على منعتها دون أن يفطن إليها أحد .

حسنًا .. تردد هذا القول بين صفوف البشر الطبيعيين ، بكل الحرص والتكتم .. من هذا المنطلق يمكن لنا أن نجد المدخل إلى هذين الزوجين العديدين ..

أخذت أمزح مع أخى ، أشجعه على هذه العلاقة الآثمة . وأيسر له كل سبل اللقاء الخفى معها ، بعيدًا عن أعين زوجها العديدة ، فى انتظار اللحظة المناسبة لتجنيده بعد أن يمل صحبتها .

وكان شعارى الجديد مع هذا المسخ ، تمثلًا بقول التوأم النادل .

ـ حب البقاء ينسخ الأخلاق .

لقد صدقته عندئذ .

كانت هذه المهمة من أصعب المهمات التى أنيطت بى .. لأن المرء

لا يأمن من أى ثقب ، أو ركن مكشوف ، أو مغطى يمكن أن تطل عين من عيونه ، أو يظهر جزء من أجزاء هذا الإنسان الواسع الانتشار .. ولكن زوجاته فيما بدا لنا كنّ عاملًا مساعدًا لحماية نسختهن اليافعة .

فالعجوز منهن تستمد متعتها شعوريًا ، وليس مسًا جسديًا . نعم العجوز الأقرب مكانًا تستمد متعتها من نسختها اليافعة ، أكثر من تلك البعيدة وأظن أن هذه (المرأة المتعددة) فى بدء انحدارها ، نحو خيانة رفيق زمانها الطويل .

تطايرت الهمسات بين صفوف البشر الطبيعيين فى تكتم شديد وتحفز أشد ، كل رجل منهم رخى حبائله حول إحدى النسخ مما دعا بعض الزوجات الطبيعيات ، إلى الغيرة الشديدة .. من هذه (المرأة المتعددة) التى تتجدد دومًا .

وتحفز البعض من نسائنا بالمقابل إلى رمى شباكهن ، حول (الرجل العديد) غيرة وانتقامًا . قالت إحداهن فى معرض دعابة :

لا توجهى لومًا إلى (الرجل المتعدد) .. لقد ملّ عشرة امرأة واحدة طيلة قرون . إن رجالنا على أعمارهم القصيرة لا يطيقون البقاء بقرب امرأة واحدة ، حفنة من السنين القصار .

فما بالك برجل يعيش كل هذه القرون بصحبة امرأة واحدة ؟

فردت أخرى بحسد ظاهر .

ـ ولكنها متجددة الشباب .. لا تنسى ذلك .. كل فترة ينفصل جزء منها ، مزهوًا يافعًا .

ـ ورجلها كذلك .. هل أغناها ذلك عن البحث عن غيره .. إن الخيانة فى دمها . أو أن العلة تكمن في البحث عن مغامرة ، لكسر ذلك الروتين الطويل . الذى امتد إلى قرون .

المهم لنستثمر هذا الاكتشاف لصالحنا للقضاء عليها .

ولكن الزوجين المتعددين كانا أكثر حذرًا أو لؤمًا مما قد يتبادر إلى أذهاننا نحن البشر الطبيعيين فأول نكبة حلت بنا . بل بى أنا بالذات . لقد فقدت أخى الحبيب ، الذى ليس لى غيره .. فى هذه الدنيا الواسعة ، وأنا فى هذه البلاد الغريبة ، مع هؤلاء الناس الأغراب .

كيف تم ذلك ؟.

انساق أخى مع عواطفه الفتية العارمة تجاه تلك النسخة اليافعة التى لبت عواطفه . فأحبها حبًا جنونيًا بعيدًا عن كل حذر .. هذا أولًا . ثانيًا أغرته بعد أن ملت صحبته لعمل نسخة له يستمر بها وجوده .. وكان هذا ما يفكر فيه ويتمناه ويسعى إليه ، ويحلم به ، من قبل الارتباط بتلك العلاقة العاطفية .

جاءنى فى ليلة ما قائلًا :

لقد تم الاتفاق بينى وبين (مانو) على أن تأخذنى صباح الغد لعمل توأم لى .

كان هذا اسمًا اصطلاحيًا ، لحبيبته يطلق أمامنا فقط ، ويختلف عن اسم كل نسخة كى يجاروننا فى التسميات ، أما فيما بينهم فكل النسخ اسمها (أمل) .

فقلت محذرة :

ـ لا تصدقها يا خالد أرجوك .. إن (الرجل المتعدد) لن يسمح لها بذلك .. حتى وإن كانت راغبة فى ذلك حقًا .. ماذا يجبرها

على عمل توأمة لك . والدخول مع زوجها فى عراك مصيرى .. إنها سوف تستمتع بك ،ثم تتركك كغيرك ،إن الولاء لزوجها فقط ..صدقنى إنها مؤامرة ضدك .

فصرخ بى فى انفعال شديد :

ـ لا أدرى لماذا تكرهينها .. إنك حاقدة عليها .. لأن أحدًا من الرجال لا يلتفت إليك .. والسبب أنك مليئة بالعقد ، وتظنين نفسك فوق مستوى البشر ، فكرًا وعقلًا .. تتصرفين كشيطان .. وتريدين من الناس أن يعاملوك كملَك .

اهبطى .. اهبطى على الأرض كفاك غرورًا .. لماذا لا ترين الحقيقة ؟ إنهم بشر مثلنا .. طبيعيون .. ولكن العداء الذى نجابههم به . وسع الهوة بيننا .. انسوا أحقادكم أيها الناس ، وسترون كم هم طيبون .

رأيت أن كل جدل معه سيذهب أدراج الرياح . فتركته إلى هواه .. ولكن لم أكن أتوقع قط أن يصل به الأمر إلى ما وصل إليه .

جاء بعد عودته من المختبر فى اليوم التالى .. وليس فى وجهه نقطة دم واحدة ..كان شديد الاصفرار مرتجف الأوصال . كما لو كان ارتقى سلمًا شديد الانحدار .. أو حمل على كاهله ما ينوء به .

أمرته بالنوم للراحة .. وأحضرت له بعضًا من المقويات من الأدوية المهربة .. وبعضًا من عصير الفواكه . وسألته عما حدث . فقال باقتضاب .

ـ لا شىء .. لا شىء .

ـ كيف لا شيء .. وأنت مرهق هكذا .

فانحدرت الدموع من عينيه . وقال :

ـ أظن أني خسرت كل شيء .. ستذهب حياتي أدراج الرياح . كنت على حق .. كان تصرفًا أحمق .

احتضنته . وأنا أقول :

ـ هون عليك .. ستشفى بإذن الله .. ولكن أخبرني ماذا حدث ؟ ..

فقال بوهن :

ـ إن (الرجل المتعدد) انتقم منى لعلاقتى مع إحدى نسخ امرأته ..

أظن أنه أجبرها على فصد دمى .

لقد امتص دمى كله .. كنت أرى دمى يسبح فى الحوض .. إنهم حتى لا يستفيدان منه لأنه يختلف عن فصيلة دمهما .. ولكنها فصدتنى ليسيل دمى هدرًا .. حتى إذا أغمى على تركونى إلى أن أفيق .. وعندما أفقت أحضرت لى أنبوبة صغيرة قالت لى إنها تحوى الجنين الجديد .. توأمى .. إنها تسخر منى ، هى ونسخها اللواتى عاون فى فصد دمى .. لقد كذبت .. لم تفعل شيئًا سوى فصد دمى ، فى المختبر .. وأظن أنى حقنت بشيء ما ، عوضًا عنه .. لم أقو على السير .. لقد أحضرتنى إحداهن بعربتها إلى الفندق . وتركت أحد النادلين يسندنى إليك .. إنى أموت يا أختى .. إنى أموت .

أرجأت توجيه اللوم إليه وتذكيره بنصحى .. إنه ليس فى حالة تسمح له بسماع أى شيء .. فأسرعت إلى الهاتف أطلب أحد أصدقائنا من الأطباء .. ولكن لم يكد هذا يصل . إلّا وأخى الحبيب جثة هامدة بين يدى .

هكذا فقدت أخى .

وهكذا فقد جمع من الرجال الآخرين ممن كانوا على علاقة ببعض نسخ المرأة المتعددة على يدى (الرجل المتعدد) وكذلك فقد جمع موازٍ من النساء الطبيعيات ممن كن على علاقة (بالرجل المتعدد) على يد زوجته (المتعددة) .

كان هذان المسخان يسلمان (الإنسان الطبيعى) إلى بعضهما البعض .

وكأن بينهما اتفاق مسبق على الإيقاع بمن يستطيعان الإيقاع به .

وكان مما يؤلم حقًا أن الكثير منًا رجالًا ونساءً ، لم يفطنوا إلى ذلك . إلا بعد أن فنى منّا بهذه الطريقة ، والطرق الأخرى السابق ذكرها ما يقارب الخمسة والتسعين فى المائة من موجودنا على الأرض .

الكل منا كانت تدفعه اللهفة إلى استمرار البقاء ويحدوه حب الخلود . فيسعى شبه ممغنط إلى أول إشارة هزيلة يلوح بها ذلك (الإنسان المتعدد) اللعين .

تناقصنا المهول فى سنين قليلة أضعف موقفنا .. وموقف (إنسان الأنبوبة) . إذ كنا نكون معه الكثافة التى تقربنا من كثافة (الإنسان المتعدد) . فلما قلت أعدادنا ضعف موقفه معنا .. إضافة إلى ذلك أن ليس لديه الإمكانات لتكاثره كما هو الحال مع (الإنسان المتعدد) وزاد الطين بلة بالنسبة له . التصعيد فى تخريب معامله وضرب مدارسه وإقفال منشآته بسبب تدهور حالته المالية .

نحن كذلك لم يفدنا تصاممنا عن أخطائهم .. ووقوفنا على الحياد بين الاثنين ، قد ألّب الطرفين ضدنا . إذ أخذ كل طرف ينحى

باللائمة علينا لعدم مساندته فى حربه ضد الآخر .. واشتدت ضربات الاثنين علينا كلما سنحت لهما سانحة لذلك ، أضحت الألوف منا تقتل فى اليوم الواحد .

القليل منا الذى كان فى ميسوره الفرار .

فرّ إلى الجبال النائية فى سيرال . وهى جبال وعرة المسالك تغطيها الثلوج معظم أيام السنة .. ولقد قتل أعداد وفيرة فى الطريق إليها .. إما بفعل العوامل الطبيعية القاسية وشظف العيش ، .. وإما بيد (الإنسان المتعدد) الذى لسوء الحظ تكشف خط سيرهم لعينيه ، قتل كل من رآه فارًا ، أو مقيمًا ، عامدًا متعمدًا . وقد بات لا يخفى نيته فى تصفية كل ما عداه من البشر بعد أن استتبت له الأمور .

وكنت أنا من الفارين . بعد أن تبين لى أن لا فائدة ترجى من المقاومة ، وقومى على ما هم عليه من الضعف والتشتيت .

رأيت أن أى تأخير فى الهروب مجازفة غير مأمونة العواقب .

تركت الفندق . وما لدى من مال ومجوهرات بعد أن أصبح كل شىء لا قيمة له .. لأن طبيعة الحياة التى يعيشها (الإنسان المتعدد) لا تحتاج إلى تداول مثل هذه الأشياء بين أفراده ، فالكل يخدم الفرد دون مقابل . ولذاأصبح المال عديم الجدوى لأن كل كنوز الأرض لا تأتى لنا بلقمة خبز يأبى (الإنسان المتعدد) إعطاءها لنا . فأصبحنا من القلة والشظف أسوأ من قطط القمامة .

تركت كل شىء .. ولم أحمل معى إلا ما أرغب فيه وموافق لطبيعتى ، حملت فقط مذياعًا صغيرًا ذا موجات قصيرة الذبذبة متطور جدًا . وبعض البطاريات والقليل من الزاد والأغطية ثم كمية كبيرة من الورق . كانت أعز ما حملت .

تسللنا جميعًا فى سياراتنا التى تركناها بعد ذلك فى إحدى المدن الصغرى . لنركب حافلاته التى سرقناها متنكرين بيهئة عمال له . وكان (الإنسان المتعدد) يسخرهم فى أغراضه الدنيئة ثم يقتلهم بعد انتهاء دورهم .

حتى إذا انفلت البعض منا من رقابته تركنا الحافلات تسقط فى الهاويات ولجأنا ، إلى الجبال سيرًا على الأقدام .

كان مجمل الناجين منا لا يزيد على الألف شخص إلا قليلًا بين رجل وامرأة وطفل .

عرفنا فيما بعد أننا الفئة الناجية الوحيدة .. أما من تخلف من الإنسان الطبيعى فقد أصبح هباء تذروة الرياح .

كان البعض من رجالنا يحمل خيامًا .. استفدنا منها فترة من الزمن ونحن فى الطريق إلى الجبال ثم عملنا منها ثيابًا ارتديناها إلى أن تفتت آخر خيط بها .

وكان البعض الآخر قد حمل معدات خفيفة للزراعة . والكثير من مختلف البذور . وهذا أثمن ما حمل .

أما البعض من نسائنا فقد حملن حلى الزينة غير ثمينة إطلاقًا جعلتنا نتندر بهن ونضحك منهن طويلًا .. يا لها من زينة تلك التى كنا نحاولها فى تلك الجبال القفر .

لن أطيل عليكم فى قص ما تعرضنا له فى تلك الحقبة ، لقد عشناها بصعوبة شديدة . وهى فيما أظن بل أؤكد أنها أسوأ حقبة مرت على البشرية . لقد عشنا حياة البدو والرعى والصيد وقد ربينا عددا من الحيوانات فى تلك المناطق . نأكل من لحومها .. ونتدثر بجلودها . ونحاول بشتى الطرق استصلاح بعض الأراضى لزراعتها .

كانت وسيلتنا الوحيدة لمعرفة ما يدور بالعالم الخارجى بعض الأنباء التى تصلنا من خلال الجهاز الذى حملته معى .. والذى جعلنى أمتاز به عن غيرى لفائدته القصوى . فكما كانت النساء يحصلن على تقريع لحملهن حلى الزينة ، كنت أنا أحصل على المديح لتفكيرى المنطقى فى ذلك المذياع الصغير .

عرفنا من تلك الأنباء أن (الإنسان المتعدد) ساد الأرض قاطبة . وأنه قضى قضاءً مبرمًا على (إنسان الأنبوبة) . وعلى كل ما تبقى من الإنسان الطبيعى . فأصبح لدينا معرفة أنه لم يتبق على قيد الحياة . من الإنسان الطبيعى سوانا . وبات كل همنا أن نفكر فيما يحسن بنا فعله للمحافظة على كياننا .

ولعل مما ساعدنا على البقاء . أنه لم يلحظ هربنا لبعدنا عن أعينه التى تعد بالملايين ثم أن أخاديد الجبال التى تكون مغارات بالغة الغور ، مغطاة بستائر من الثلوج تتدلى بألسنتها من الأعالى . ساعدت فى إخفاء معسكراتنا فى تلك المنطقة .

كنا نعيش فى حذر ورعب حتى أطفالنا امتصوا الخوف والحذر منّا . بمجرد أن يسمعوا هدير الطائرات ، وكانت هذه قليلة الاستعمال . وليس كالزمن الماضى . وذلك لعدم حاجة (الإنسان المتعدد) إليها . فهو ليس بحاجة إلى تبادل السلع التجارية ، وليس به حاجة إلى طرق البيع والشراء .. فليس عمليًا أن يبيع المرء من نفسه إلى لنفسه .. وإنما كانت هذه الطائرات تنقل الفائض من السلع إلى المناطق الأخرى من الأرض ، حيث تشح بها هذه المواد .

أما مسألة السفر والترحال للسياحة والنزهة فلم يعد بحاجة إليها أيضًا لأنه يعيش فى كل مكان فكما هو فى أوربا . فهو متواجد فى أفريقيا أو آسيا أو أى بقعة على الأرض .

قلت إن أطفالنا امتصوا الخوف والحذر والرعب من ملاحظاتنا ونحن فى توجسنا . إذا ما أن يئز أزيز طائرة ما ، حتى يسارعوا إلى الاختباء داخل المغارات ونخفى نحن معهم كافة الآثار التى تدل على الحياة على مدى ما ينكشف من أراض عرضة للعيں .. وهى أراضى محدودة قليلة تلك التى تبدو .

فى تلك الحقبة المريرة من حياة البشرية ، ولم يكن لنا جميعًا من متع الحياة سوى الحفاظ على بقائنا نساؤنا تلد أزواجًا وأفرادًا . ولكن لم يتضاعف عددنا لقسوة الحياة التى نعيشها بعيدًا عن كل عمران . كنت أنا أيضًا رغم قسوة الظروف ، أحببت أقرب الناس ، إلى تواجدى فى ذلك المكان . وكان شابًا خجولًا ، يصغرنى بعدة أعوام .. لعل حزنى على أخى هو ما جعلنى أتعلق بشاب يصغرنى .. المهم أحسست إلى جانبه دفء الحياة ، وكنت أقدم له من الرعاية والحنان أضعاف ما يحتاجه .. وقد أنجبت منه عشرة من الأبناء ، مات ستة منهم ولا يزال إلى جوارى أربعة . صبيّان ، وفتاتان ، رغم قسوة الظروف .

معظم أولادنا بلغوا الآن مراحل الشباب ، شبوا فى هذه الأجواء .. وألفوا قسوتها لأنهم لم يعرفوا طرائق أخرى ، من المعيشة سواها . ولكن أكثر ما يؤلمنى أننى لم أستطع أن أعلمهم ، إلّا ثقافة مبسطة مشافهة . غير مدونة بكتاب . لعدم إتاحة الإمكانات لذلك . شب ثلاثة منهم أميين ، مثلهم مثل كل الصبيان والبنات ، الذين فى مرحلة أعمارهم .لانشغالنا نحن الآباء ، فى بناء مجتمعنا الجديد ، وتوفير أسباب العيش لهم . أما الصغرى (منى) توأم روحى ، فقد استطعت بمشقة كبرى ، أن أعلمها ، كيف تقرأ وتكتب ، بعد أن كبر إخوتها الثلاثة ، وحلوا مكانى فى مساعدة

أبيهم ، فتفرغت إلى تعليمها ، خوفًا من أن ينقرض جيلنا ، ويشب أبناؤنا ، يلفّهم الجهل ، فتطوى آثار الحضارة ، التى كنا أصلًا لها ، إلى الأبد .

ها أنا الآن عمرى يدنو بخطى حثيثة من الستين عامًا ، سلوتى الوحيدة فى حياتى ، جهازى المهترئ ، الذى ينقل لى عبر ذبذباته الضعيفة ، أخبار الجانب الآخر من الحياة .

إن لم يكن حدسى كاذبًا . فإن الحياة هناك تنحدر فى شتى مناحيها ، إلى هاوية سحيقة من الخمول والتبلد .

أضحى (الإنسان المتعدد) فى غنى عن الكثير من الأمور الإبداعية . لم تعد هناك حاجة إلى التلفاز ، أو المذياع إلا لأغراض علمية محددة ، هى شرح بعض الأعمال للتوأم اليفع . أو بث بعض الإشارات لشد انتباه بعض أجزائه التى تكون على مبعدة تؤثر على شدة التركيز على ما يجرى فى الجانب الأبعد من الأرض .

لقد توقفت موروثات الإنسان الطبيعى من تلك الأعمال الفنية ، ذات الأغراض المتعددة . عندما توقف هو عن ممارسة حياته . إما لأنه سحقه العدم . أو عندما لجأت إلى الجبال بعض أعداده القليلة الناجية التى لا تعدو كونها نحن .. لذا لم تطرأ أية إضافات فكرية جديدة .. ولكن من هذه الموروثات حاول (الإنسان المتعدد) ، البقاء على استمرارية بعض الأعمال الفنية . لتلوين حياته الخابية . فأخذ مع امرأته بالتناوب فى عمل بعض المسرحيات . أو الأفلام كل بدوره ، إما أن تقوم المرأة بكل ما يلزم العمل الفنى ، من إخراج وتصوير وتمثيل ، أو إعداد وغيره .. وما على زوجها سوى المشاهدة ، فقط لهذا العمل الفنى ، ذى العنصر الواحد المتعدد فى أجزائه . كل جزء يقوم بما يلزم له العمل .. أو يقوم الزوج بهذا العمل مع أجزائه أيضًا . وتقوم هى بمشاهدته ..

وهكذا الحال بالنسبة للأعمال الفنية الأخرى ، كالإذاعة والصحافة والرسم والتأليف .

وغالبًا ما تأخذ هذه الأعمال الفنية الهزيلة مواضيع خاصة محددة . وهى مطاردة (الإنسان الأنبوبة) . ثم يحسم العمل الفنى بانتصار (الإنسان المتعدد) .

ولكن لم يلبث هذان الزوجان أن ملّا هذه المهزلة ، لعدم كفاءتها فنيًا ، فأوقفت مع غيرها من الأعمال الفنية الأخرى ، مثل الكتابة والنشر ، حتى الصحف توقفت عن الصدور . فمن يكتب ؟ ومن يقرأ ؟ ولمن ينشر ؟ ولمن يرسم ؟

إذ كان هما الكاتبان والقارئان والمتفرجان . الزوج والزوجة ولا أحد غيرهما .

وهكذا أخذت مخلفات الإنسان الطبيعى أو (إنسان الأنبوبة) تنقرض تدريجيًا ، كما انقرض مبدعها .

واقتصرت علوم (الإنسان المتعدد) على طرائق معيشته ، وكيفية الحفاظ على عمل نسخه .

فأمست الحياة بالنسبة له ذاتية ، روتينية غير مشوقة ، لا مجهول يستعلم . ولا تطلع إلى أمل مستعصى ، أو توقع شىء لا يعرف ، أو مكالبة أو منافسة لتحوز شيئًا ما قبل غيرك ، فالإنسان عادة فى وئام مع نفسه لا يكالبها أو يتنافس معها . وليس ثمة خوف من نهاية لا تعرف ، أو آونة يحين حلولها عاجلة أم آجلة ، ما داما هما خالدين فما الخوف ؟ لا شىء جديد البتة .

بذا أضحت له الحياة مستتب وئامها . تكاد تتحول أجزاؤها إلى ما يشبه حركة ذرات المادة الجامدة يحسبها الرائى ساكنة لشدة تماسك تلك الذرات .

حقًا فالكون جامد . وما هما إلا كتلتان هائلتان متجاورتان على الأرض تتداخل وتتمازج ذراتهما . هو وامرأته .

ولكن ترى هل يمكن للسكون أن يستمر ؟..

من تتبع سير الحياة ، من خلال مذياعى الأثير . تبين لى بعد فترة أن هناك شيئًا آخر غير ذلك السكون المطلق ، الذى تصورته مدة طويلة .

شيء أخشى تفسيره . كى لا أصدم ، ويخيب منى الأمل . عندما أتبين عكس المرتجى منه .

ولكنى سأروى ما يدور بذهنى ، وأرجو مخلصة ألا يخيب ظنى ، إن ثمة فتور بدأ يدب إلى حياة هذين الزوجين العديدين والعتيدين ، بعد أن خلت الأجواء من كافة الأنواع الأخرى من البشر .

ظهر لى واضحًا أن هذا المجتمع الذى يحوى هذين الزوجين قد بدأ فى الانفصال . كيف ؟ لست أدرى .

إنى أسمع أحيانًا عبر ما تبثه إذاعتان مختلفتان من أقوال عن أعمال غير متحدة الهدف . على غير المألوف فيما مضى من الزمن .

ما هذا ؟.. هل بدأت النهاية ؟.

صرخت بابنى البكر .

خالد .. خالد ـ لقد اسميته على مسمى خاله محبة وشفقة ـ تعال لتسمع ..

كان صوت المذياع يبث بصوت نسائى . هو صوت (المرأة المتعددة) يقول :

« على كافة مراكز خدمة التوأمة ، عدم استقبال حالات أخرى للتوأمة لغير الحالات التى تخص المرأة » .

وكان هذا البث يقصد به المراكز البعيدة عن التركيز لشد انتباه العاملين به .

ـ عجبًا ماذا يعنى هذا القول ؟.

تساءلت ملتفتة إلى زوجى وابنى .. فقال الأول :

ـ لعل هناك زيادة فى أعداد الرجل ، ولإحداث التوازن ، عمل هذا التوقف بالنسبة له .

ولكن بعد بضعة أيام . جاءنا تفنيد لهذا القول .. إذ بث المذياع صراخًا ضارعًا بصوت (الرجل المتعدد) عبر قنواته قائلًا :

ـ نداء .. ورجاء .. على كل امرأة طبيعية ترغب فى توأمة نفسها ، الحضور إلى مراكز خدمة التوأم ، فى المقر الكائن .. نحن نتعهد بحمايتها من كل أذى .. ما معنى هذا ؟.. إننى أدفع ما تبقى من عمرى ثمنًا لمعرفة ما يجرى فى الجانب الآخر .. ولكن هيهات أن يتسنى لى ذلك .

أخذ كل امرئ منا يتساءل عن معنى هذا النداء .. ولكن أى امرئ لم يصدقه ، وخصوصًا مجتمعنا النسائى المعنى .. لقد كانت التجارب السابقة معه خير عاصم لنا ، من التردى فى براثنه . بل سرت تأكيدات أن هذا النداء ، لا يعدو كونه خدعة مكشوفة من (الإنسان المتعدد) . لمعرفة ما إذا كان هناك أناس طبيعيون . فى سبيل القضاء المبرم على آخر امرئ منهم .

وأظن أنى الوحيدة التى لم تخالجها الريبة فى صدق تلك الضراعة .. لقد كانت نبرة اللهفة تبدو واضحة فى صوته .. ليس

ثمة خدعة فى ندائه .. وأغلب الظن أن (الإنسان المتعدد) فى مأزق لخلافه مع زوجته .. يبدو أنها رافضة حمل توائمه .. وإلا بماذا يفسر إعلانه عن نيته فى البحث عن امرأةٍ أخرى لتوأمتها على مسمع منها .

ولكن لم أناقش أحدًا فيما ظننت . بل سررت إلى أن تفكير جماعتى اتخذ هذا المنحى الرافض .. ومع ذلك ساورتنى الخشية أن تسارع إحداهن إلى ذلك الإنسان الشائه ، لتوأمة نفسها رغبة فى الخلود .. ولذلك .. أخذت فيما بعد أتسقط الأنباء وحدى وأكتم كل ما يشير إلى رغبة (الرجل المتعدد) فى البحث عن امرأة طبيعية . إلى أن توقف جهازى المسكين .

ترى هل إحدى هاتين الكتلتين بدأت تطرد الأخرى ، لكى يعم السكون المطلق ؟ أم أن الطبيعة تناضل لنصرة أبنائها .

رغم شيخوختى ، وقرب حلول نهايتى . واعتقادى بصدق هذا النداء الذى أطلقه (الإنسان المتعدد) .. إلا أنه لم يشكل أى إغراء لى لتوأمة نفسى . وذلك لرسوخ مقولة تأصلت فى نفسى بما يشبه المبدأ ، وهى (الابقاء إلا للأصلح) .. وفى يقينى ليس ثمة أصلح من الحفاظ على البشرية الطبيعية وعلى كل ما هو طبيعى .

متى خلق الله البشر فصائل وأنواعًا .. حقًا وصدقًا إن الوصول للقمة بداية الانحدار . وقد وصلنا إلى قمة الحضارة .

هل هذه بداية النهاية ؟ .

هل تكون نهاية البشرية على يد أبنائها ؟

إننا الآن قلة مشردة .. فهل تستطيع الحفاظ على مقومات الحياة الطبيعية .. علنا نبدأ من جديد .

سلوى خطاب

استغرقت قراءتى للمخطوطات كل نهارى ، وفى المساء عندما بدأ هجوم الظلام . انهيت آخر كلمة فيها .. ولكنى لم أتحرك . لبثت جالسة فى مكانى على الهضبة البعيدة عن بقعتنا .. لقد اتخذت هذه المبعدة كى أتفرغ للقراءة دون مقاطعة .

لبثت أرقب الغروب . كنت كل يوم أتحين الفرصة لمشاهدة مغيب الشمس . فأنا أحب هذه الفترة من النهار أترقب حلولها . ولكنى اليوم أفكر فى شتات ، ولا أستطيع تركيز ذهنى على موضوع ما ..

كنت أظن نفسى أعرف ما فى المخطوط .. حقًّا لكم كانت فراسة أختى قوية ، يا لها من أشياء غريبة تلك التى تحدثت عنها والدتى .

غرقت فى حيرة لا أريم .

أتريد أختى أن تنبهنى إلى أن موضوع الحلم هو (الإنسان المتعدد) .

لو كان هو فعلًا . فما الموقف الواجب علىّ إتخاذه ؟

هب أنى تزوجت من (الإنسان المتعدد) ، ماذا أفعل إزاء هذا الأمر ؟ وأنا غارقة فى غرامه . أيكون (الإنسان المتعدد) لذيذًا محبوبًا مغريًا ، بهذه الطريقة .. وإلى هذه الدرجة ؟.

كيف أتخلص من مشاعرى هذه ؟

كلًا حتمًا ليس هو (بالإنسان المتعدد) .. إنه هارب منه .. أختى واهمة .. ماذا يمنعه من إيذائى لو كان كما تدعى ؟.

لقد مضت فترة طويلة على زواجى منه .. ولم أر أى بادرة ، اللهم إلا رغبته فى إخفاء أمره .

كلا .. إنه معقد نفسيًّا ، لطول حرمانه فى مخالطة البشر .. سوف أطوعه .. سوف أطوعه .. ليظهر نفسه إلى قومى .. يجب مصارحتهم بأمره .. لكم أتمنى أن يكون تخمين أختى كاذبًا ..

إنها دومًا يالها من امرأة نكدة ..؟

عندما حزمت أمرى على كشف الأمر إلى قومى عدت إلى بقعتنا ، وقبل أن أصل إليها ، وعلى مبعدة منها تناهى إلى سمعى جلبة ولغو وضوضاء ، على الجانب الخلفى لإحدى الهضاب المحيطة ببقعتنا ، ولكن قبل أن أذهب لاستطلع الأمر قررت أن أعيد المخطوط إلى مكانه فى مغارتنا . ثم انحدرت إلى الجانب الآخر من تلك الهضبة ، إلى حيث جمهرة من بنى قومنا .

على شفق المساء رأيت حلقة من رجالنا ونسائنا ، وأطفالنا . بل كل من فى بقعتنا يتحلقون حول كتلة بشرية فاقدة للحياة . ملقاة على الأرض ضامة فى تشنج الذراعين الممدودين ، فوق الرأس ، حيث كان الدم لا زال طريًا حول أسفله ، فى بقع متخثرة وكأن الجثة كانت تتقى ضربات قاتلة .. أما الركبتان فمضمومتان أسفل البطن .

زاحمت الجمع ودفعتهم بقوة وشراسة بيدى وحدقت فى وجه القتيل المغطى بالرمل المعجون بالدم .. ويا لهول ما رأيت .. لقد كان (على) ، على هذه الصورة البشعة .

فصرخت ، وسقطت قربه ، مغمى علىّ .

لست أدرى بعد ذلك كم طال بى الوقت ، ولكنى عندما أفقت ، كانت أختى تجلس قرب رأسى .. وبيدها خرقة مبللة بالماء ، تمسح بها جبينى . أول جملة جاءت على لسانى . لفظتها بضعف ووهن .

لماذا .. قتلوه ؟.

فقالت أختى : الحلم ؟

نظرت إليها شزرًا .. وشتمتها .. ثم أردفت .

- إنك لأشرس من الحيوانات ، التى نكتسى جلودها .

فقالت ساخرة :

ـ لم تتعدى الحقيقة .. نحن كلنا أشرس من الحيوانات التى نكتسى جلودها ، ونطعم لحومها .. وإلا كيف تسنى لنا ذلك .. ثم إننا نفعل ذلك لحماية أنفسنا .. وهذا ما فعلناه الآن ، مع هذا البشرى المعدل .

واستأنفت بعد برهة :

ـ ألم تعرفى من يكون .. إنه (الإنسان المتعدد) .. لو لم نقتله ، لقتلنا جميعًا .. ولقتلك أنت أيضًا .. إنك لا تقدرين خطورة الأمر .

انتبهت فجأة .. وجلست فى مرقدى .. وقد تذكرت ما جاء فى المخطوط ، واختلطت الأمور فى ذهنى ، فقلت متسائلة :

ـ أهذا (الإنسان المتعدد) الذى فى المخطوط ؟

ـ هو بعينه ، لقد تعرف عليه كبار السن ، ممن تعايشوا معه ، قبل عملية الهروب منذ خمسين عامًا .. قد يكون فى مهمة تجسسية للعمل على إبادتنا .

ورقت أختى فأخذت تمسح على رأسى مهدئة مشاعرى وقالت .. أليس هذا هو الحلم ؟

فقلت بانزعاج .

بالله عليك لا ترددى هذه الكلمة مرة أخرى على مسمعى .. ولكن أريحك إنه ليس حلمًا .. بل واقعًا ملموسًا .. ولكن ليس

كما تصفينه .. إنه رجل لطيف محب .. أنت لا تعرفينه ، كل ما يتقوله هؤلاء المخرفون ليس إلا محض افتراء .. إنهم أكثر وحشية من .. ألم ترى ما فعلوا به .. ولكن كيف أمسكوا به .. هل كانوا يتتبعونني ؟.

ـ كلا لم يتتبعك أحد .. إنهم كانوا حمقى عندما صدقوك .. أكنت تذهبين إليه ؟.. حسنًا .. أنا الوحيدة التى لم تصدق أفكارك .. إني أفهمك أكثر منهم .. لقد أمسكوا به وراء تلك السلسلة الجنوبية من الجبال .. رأوا طائرة هليكوبتر كما يدعونها .. يقال إن هذه الطائرة تحط على الأماكن الوعرة والسهلة على حد سواء .. رأوا الطائرة أولًا .. فكمنوا له .. وعندما خرج منها ، وكان يخرج ويعود إليها فيما يبدو ، انقضوا عليه .. إنها محملة بالأطعمة التى لم نر ونتذوق مثلها ، وكانت والدتى تصفها لنا .. أتتذكرين ؟.. ولكن الوصف ليس كالتذوق .. إنها لذيذة جدا ولها نكهة ومذاق متعدد .. إنك فى حمى منذ يومين ، تهذين باسمه ، لم أدع أحدًا يدخل عليك خشية افتضاح الأمر .. تستطيعين الآن تذوق هذه الأطعمة .. وكذلك بها الكثير من الثياب الرجالية .. تقرر أن نرتديها نحن النساء .. أما الرجال فيبقون كما هم على الجلود الحيوانية .. هكذا قيل ولكنها حتمًا ستبلى ونعود عندئذ لارتداء الجلود .. وبها أيضًا الكثير من الأوراق التى تبحثين عنها .. وأشياء أخرى ثمينة متعددة الأغراض .. حتى أجهزة لرؤية العالم على الجانب الآخر .. والتى ذكرت والدتى أن اسمه التلفاز . كما يوجد به أكثر من مذياع . وكم كبير من البطاريات .. أشياء كثيرة فى تلك الطائرة .. أشياء لم نرها قط .. كبار السن فقط يعرفون مسمياتها .. لقد ذكروا أسماءها أمامى .. لكم كان الأمر غريبًا علىّ .. لابد أنك قرأت عنها .. ألا تتذكرين ..

فقاطعتها :

كل ما ذكرتيه لا يهمنى .. كيف أمسكو به ؟

ـ لقد ذكرت لك أنهم عملوا له كمينًا وانقضوا عليه .. وهو خارج الطائرة .. حققوا معه لفترة قصيرة جدًا ولكن البعض لم يستطع صبرًا ، فانهالوا عليه ضربًا مبرحًا ، حتى فقد الحياة .

أغمضت عينى ، وهى تقول هذه العبارة ، غير مبالية بما تسببه لى من ألم .. وقد تخيلته ، وهو صريع يتقى الضرب بذراعيه . وعندما فتحت عينى مرة أخرى ، كانت الدموع تنصب من مآقىّ مدرارًا .

قالت أختى :

ـ لماذا البكاء .. ألا تحمدين العناية الإلٰهية التى أنقذتك من براثنه ؟

فقلت وأنا أشهق بدمعى :

ـ لم ينكر ذلك .. ولكن هذا لا ينفى كونه إنسانًا طيبًا .. لقد تزوجنا .. إنه زوجى .. قتلتم زوجى .

فصرخت أختى .

ـ يا لك من فتاة طائشة .. لقد أفسدتك والدتى بدلالها لك .. لم تعانى الألم الذى عانيناه ، لقد ولدت وكل شىء أمامك مستتب .. لم تعانى الخوف موتًا من الجوع ، أو من برد الصقيع ، أو أن تفترسى من الوحوش .. هيأنا لك كل شىء .. وها أنت تعرضين حياتنا للخطر ، بنزقك وتهورك .. أقرأت مخطوط والدتى ؟ أرأيت كيف خدع خالك خالد ، فراح ضحية غفلته ؟

فقلت بدهشة :

ـ كيف عرفت ما فى المخطوط ؟.

فقالت ساخرة بمرارة :

ـ لكونى لا أعرف القراءة .. تظنين أنى لا أعرف ما فى داخل المخطوط .. قرأته لى والدتى .. ولكنها تركت لك المخطوط لتقرئيه بنفسك .. ومع ذلك لم تفعلى ، حتى ألححت عليك .

فقلت مدافعة :

ـ خالى خدع من قبل (المرأة المتعددة) .. زوجى لم يخدعه .. إنه رجل مستقيم غير مخادع .

فنهرتنى قائلة :

ـ لا تقولى إنه كان زوجك ، لأى من كان ـ وإلا أصبحت منبوذة منهم جميعًا .. لا تجلبى علينا اللعنة .. صه .. حميتك من سماع هذيانك أثناء الحمى .. لم أدع أحدًا يدخل عليك ، حتى أبى منعته من رؤيتك .. حرستك ليل نهار ، صه لا تخربى ما فعلته من أجلك .

وتذكرت أمرًا فاستأنفت :

ـ ثم لو لم يكن مخادعًا ، لما أخفى حقيقته عنك ؟ لِمَ يطلب منك أن تخفى أمره عنا ؟ حتمًا عرف أن كبار السن من قومنا ، فى ميسورهم التعرف عليه .

فقلت بتحد :

ـ لقد طلب منى ذلك .. الآن فقط عرفت السبب .. إنه يخافكم .. إنكم تكنون له عداءً كبيرًا ، لقد فهمت الآن أشياء كثيرة .. فهمت أيضًا لماذا لديه ثياب نظيفة على الدوام .. وهو ليس فى حاجة إلى طعامى .. وليس فى حاجة إلى مغارة .. إذ كان لديه طائرة يأوى إليها ..

فقالت أختى بشماتة :

ـ أأخفى عنك كل هذا ..؟ لعل ما ذكرت يثبت لك بالبرهان القاطع سوء نيته تجاهك .

ـ كلا .. كلا كان يخافنى أيضًا . وهذه حقيقة واقعة . فلو كنت أعلم أنه (الإنسان المتعدد) لما صبرت عليه . ولكنت أخبرتكم عنه من أول يوم للقائى به . وقبل أن أقع فى غرامه .

ـ لم أكن أعرف عنك الغباء إلا الآن ، تقعين فى غرامه .. دون أن تعرفى له أصلًا .. والآن تبكين عليه ، حتى بعد أن عرفت حقيقته ؟

هل ما زلت تحبينه ؟

ـ ما الفائدة من الحديث عن ذلك الآن .. لقد ذهب ولن يعود .. قتلتموه .. إنكم قساة غلاظ .. لم ترحموا ضعفه .

ـ لقد أخطأ الذى تسرع بقتله . لم نرد ذلك الآن ، على الأقل .. كان يجب التحقيق معه ، لنعرف لماذا هو هارب .. ولكن رأينا الإسراع بقتله خشية أن ينقل إلى نسخه الأخرى ما حدث له بوساطة التخاطر الذهنى فيستدل على بقعتنا .. بعدئذ قد تأتى جحافل من نسخه للقضاء علينا .. إن خسارة فرصة التحقيق معه .. أفضل من خسارة الأمان الذى نتمتع به بعيدًا عن قبضته الظالمة .. على أية حال سوف نعرف الأخبار من المذياع ، الذى استولى عليه قومنا . وكذلك جهاز التلفاز .

وعادت تكرر .

ـ لو ترين كم باطن هذه الطائرة كبير ، ويحوى أشياء كثيرة

لا تخطر لك على بال .. سينام بها جمع كبير منا ، من الذين لديهم كهوف صغيرة .. أما نحن فلن نغير كهفنا .. إنه مريح .. ولكن سوف نأخذ نصيبنا طبعًا من كل شيء من الأطعمة ، ومن بعض المعدات والأغطية .. أما الورق فسيتم تقسيمه على الذين يعرفون الكتابة فقط .. إنكم قلة .. ولذا سيكون نصيبك منه وفيرًا .

ازداد بكائى .

فقالت بضيق :

ـ غريب أمرك .. لازلت لا أفهم دوافعك لهذا البكاء .. يحسن بك أن تكونى بحال أفضل بعد معرفتك الحقيقة .

اقتسم قومى كافة موجودات الطائرة .. وأحضرت لى أختى رزمًا ثلاثًا من الورق الأبيض المصقول .

تناولته منها ورميت به بعيدًا عنى بعنف وضيق .

برغم مرور ثلاثة أسابيع ، ما زلت من هول الصدمة لا أملك السيطرة على حزنى وألمى . لقد أحببت الرجل من كل أعماقى . ولم أصدق أبدًا مهما قيل إنه يمكن أن يضر بى ، أو يعمل ما يسىء إلى .

إننى أثق به .. يا لهم من قساة .. أتقتلون رجلًا مجردًا من كل أسلحته هاربًا من خطر ما لا نعرفه !!

سألت أختى :

لقد ندم البعض منكم على قتله .. لماذا لم يدافعوا عنه ؟

ـ عندما تعم الغوغاء لا أحد يستطيع السيطرة على الأحداث .. ثم إنى أخبرتك أن التعجل بقتله أفضل من الإبقاء عليه ، خشية أن تأتى نسخة .. كنا نأمل أننا سنعرف من البث الإذاعى من الأجهزة ، التى وجدناها فى الطائرة .. ولكنها صامتة .. إلا من بعض التوجيهات المتباعدة لبعض الأماكن البعيدة ، وكل هذه التوجيهات ، تأتى إلينا بالصوت النسائى للمرأة المتعددة .

فشعرت ببعض الغيرة ، وأنا أقول : زوجته .. أليس كذلك ؟

نظرت أختى إلىّ متفحصة .. نعم زوجته .

بقيت على هذه الحال من الحزن والأسى شهرًا كاملًا .

لم أستطع خلاله نسيان زوجي ، برغم معرفتي بأنه (الإنسان المتعدد) .

ربما لو عرفت بذلك قبل زواجي منه لكان الأمر مختلفا .. ولكن بعد أن عشت معه علاقتي الحميمة ، وعرفته عن كثب وفهمت كل نبضة في قلبه ، لم يعد هناك مجال لزعزعة إيماني به .. مهما قيل عنه ، فأنا أعرف الناس به .

حتى العداء المتغلغل له في مخطوط والدتي ، ليس ذا أثر كبير علي .. إنها لا تعرفه . أخذته بجريرة امرأته لمقتل أخيها .

أنا أعرف الناس به .. إنه زوجي .. حبيبي .

كل ليلة أهمس بهذه الكلمات لنفسي ، مبررة إصراري على الحزن مستعذبة عذابي من أجله ، وكأني أكفر بتعذيبي لنفسي عن إساءة قومي إليه .

في إحدى ليالي سهادي ، وقد استعصى فيها النوم على مقلتيّ فأرقت .. أحسست ليلتها بحنين طاغ يملك علي وجداني . فلم أجد ما أنفس به عني ، سوى زيارة البقعة التي كنا نلتقي بها .. فخرجت متسللة وكان الطقس باردًا لظهور بوادر أيام الشتاء المقبلة ، والثلوج بدأت تتساقط نتفًا ، نتفًا . ولكن شدة حنيني كانت أقوى من هذه المعوقات . ثم إني معتادة على هذه الثلوج .. لماذا التردد ؟ قلت لنفسي ذلك ، واتخذت من لحافي السميك الذي كان من جلد الماعز المبطن بجلد الغزال ، غطاء لرأسي وكتفي . وخرجت من المغارة متسللة مدفوعة بما يشبه الحمى ، إلى البقعة العزيزة .

هناك جلست تحت الصخرة الكبيرة التي كنا نستظل معًا تحتها حيث كانت حافتها العلوية المعقوفة تحمي مجلسنا من الرذاذ . وضعت وجهي بين ركبتي اتقاء تناثر الثلج بوساطة الريح ،

وانخرطت فى بكاء ونشيج ، بكل ما لدى من قدرة على الصراخ والعويل ، اللذين كانا حبيسين فى صدرى . وقد أمنت السماع ، لبعد المكان .

لا أدرى كم مضى علىّ من الوقت ، ولكن حتمًا غفوت فى مجلسى ذاك ، بعد أن أجهدنى البكاء ..

انتفضت فجأة مرعوبة من ملمس يد باردة تندس تحت الغطاء تلامس كتفى العارى .

فى غمرة النعاس ظننت أنى فى فراشى ، وأنها يد أختى توقظنى .. ولكن .. ولكن .. عندما رفعت رأسى ، وكان تكاثف الغيوم ، ولمعان الثلوج الناصعة يضىء المكان ، حتى لكأن الوقت فى إطلالة الفجر .

على هذا الضوء الرائع فى سحره ، فوجئت بوجهه الحبيب قريبًا جدًا من وجهى ، يبتسم لى بحنان طاغ .

فى مبدأ الأمر ، صرخت فزعة ، لظنى أنى أمام شبح .. ثم بعد أن استعدت كامل وعيى .. ألقيت بنفسى بين ذراعيه . وأنا أشبعه تقبيلًا مهووسًا غير مصدقة أنه أمامى .

ضمنى بين ذراعيه بقوة كادت تحطم أضلاعى . فأفلت نفسى منه . كانت الرغبة فى معرفة ما حدث أقوى من ممارسة التعبير عن شوقى إليه .

ـ كيف .. ألم تقتل ؟.

قال يشد من قبضته علىّ .

ـ كـى أجيب علـى تساؤلك .. دعينـى أسألك .. أمـا زلت تحبيننى ؟. ألن تغيرى رأيك بى مهما حدث ؟

ـ لن أغير رأيى فيك مطلقًا .. حتى لو وقف كل من فى القبيلة ضدى .. أحبك .. أحبك .

فأفلتنى .. ثم عاود إلى محاولة ضمى .. ولكن تباعدت عنه ، وأنا فى شوق ولهفة لمعرفة ما حدث .

ـ ألم تقتل .. كيف عدت إلى الحياة ؟

ضحك .. ثم اكتأب ..

ـ يبدو أنك عرفت كل شىء عنى .. عرفت أننى (الإنسان المتعدد) .. وأنك لم تحضرى إلى هنا إلا لأنك اعتقدت أننـى ميت .. وأنك أتيت فقط لاسترجاع الذكرى .

ـ لا تستعرض علىّ ذكاءك .. إنـى أعلـم أنك عبقرى هـذا الزمان .. ولكن أخبرنى كيف عدت إلى الحياة .

ـ الموضوع لا يحتاج إلى ذكـاء كبيـر .. أمـا الإجابـة علـى سؤالك .. فأنا لم أعد إلى الحياة .. فالأموات لا يعودون .. إننى لم أقتل . هذا كل ما فى الأمر .. الذى قتل هو أحد نسخى . ولأنه فى مثل عمرى ، حدث هذا اللبس عندك . دهشت بشدة ، لم أكن أتوقع أن التطابق بينهما إلى هذا الحد .. فوقفت مبهوتة ، أسترجع فى خاطرى ما جاء فى المخطوط .. وما قالت أختى .. وقد شعرت ببعض من الخوف ، وبعض من النفور الذى سرعان ما تبدد حين قال :

ـ أنت حرة منذ الآن ، إذا راودك الشك فى نواياى .. تذكرى أنى لم أسئ إليك مدة زواجنا .. كنت خائفًا من مثل ردة الفعل

التى تعلو وجهك هذه اللحظة ، ولذلك أخفيت أمرى عنك .. كنت آمل أننا سنستمر فى العيش مع بعضنا البعض على نفس المنوال الذى عشناه سابقًا .. لم أكن أطمع فى أكثر من ذلك .. سأغادر حالًا .

فقلت بسرعة .. وكأن لم يخطر على بالى شىء مما ظننه :

ـ أوه إذًا ليس لديك طائرة !! إذن من أين لك الطعام والثياب الجديدة التى ترتديها باستمرار ؟ أتتذكر عندما سألتك بهذا الخصوص .. تملصت من الإجابة .

ضحكت وأردفت قبل أن يجيب .

ـ ثم كيف عرفت بقتل أحد نسخك ؟

بان الارتياح على وجهه ورد قائلًا :

ـ تملصت من الإجابة خوفًا من أن أفقدك ، لو عرفت من أنا .. نعم لدى طائرة .. وهى التى يسرت لى الحضور إلى هنا .. أما عن معرفتى مقتل أحد نسخى .. فإن مشاعرنا واحدة فكما هو متطابق معى شكلًا ، فهو متطابق معى شعورًا .. لذا شعرت بكمية الألم الذى تعرض له . لأنى أقرب النسخ إلى مكانه ، ثم إنه كان متوجهًا إلى مكانى .. وقد أصاب طائرته عطل بمولد الوقود ، فاضطر إلى أن يهبط قريبًا منكم . كنا ننوى التجمع بهذه البقعة .

ارتجف قلبى .. ربما يريدون التجمع لمهاجمتنا كما تقول أختى .. ولكنى كتمت ما فى نفسى . وقلت :

ـ أرنى إياها ..

ـ حسنًا .. إننى أثق بك تعالى .. أعلم أنك لن تدلى قومك لمهاجمتى .. تعالى .

وقادنى ..

ونحن فى الطريق إليها . تذكرت قوله إنه كان يسير حافيًا للحفاظ على حذائه .. يا لغبائى .. فقلت :

ـ لقد كذبت علىّ .. فأخبرتنى بأشياء كثيرة غير حقيقية .

ـ مبررى إلى ذلك خوفى من نفورك ، فيما لو أطلعتك على الحقيقة فى وقتها .

ـ النسخة التى قتلت ، كانت هاربة أيضًا من (المرأة المتعددة) ، كما تدعونها .

ـ زوجتك ؟.

ـ لم تعد زوجة لى .. لقد فقدت غرائزها .

ـ ماذا .. لن تنتهى مفاجآت هذه الليلة .

قال :

اتذكرين .. أول أيام تعارفنا .. لقد اخبرتنى أن والدتك كانت تستمع إلى المذياع قبل أن يتوقف عن البث ، عن أنباء تدل على أن ثمة نزاعًا بين (الرجل المتعدد) وزوجته .. لقد كانت والدتك صادقة فى حدسها .. إنها امرأة ذكية جدًا . كى تحدس ما يحدث على الجانب الآخر ، برغم ضآلة المعلومات التى لديها .. وسكت ليجرنى من يدى ، كى لا تنزلق قدمى فى حفرة عميقة .. ثم استأنف .

لعل حداثة سنك ، وقلة خبرتك فى الحياة ، تقلل من شأن المعلومات التى لديك .. خاصة تلك المعلومات التى تتعلق بى ..

إذ يهمنى جدًا أن تعرفى شدة تعلقى بك ، ومقدار إخلاصى ووفائى ، وكى لا يؤثر أى مؤثر خارجى يأتى من بنى قومك .

وبعد برهة من الصمت ، تابع :

ـ إن القدرة الإلهية ، وضعت فى كل كائن حى غريزة تحافظ على استمرار بقائه ، وهى خلود النوع .. وقد أوجدت الغريزة الجنسية لهذا الهدف .. أى أنها وسيلة لتحقيق ذلك الغرض فقط .. ولم تكن غاية فى حد ذاتها .. وما المتعة التى تصاحبها إلا لاستمرار مزاولتها .

ـ أما بالنسبة (للإنسان المتعدد) ، فقد حدث انحراف تقنى فى التركيز على حب الخلود ـ واقصد بالتقنى أنه من فعل الإنسان وليس فعلا طبيعيًا ـ فانصب الخلود على الذات نفسها ، وليس على النوع فقط ، أى ليس على الأجيال التى تأتى من بعده متعاقبة .

وعندما تحقق له ذلك . وأضحى فى مكنتنا ، أو فى مكنة البعض منا المحافظة على استمرار بقائه الذاتى ، فقدت (المرأة المتعددة) أسباب مقوماتها .. ألا وهى لزومية هذه الغريزة لاستمرار البقاء .

لقد أصبح بإمكان (المرأة المتعددة) . أن تتكاثر بدون الحاجة إلى الرجل . فهى غنية بنفسها . ما عليها إلا أن تزرع الخلية البالغة المكشوطة من أى جزء من جسمها بالبويضة المصنعة . ثم تزرع البويضة داخل الرحم لإحدى نسخها ، فتولد نفسها من جديد .

وهكذا يستمر بقاؤها إلى ما لا نهاية ، فما حاجتها إلى الرجل بعد أن فقد دوره لديها .

فتسرعت بالقول .. لقد ذكرت والدتى ما يشبه ذلك فى مخطوطها .

فقال بلهفة :

ـ اكتبت والدتك شيئًا عن ذلك .. يا لها من امرأة ذكية .. أفى ميسورك إطلاعى على ذلك المخطوط ؟

ـ لو كان فى استطاعتى .. إنه تحت حراسة أختى .

وكنت أكذب .. لا أريد أن أفرط فيه .. وقد آمنتنى والدتى عليه .

فهم .. قال مسرعًا :

ـ لك الحق فى الاحتفاظ بأسرار والدتك .. سحبت طلبى .

فقلت لصرف انتباهه عن شعورى بالحرج :

ـ وأنت ألست (إنسانًا متعددًا) ؟ لماذا لم تفقد الغريزة الجنسية مثلها ؟

ـ لم تفقد المرأة دورها عندى .. إنى فى حاجة دائمة إليها .. حقًا لدى خليتى البالغة . وفى متناولى البويضة المصنعة ، ولكن ليس فى مكنتى حمل الجنين . كما أنى لم أتوصل إلى اختراع الرحم الاصطناعى إلى الآن .. لم ندع طريقة إلا وابتدعناها .. لقد شرعنا فى ابتكار تجارب عدة مبدئية .. ولكنها كلها باءت بالفشل .. قمت بهذه التجارب . عندما شعرت بفتور عاطفتها تجاهى . وبعد أن فقدنا كل أثر للمرأة الطبيعية .. وقبل التوصل إلى أى نتيجة فطنت (المرأة المتعددة) إلى محاولاتنا ، فأخذت فى تخريب كل معاملنا .. ولم يكفها امتناعها عن حمل توائم لنا . بل أخذت أيضًا فى القضاء على كل نسخنا .. إننا فى حرب شرسة معها منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمن . لم نستطع القضاء عليها لعدة أسباب .. أهمها أننا لسنا فى غنى عن رحمها الحاضن ، ليس ثمة بديل عنه . لذا كانت حربنا معها حرب تطويع لا تتسم بحرب الإبادة لارتباط

توقف وجودنا على وجودها . كنا نحاول اخضاعها لسيطرتنا على العكس من حربها معنا .. إنها تسعى وتخطط لإبادتنا من عدة نواح .

فهى مبدئيًا رفضت رفضًا قاطعًا حمل أى توأم لنا . فأخذت أعدادنا تتناقص بالتدريج دون عملية تعويض ، فالذى يموت لا يستحدث غيره بالتوأمة . حتى أصبحت لها الغلبة فى العدد علينا .

وعندما تم لها ذلك .. وعلمت بانصرافنا إلى عمل تجارب لإنتاج أرحام صناعية ، أخذت تهاجم معامل التكرار لدينا ، ومعامل التجارب الملحقة بها ، فدخلنا فى هجوم سافر معها .

واستأنف بغرور الرجل المعتاد .

ـ نحن الأقوى عقليًا وتكتيكيًا .. ولكن الذى فت فى عضدنا ، أنه فى ميسورها تعويض ما يقتل من أعداد ، بينما نحن لا نستطيع ذلك .

فقلت مبهورة لهذه المعلومات الجديدة التى لم تخطر لى على بال :

ـ لو تيسر لكم إنتاج أرحام صناعية .. ثم الاستغناء عن رحم المرأة تمامًا .. فهل تفقد لديك الغريزة الجنسية مثلها ؟

ببساطة غير متوقعة رد :

ـ حتمًا .. من واقع ما حدث (للمرأة المتعددة) .. إننا لا نرغب فى فقدها .. ولكن ليس أمامنا إلا الموت . .

ـ وهل ما زلتم تقومون بعمل هذه التجارب ؟

ـ لقد ذكرت لك إن (المرأة المتعددة) قوضت كل معاملنا . وبذلك قضت على كل أمل لنا بذلك فى الأمد المنظور ، إذ نحتاج إلى قرنين من الزمن كى نعيد ما تم سحقه .. لنبدأ بعمل تجارب

جديدة . خاصة بعد أن قضت أيضًا على كل نسخنا . ولم يتبق سوى سبعة من التوائم ، ثلاثة منهم من الشيوخ كبار السن ، وواحد أمامك وواحد قتل وهو الثامن بيد قومك ، واثنان يقبعان في احد سهول القارة الأفريقية ، يعانون شظف العيش .. ينتظران الإشارة من أحدنا لكي يتوجهوا حيث المكان الآمن .

شعرت بارتياح لرده هذا فقلت :

ـ إذن ، أصبحتم مثلنا لا تستطيعون التكاثر بالتوأم .

ـ ليس تمامًا .. لكم القدرة على التكاثر بالإنجاب الطبيعى .. إننا عقم لا نستطيع التكاثر إلا بتوأمة أنفسنا بزرع الخلية البالغة في رحم امرأة ما .

أظن أنه شعر بنفوره من عبارته الأخيرة ، من اختلاج أصابع يدى فى كفه .

فقال متضرعًا :

ـ أرجوك يا حبيبتى .. لا تفكرى فى تركى .. حتى التوأمة أصبحت بعيدة المنال ، لعدم وجود المعامل والمستشفيات .. وها نحن نرضخ للأمر الواقع ، ونرضى بالتعايش السلمى مع الإنسان الطبيعى . لو هو فقط رضى بنا .

فقلت مستغربة :

ـ تصطلح مع الإنسان الطبيعى ، ولتوه قد قتل جزءًا منك ؟

ـ هكذا هى السياسة .. ارتباط مصالح . وتجاوز عما يعوقها .. لا كرامة للمغلوب ، ولا عاطفة عند الغالب .. إنها أشبه بالمقايضة المادية مجردة من الإحساس . ثم إنه كان يدافع عن نفسه ومن خفة ذلك ظن أن ثمة جحافل من ا(الإنسان المتعدد) تتهيأ للقضاء عليه .. ما يدريه بتطور الأمور . ثم إنه لم يفهم فهمًا واضحًا أنهم بمجرد

أن قبضوا على الرجل (النسخة) حتى انتقلت كل أحاسيسه وأفكاره إلىّ .. ومع هذا لا أوجه لومًا .. إنهم فى حالة دفاع عن النفس .. وقد كنا البادئين فى إبادته .

ـ وما هى المقايضة التى يمكن أن تقدمها له مقابل أن يتركك بسلام .

ـ أولا .. نساعده فى القضاء على (المرأة المتعددة) ..

ثانيا .. نعمل له اتفاقًا يبيح له قتلنا ، وتدميرنا فى حال قيامنا بأى محاولة لإنشاء معامل التوأمة ، أو مستشفياتها ، وكل ما يمت لهذا العمل بصلة ما . أو إغرائنا لأى من نسائه فى توليد توائم لنا . فقط لنعش ما تبقى لنا من عمر تؤهله لنا أبداننا .. وبعدها سنموت ، وسوف يندثر كل أثر لنا ، مثلنا ، مثل أى فرد طبيعى ، إننا قلة ، ومن المستطاع السيطرة علينا .

رفعت يده التى تمسك بيدى ، وقبلت أصابعه ، وشعرت بحنان طاغ يملك على وجدانى .. وأنا أردد :

لن أتخلى عنك .. لن أتخلى عنك .

سرنا صامتين .. ثم تذكرت شيئًا . فتساءلت :

ـ كيف عرفت أنى هنا .. ، هل كنت تزور هذه البقعة كل ليلة حسب مواعيد لقاءاتنا ؟

ـ فى بدء تغيبك .. ولكن عندما طال الأمد .. فهمت أنه ربما اعتقدت أن القتيل هو أنا خاصة وهو يماثلنى سنًا .. وكما هو معروف أن الفارق الوحيد بين النسخ ، فارق السن فقط .

ولم أكن أعرف .. ولكنى لم أعلقَ .. فاستطرد .

ـ ثم ساورنى اليأس من عودتك إلىّ .. ولكن تحسبًا لاحتمال ضئيل .. وضعت آلة حراسة صغيرة ، ذات ذبذبات منطورة تنقل الهمس بعلو الصوت العادى .. عند اقتراب أحد من مكان تواجدها .. لقد وضعت هذه الآلة فى أحد تجاويف الصخرة التى عادة نجلس تحتها .. وهكذا سمعت شهقاتك وبكاءك .. فأسرعت إليك مهرولًا ، خشية أن تنصرفى ، ولا تعودىَ مرة أخرى .. ولكن رحمة بى سرقك النوم من وعيك قبل قرارك بالعودة ، وترك المكان .

وأخرج من مخبئه فى ردائه آلة صغيرة الحجم تشبه الخاتم الضيق وقال :

ها هى .

فقلت : أعطنى إياها .

فقال بحذر وخوف :

ـ لماذا .. ربما يراها أحد معك .. إنك لن تفيدى منها . لأنه ليس لديك جهاز الاستقبال المرتبط بها .. سوف ترينه الآن إنه كبير الحجم عكسها.

فقلت لنفسى .. كم أبدو جاهلة بصحبته . ثم تذكرت والدتى .. لا شك أنها رأت كل هذه الأشياء ، وتعايشت معها ، ثم حرمت منها .

سرنا صامتين فترة .. نتسلق الصخور بصعوبة . أو نهبط المنحدرات بتسارع الجاذبية على أجسادنا .. وإحساسى فى كل خطوة . يفيض سعادة وصفاءً غير عابئة بكل ما يتقوّل به قومى من خطر يأتى من (الإنسان المتعدد) .. إنهم حتمًا يجهلون نفسيته .. إن أى واحد منهم ، لو كان فى مثل قدراته لفعل فعله .. ولكنه الآن ضعيف لا حول له .. إنه الآن مثلنا غير قادر على التوأمة ،

أو إحداث أى إيذاء منه عليهم .. فلم الخوف إذن .. ثم من ناحيتى فإنى أراه جديرًا بالحب والتقدير معًا . إنه وسيم ذكى ، وعالم بكل شىء .. ماذا ترغب الفتاة فى أكثر من ذلك ؟

فقطع حبل أفكارى تساؤله :

ألا زلت تحبيننى ؟

فقلت ضاحكة :

ـ ألا تذكر . كم مرة طرحت على هذا السؤال فى هذه الليلة .. لماذا لا تثق بى ؟

ـ كلا .. إننى أخاف فقدك .. أكثر مما أخاف فقدى لهذه الحياة القصيرة .

ضحكت مرة أخرى قائلة :

أصبحت قصيرة بالنسبة لك الآن ؟

ثم تذكرت فلسفته بالنسبة للحب ؟ وارتباطه للبقاء فقلت مازحة :

ـ أحبك لأن استمرار بقائى مرتبط باستمرار بقائك .

ضحك بحزن قائلًا :

إنى عقيم .

ـ إذن .. لست غنية بنفسى ـ ألم تقل إن (المرأة المتعددة) فقدت قدرتها على الحب ، لأنها أصبحت غنية بنفسها .. أنا لست كذلك .. لدى القدرة على الحب .

ـ أعرف هذا .. ولكن هل يمكن أن تكون هذه القدرة منصبة علىّ .. وإلى الأبد ؟ ولن تتحول إلى امرئ آخر ، رغم عقمى .

ـ إلى الأبد .. ثم إن العقيمين عندنا لا يفقدون خاصية جذب المرأة لأن الغريزة ليست عاقلةِ لتفكر وتختار ، ولكنها تتطور على المدى الطويل ، عندما تفقد دورها سلبًا أو إيجابًا .. وبما أن الشخص العقيم عندنا يعيش بمدى قصير هو سنو عمره . لذا فالتطور لا يأخذ مجراه عنده .

ـ وحنينك إلى الأطفال ، كما هى عادة الإنسان الطبيعى .

ـ لا يهمنى الإنجاب .. أنت زوجى وبنىّ ، وكل قومى . إن لم يرضوا بك .. تصبح أنت هم .

توقف للحظة ليضمنى .. ثم استأنفنا المسير .



مضى الشتاء بثلوجه ، وعواصفه ورذاذه المستديم . ونحن فى شبه سُبات ، لقلة الحركة فى بقعتنا .

إن أصعب ما يواجهنا فى هذا الفصل ، هو الخوف من الموت بردًا للتردى الشديد فى انخفاض درجة الحرارة ، ومما يزيد من وقع هذه المعاناة النقص المستديم الذى نعانيه فى عوامل التدفئة .

كان معظم المواليد عندنا يموتون فى هذا الفصل .

أسعف الحظ البعض منا فى هذا الشتاء ، فاتخذ من باطن طائرة القتيل كما يدعونها ملجأ لهم .. وقد أفادت معظم الأسر من الأغطية ، التى تزخر بها الطائرة ، حتى سجاد الأرضية لم يسلم من الخلع ليلتحف به .

الأغذية الدسمة أيضًا ساعدت فى بث الحرارة فى الأجساد الهزيلة .. ثمة بعض منا يتخوف من هذا الترف ، بعد نفاذ طعام الطائرة فى الشتاء القادم . بعد أن تتعود معدهم على هذا الغذاء اللين .. ذلك لأننا غالبًا لا نطهوا طعامنا ، إلا ما ندر ، توفيرًا للوقود من جهة . ومن جهة أخرى كى لا تهضمه معدنا سريعًا ، فنحس بالجوع .. كانت والدتى ـ رحمها الله ـ لا تأكل إلا النزر اليسير من الطعام النيئ .. ولذا تحرص أختى أن تطهو لها ولأبى فقط . خاصة بعد أن تقدما فى السن ، ولم يعودا يقويان على هضم طعامنا .

كان القلق والخوف يشمل الجميع ، ولذا فالكل يحث بعضه بعضًا على مضاعفة الجهد ، وعدم الاعتماد على طعام الطائرة ، فى بقية فصول العام لتوفير الغذاء وعناصر التدفئة . وما أقلها فى بقعتنا الجرداء .

لندعهم فى قلق يتحرقون .. المهم ماذا عنى ؟

فى الحق ، أنا الوحيدة التى مرَّ عليها هذا الشتاء كما لم يمرّ علىّ من قبل ، يزخر بكل ما فى الكون من سعادة وهناء .. ولم أشعر بالبرد ، كان جسدى يمور بالحرارة والدفء ، وأنا أعبر الطريق إليه كل ليلة ، متخطية كتل الثلج ، ساحقتها بقدمى العارى .. إلا من خف جلدى مربوط بسير من جهة الأصابع ، وملتف حول كاحلى يحمى باطن قدمى فقط من الأرض الملساء .

كل ليلة غادية ، آيبة .

فى النهار فقط يأتى دورى فى السبات داخل المغارة .. ولا يمكن لأية هزه من يد أختى أن تجعلنى أغادر مرقدى .. حتى تيئس منى وتتركنى لحالى . واضعة غذائى النيئ قرب رأسى . وليس بى من شهية إلى غذاء . بعد أن التهمت ضعف ما تطيق شهيتى ، من طعام الطائرة ، المعلب اللذيذ . لهذا ما أن تغادر أختى المغارة حتى أرفع الجلد الذى أنام فوقه ، وأحفر تحتى ، ثم أدفن طعامى ، لتظن بأننى تناولته .. وعندئذ تتركنى بسلام لأعاود النوم .

وأحيانًا أخرى لا أقوى على الاستيقاظ فأحمل غذائى فى المساء خارجًا لأدفنه فى الثلج بعيدًا عن العيون .

هكذا مضى الشتاء ، ولم أشعر بزمهريره ، ولم يقرصنى جوعه .. ولا حملت همًّا أو أحسست قلقًا .. اللحظة الممتعة ملأتنى سحرًا ، وشغلت وجودى عن كل ما عداها .

وأتى الربيع فبدأت الحياة تدب فى بقعتنا نشطة قوية . فلم يعد فى إمكانى استغلال سبات الشتاء ، كى آخذ قسطى من الراحة بالنوم يعوضنى عن سهر الليل . كما أنه ليس فى مقدورى تغيير موعد

لقاءاتى مع زوجى ، وجعل ذلك الموعد فى النهار ، خوفًا من لفت الأنظار ، فأحسست إرهاقًا شديدًا لقلة النوم .

كنت طيلة الشتاء المنصرم ، أرد على إلحاح زوجى بوجوب السعى إلى تمهيد ظهوره لقومى ، وقبوله بينهم ، برد واحد لا يتغير .

ليس ثمة حاجة ملحة إليهم ، طالما أننا مطمئنان إلى وضعنا .

وعندما يشتد الحاحه ، أضرب الأجل تلو الأجل للتملص من السعى فيما يريد .

وكان سبب ترددى فى بحث الموضوع ، مع قومى ، خوفى الشديد من ردَّة الفعل التى قد تكون مدمرة لكل آمالى ، وقد شاهدت بأم عينى ماذا حل بنسخة زوجى ، وقد مزقت شر ممزق .

والسبب الآخر ، أنه لم تعترضنى تلك الصعوبات التى تعوق لقائى به ، كى تحفزنى على تخطيها .

ولكن قلقه أخذ يزداد ، خوفًا من نفاد الطعام ، من بين يديه .. وقلقه لسيطرة (المرأة المتعددة) ، على مقدرات الكون الأرضى ومحصلته من الحضارة . وقلقه من توقع اكتشاف قومى لعلاقتنا . قبل تسوية الأمر معهم . فضلًا عن أنى لاحظت أن له متطلبات ، أو ترتيبات ، يختزنها فى عقله . وإن كنت لم أستطع التوصل إلا إلى النزر اليسير منها .. إلا أنى قد فهمت أن أولويات هذه الترتيبات :

القضاء على (المرأة المتعددة) .. والاستيلاء على المواقع الحضارية التى طردته منها ، ثم إنه بحاجة إلى المرأة .. والمرأة هى أنا .. وقومى يرفضون وجوده ، كما يرفضون وجود (المرأة

المتعددة) . إذن لا بد من إقناعهم بالتعايش السلمى معه ومساعدته فى القضاء على زوجته السابقة .

هذا مجمل ما كان يلح به علىّ ، ويحاول إيضاحه لى ، ولم أتوصل إلى الاقتناع به إلا فى الربيع .. فقط فى الربيع ، تبينت أن وجهة نظره صحيحة .. وأن الوضع الذى نحن عليه يجب ألا يستمر .. وأن .. وأنه يجب علىّ أن أجد مخرجًا ، أقنع به قومى بسلامة نية (الرجل المتعدد) .. ولكن من أين المدخل .. كيف تكون البداية ؟ إن مجرد طرق الموضوع يثير الانتباه إلى تحركاتى وسكناتى . وبدأت إعمال الفكر .

وفى النهاية قررت أن أخوض المجازفة .

جلست يومًا أساعد أختى ، فى ترقيع أحد الجلود ، المستخدمة كغطاء احتياطى لدرء برد الشتاء التالى .. وكنا نستعمل لذلك خشبة مثقوبة كبيرة ، لها ثقب فى أسفلها ، يمر به سير من الجلد ، نتخذه مقام الخيط .. نسيت أن أقول لقد رأيت الخيوط المستعملة قديمًا .. كم هى رقيقة ، ودقيقة .. أما الإبر فشىء يفوق العجب لرفاهتها . حتى إن أصابعى الخشنة لا تعرف كيف تمسك بها .. وجدت الكثير منها فى طائرة زوجى ، كما أن قومى وجدوها فى طائرة القتيل . ولكن أيًّا منا لم يستطع استخدامها .

قلت لأختى بطريقة مباشرة :

ـ أتذكرين القتيل ؟.

فالتفتت إلىّ متفرسة . وقالت مؤنبة :

ـ ماذا فى الأمر .. لماذا انت تذكرينه ؟

فقلت :

وهل يجب علىّ أن أنساه ؟

ـ حتمًا .. يحسن بك ذلك .. ثم إنك .. لماذا لم تعودى إلى محادثة ماريو .. رغم تودده إليك ؟ أنسيت أنه خطيبك ؟

فصرخت بها دون وعى .

ـ إنه ليس خطيبى .. ولا أرغب فى الزواج منه .. بل لن أتزوج مطلقًا .. إننى أكرهه .

ـ حتى مع كراهيتك له .. يجب عليك إمداد عشيرتنا بأبنائك .. هذه خيانة للعشيرة .

ـ كلا .. لنمت كلنا .. لا يهمنى ماذا يحل بكم .. بنا .

ـ آه .. إذن أنت لم تنسيه بعد .. ماذا بشأنه ؟ .

فقلت غاضبة .. وقد سدت على مسالك البداية .

ـ لا شىء ..

ـ تكلمى ..

ـ كنت أود إطلاعك فقط على ما حدثنى به من أخبار .

ـ أخبار .. حدثك بها ؟. لماذا لم تذكرى ذلك من قبل .

ـ هل أعطيتنى فرصة لذلك ؟ .. كلما هممت بالحديث صرفت انتباهى إلى ذلك الجار التعس .

ـ حسنًا .

ـ كان يقول لى إنه على خلاف مع زوجته (المتعددة) .. لأنها ترفض حمل توأمه .

فقاطعتنى .

ـ ويرغب أن تحملى له هذا التوأم .. هه ؟

فانبريت غاضبة مرة أخرى .

ـ لماذا أنت متعجلة فى كل شىء .. أصغى إلى أولًا .. إنه لا يستطيع إنتاج توائم ، لأنها أى (زوجته المتعددة) دمرت معامله ومستشفياته .

ـ إنها خدعة منه لإغرائك .

ـ ليتك تصغين إلى آخر ما أقول .. لقد أبادته عن بكرة أبيه .. وهو هارب منها .. ولم يتبق منه سوى سبعة من النسخ فقط .

انتبهت أختى فجأة .. وتوقفت عن غرز السير الجلدى .

ـ هل صدقتيه ؟.. أهناك امرأة تفعل ذلك بزوجها ؟.. إنها تعد بالملايين .. كيف تبقى على سبعة أفراد من زوجها ؟

ـ هناك أسباب علمية ، قد لا تعرفينها أنت .. ولكن شيوخنا حتمًا يعرفونها جيدًا .

ـ أترغبين أن أبلغهم ذلك ؟.

وكنت أرغب بشدة .. ولكنى قلت .

ـ إن رأيت أن هذه المعلومات بها فائدة لقومنا ؟ فافعلى :

فقالت بعد تفكير قصير :

ـ ولو أردت أن أفعل .. كيف أخبرهم أنك زوجته ، وقد أخفينا الأمر عن الجميع .. خاصة بعد إنكارك الموضوع برمته .. أنسيت ؟. فقلت مستهينة بكل عقبة :

ـ لم أنس .. ولكن لا يهمنى الآن رأيهم فىّ .

ـ لا يهمك الآن ؟.. ومتى يهمك ؟.

فقاطعتها .. لا يهمنى رأيهم بعد أن مات .. ثم إنه يجب أن يعرفوا أننى كنت متزوجة .. وإلا كيف تريدين منى أن أتزوج جارك العزيز ؟.

فقالت مسلمة برأيى :

ـ حقًا .. هذه عقبة .. ولكن كيف ؟ يجب إخبار أبى أولًا .. ومن ثم يخبرهم هو .. أحقًا تتزوجين (ماريو) ؟

فقلت بملل :

ـ كلا .. أعنى ليس الآن .. بعد أن أنسى زوجى .. وأتهيأ لحب جديد .

ـ يا لك من ماكرة .. الثقافة تعلم المكر .. هه ؟.. ما هذه الأسباب العلمية التى ذكرت .. مع فرض أنى لن أفهمها .. ولكنى أود سماعها ..

لم تكن بى رغبة فى الشرح .. فقلت متملصة من الرد :

ما يبرهن على أنه على خلاف مع امرأته ، كونه هاربًا منها .

ـ أهذا هو السبب العلمى ؟.. إننا نعرف أنه على خلاف مع امرأته .. لقد قالت والدتى ذلك قبلك .

ـ كلا .. هذا يبرهن على خلافهما فقط .

ـ مهما كان الخلاف بين الزوجين فإنه يؤدى إلى تدمير بعضهما البعض .

رددت .

ـ تصورك يطابق الواقع الذى نعيشه .. ولكنهما يختلفان عنا فسيولوجيًا وسيكولوجيًا .

ـ إلى هنا لا أعرف ماذا تقولين ..

ـ حسنًا .. إنه يقول .. كان يقول .. إنها فقدت كل عواطفها تجاه الغير .. ومنها قدرتها على الحب .. وتركزت عواطفها على ذاتها فقط .. أى إنها أصبحت أنانية بصفة مطلقة .

ـ شاخت .. مثلًا ؟.

ـ يا لك من متسرعة .. أنت تعلمين إن ثمة الكثير من نسخها الشابة .

ـ إذًا ..؟

ـ إنها فقدت قدرتها على الحب ، لأنها أصبحت فى غنى عن الرجل ، بعد أن أصبح فى مكنتها التكاثر لنفسها بنفسها ..

ـ إنه يكاثر نفسه بنفسه .. لماذا لم يفقد قدرته على الحب أيضًا ؟.

ـ كلا .. إنه فى حاجة دائمة إلى المرأة .. فى حاجة إلى رحمها لزرع توائمه .

ـ رحمها هو الذى يجلب له الحب ؟.

فصرخت بها ، وقد وصل بى الضجر منتهاه ، للجدل العقيم الذى تمارسه بخصوصه .

ـ إنك لا تعرفين شيئًا .. ذكرت لك هذا من أول الأمر .. أخبرى والدى ، وسوف ترين كيف يفهم الموضوع .

فاصفر وجهها وصفعتنى بقوة على خدى . ثم دفعتنى من كتفى ، وهى تردد .

ـ اغربى عني .. معرفتك لم تعصمك من الخطأ ولم تعلمك الأدب .. أيتها الأنانية .

ولم تخبر أحدًا .. ولا حتى والدى .

★ ★ ★

كما ذكرت آنفًا ، كانت نفسى تعاف الطعام ، بعد أن تذوقت اللحم المطبوخ ، الذى يحتوى على الكثير من المواد الحريفة ، ذات النكهة اللذيذة .. ولكن الجوع يدفعنى أحيانًا إلى الأكل من هذا اللحم النيئ ، الملين بدفنه بالثلوج لمدة طويلة .

فى اليوم الرابع بعد حديثى مع أختى . بعد أن يئست من معاونتها لى . جلست مع (ماريو) أقاسمه طعامه . بعد جهد شاق من العمل كنت أعاونه به . وهو يحاول مدى بالنصيب الأوفر .. كانت نفسى عازفة تمامًا عن تناوله ، برغم شعورى القارس بالجوع .. وذلك أيضًا بسبب الهاجس الذى كان يلح علىّ ، منذ عدة ليال .

لِمَ لا أصارحه ؟. إنه سوف يصغى إلىّ ، أفضل من أختى على الأقل ، وبعد تردد ، وتلكؤ لاحظ هو ما بى فقال :

ـ إنى أراك اليوم على غير عادتك .. هل هناك شىء تودين الإفصاح عنه ؟

فقلت متلجلجة .. ثمة أمر أود إطلاعك عليه .. ربما يسبب لك من الإزعاج الشىء الكثير .. حتمًا سوف يزعج هذا الخبر كل قومنا ..

فكان رده أبعد ما يكون عن توقعى .. لقد قال :

ـ أجوانحك تضم مثل هذا الهم الكبير .. وتخشين إخبارى به خوفًا علىّ من الانزعاج ؟ أتحبيننى إلى هذا الحد يابنيّة ؟.

لننظر إلى أين ذهب به الفكر .. خوفًا عليه ؟.. يا له من فتى أحمق .. أمسكت بانفعالاتى .. وجهرت .

ـ أنت لا تعرف إلى ماذا أرمى .. لا تتسرع فى أحكامك .. اصغ لى فقط .. أتذكر السنة الماضية .. عندما أخضعنى قومى إلى التحقيق والاستجواب فى موضوع الحلم ؟

ـ نعم .. أذكر .. يا لهم من بله . لا يفقهون .. هل يمنع الناس من رؤية أحلامهم ؟.. إننى كل ليلة أحلم بك .. ولكنى لا أتحدث عن أحلامى . لقد كنت من المدافعين عنك .. ألم تنتبهى إلى ذلك فى حينه ؟.. يا لهم من حمق .

ـ فقلت بسرعة ، قبل أن يتمادى أكثر .

ـ لقد كذبت عليهم .. كانوا على حق .. كان الحلم حقيقة واقعة .

هب واقفًا .. ثم عاود الجلوس . وحدق فى وجهى بعنف وشراسة . خشيت معهما أن ينقض علىّ فى سورة هياجه . فابتسمت فى وجهه قائلة :

ـ ألا تريد أن تعرف البقية ؟

استمر يحدق فى وجهى دون أن ينبس ، وكأن أصابه الخرس .

فقلت لتهدئته :

ـ بما أننا نرغب فى الزواج من بعضنا البعض ، لابد وأن نكون صرحاء مع بعضنا أيضًا ، كى لا يكون بيننا خادع ومخدوع .

لقد أحسنت قولًا .. فقد لانت قسمات وجهه . ولكنه استمر لا ينبس فقلت :

ـ أتذكر القتيل .. صاحب الطائرة ؟

فرد : هو ..؟

ـ قلت : نعم .

فرد بغضب :

ـ (الإنسان المتعدد) ؟. كيف لم تقدرى خطورة الموقف على قومنا ، وبقعتنا .. كنت أظنك أكثر تعقلًا من سائر الفتيات .

ـ لا يهم ماذا كنت .. المهم ماذا أكون الآن ؟.

فقال بنفور :

ـ حقًّا .. ماذا تكونين الآن ؟.. أهذا إعلان لرغبتك فى الزواج منى ؟ كرر بلهجة من يعلن أهبته لرفض هذه الرغبة ، لو أبديتها .

ـ لقد رفضت طويلًا .. هل جد فكر جديد لديك ؟.

يا له من أحمق .

ومع ذلك خشيت مغبة تركه لرأيه دون إيضاح .

فقلت بسرعة :

ـ كلا .. كلا .. إنى لأعرض عليك الزواج .. ليس الآن على الأقل ..

ـ لماذا تخبرينى .. إذًا ؟.

ـ أولًا لِمَا أعرفه من رجاحة عقلك فى تقييم الأمور . ومن زاوية أخرى . إن ما أعرفه من أسرار (الإنسان المتعدد) قد يفيد قومنا .

ـ لقد مات .

ـ ولكن المعلومات التى لدىَ لم تمت .. ثم هناك نسخ منه لا تزيد على سبع .. وكذلك هناك (امرأته المتعددة) التى تعد بالملايين .. ثم هل ترغب فى أن نعيش طيلة عمرنا فى هذه المغارات والكهوف ؟! لماذا لا نستولى على المدن التى تعيش بها امرأته .. لقد ضعفت قوتها بمعاداته لها .

ورويت له كل ما أعرفه عن سبب الخلاف بين (الرجل المتعدد) وزوجته العديدة .

وأردفت .

ـ ثم إنها تظن أن (الإنسان الطبيعى) انقرض . لذلك أهملت فى تعزيز دفاعاتها بعد أن قضت على (الإنسان المتعدد) . وشردت القليل الباقى منه وهى أيضًا لا تعرف شيئًا عن هذا الباقى .. وهذه فرصتنا للقضاء عليها .

فرد : عليهما معًا ؟

فقلت وقلبى يخفق :

ـ كلا .. لو وجدنا أحد النسخ يجب الإبقاء عليها .. كى نستعين بها على (المرأة المتعددة) .. إنهم قلة لا خوف منهم .. يمكننا السيطرة عليهم ، لكنه الوحيد الذى يستطيع قيادة الطائرة .. ويعرف مواضع المعامل والمستشفيات ، كما يعرف أماكن الذخيرة .

فقال وكأنه يقدمنى للامتحان :

ـ وبعدها نقضى عليه أيضًا ؟

رددت :

لا يهم بعد ذلك ماذا نفعل .. حتى لو لم نقض عليه فسيموت مستهلكًا جسده ، كما نحن .. ليس فى ميسوره التكاثر بوساطة التوأمة .. المهم أن لا يعرف ما نضمر له مسبقًا .. نطلب مساعدته فقط .. ونعطيه الأمل بالتعايش معنا سلميًا .

كانت صدمة جارى بى قوية .. فلم يستوعب حديثى برمته . ولكن ما إن عدنا إلى بقعتنا حتى اختلى بأبى . وأفضى إليه بكل شىء . وكانت تصحبه والدته .. وهى طبعًا تعرف كل شىء ، يختص (بالانسان المتعدد) . لتعايشها معه ، مثل أى مسن فى قبيلتنا . وذلك قبل عملية الهروب الكبير .

وهكذا أخضعت من جديد لعملية استجواب دقيقة فى كل صغيرة وكبيرة من كل رجال القبيلة ، ونسائها المسنين .

أخبرتهم عن كل شىء .. كنت فقط أحرص على أن أروى ما حدث بصيغة الماضى .

قلت فيما قلت :

إن (الرجل المتعدد) لا يشكل أدنى خطر على سلامتنا بعد أن أصبحت أعداده محدودة .. وفى مقدورنا إخضاعه لسيطرتنا وعدم تمكينه من مكاثرة نفسه .. وذلك للاستفادة من خبرته فى شئون الحياة ، وذلك بعد أن ندمر معامل إنتاج (المرأة المتعددة) .

كانت النية واضحة بين أفراد قومى ، بأنها مبيتة لقتله بعد استثمار جهوده فى القضاء على (المرأة المتعددة) . ولكننى طبعًا لم أستطع حيال ذلك الأمر شيئًا .. وما قدمته أفضل ما لدى للمساومة على سلامته .

وأخيرًا قلت لنفسى : لعلهم بعد مساعدته لهم يغيرون ما فى أنفسهم .

خلال غوصى فى لجة أفكارى هذه . فاجأنى أحدهم بسؤال يحمل الريبة . قال :

ـ وهل أنت الآن على اتصال بإحدى هذه النسخ .. إنه زوجك على أى حال .. أين هو كى نتعاون معه ؟

أحسست بقلبى يهبط كما لو كان هناك من سيسحب لسانى للاعتراف .. ولكنى وجدت نفسى أرد عليه .

ـ لقد قتلتموه .. أنسيتم ؟

فقال بتحد :

ـ لقد ذكرت قبل قليل أن سبعة من نسخه لا تزال حية ترزق .. كلهم طبعًا زوجًا لك .

أصفر وجه أبى وتحفز أخواى للهجوم عليه .. ولكن أبى رد لتهدئة الموقف فقال :

ـ إن السبعة نسخ ما هم إلا رجل واحد .. إن هذا شىء معروف علميًا وواصل الرجل موجهًا حديثه لى .

ـ أين نجد أحدهم .. أو كلهم .. أتدرين أين ؟

فقلت :

ـ كلا .. ولكن يجب علينا البحث عن أى منهم .

ضحك (ماريو) بسخرية مريرة .. ونهض مغادرًا المكان وهو يقول .

أتريدين منا البحث عن زوجك ؟.

فلحق به أخى الأصغر يريد ضربه .. ولكن والدة (ماريو) وجمع من قومنا ، حالوا دون ذلك .

انفض الجمع ، والكل حاقد علىّ .. وأكثرهم حقدًا أختى .. لتعريض اسم العائلة كما تقول للسخرية والنقد ..

وفى ما تلا من أيام ، لم يكن ثمة أحد لم يزورّ بوجهه عنى ، عندما أقبل عليه .. حتى (ماريو) عندما ذهبت إليه فى اليوم التالى لمساعدته .. ينهرنى قائلًا :

أغربى .. لا أريد مساعدتك .. إنك امرأة متزوجة .. ولا تخجلين من عرض الزواج علىّ .

فصرخت به محنقة .

ـ لم أرغب فى أى يوم الزواج منك .. لا يصور لك غرورك غير هذا .. إنك لواهم ..

وانصرفت وأنا أغلى من الحقد والألم ، والشعور بالمهانة .

بقيت فى البقعة لا أريم .. تجنبًا لمراقبة قومى لتحركاتى .. ولكن جازفت فى ليلة ظلماء بعد مضى خمسة عشر يومًا على حادث اعترافاتى واستجوابى .

ذهبت إليه فى تلك الليلة لضرورة إطلاعه على مجريات الأمور عندنا .

تفهم زوجى موقف قومى .. ولكنه رأى فى الوقت نفسه أن ليس ثمة بد من المجازفة بالظهور لهم .. والاتفاق معهم . حتى لو أدى الأمر فى النهاية لتدميره . قال :

ليس ثمة أى مجال للعيش بدونهم .

واتفقنا أنا وهو ، ألا يقوم بأى مبادرة للظهور قبل مضى خمسة عشر يومًا أخرى . كى لا يصار إلى الظن أن هذا الظهور مدبر .. وكنت أنوى خلال هذه الفترة أن أبقى تحت الأبصار ليل نهار . لإثبات عدم معرفتى بمكان تواجد أحد نسخ زوجى مصداقًا لحديثى معهم .

ونفذت ما اتفقنا عليه .. بقيت تحت أنظار أختى ليل نهار ملازمة لها كظلها . بل كدت أن أكونه . برغم أنها لا تحادثنى إلّا لمامًا .

ومضى شهر كامل بدلًا من الخمسة عشر يومًا المتفق عليها .. بدأت أقلق .. هل غير رأيه .. هل عدل عن الظهور إلى قومى .. محتمل أنه خائف من مغبة هذا التصرف . وهذا معناه أننا سنبقى ارتباطنا الزوجى سرًّا طيلة أمد حياتنا .. إذا بقينا فى هذه البقعة الخربة . كيف نأمن عدم كشف أمرنا .. ولكن لو فررت معه ، وعشنا فى أى بقعة أخرى منعزلة .. هل لدينا مقومات العيش كهذه التى لقومى .. الذين لم يكد يستتب الأمر لهم ، إلا بعد مضى أكثر من نصف قرن .. ويا له من استتباب ، لحم نيىء للأكل ، وجلد خشن للبس .

إن الطعام فى طائرة زوجى مآله النفاذ . بل لم يتبق منه إلا القليل .. ثم إن الإنسان بمفرده لا يقوى على التغلب على ظرف عيش كهذا . ما لم يكن متعددًا .. وحضرت إلى خاطرى صورة (المرأة المتعددة) .. كيف يتيسر لنا القضاء عليها ما لم تتضافر جهود قومى وزوجى ؟ إنه الأعرف بمكامن ضعفها وقوتها .

إن قومى يرون استحالة القضاء على هذه (المرأة المتعددة) . لما يعرفون ما لديها من قوة ضاربة . ومن أعداد وفيرة .. ولكن

زوجي يرى رأيًا مخالفًا . يقول :

إنها أهملت العناية بالسلاح بعد أن أمنت المزاحمة على الأرض . واقتصرت جهودها على العناية بوسائل العيش العادى . ومكاثرة نفسها لشعورها بالأمان .

- إنها تعيش فى فترة سلام أبدى .. سلام المرء مع نفسه لظنها أنها قضت على كل ما عداها ، لم تعرف أن هناك بعض النسخ الهاربة منا . كما أنها حتمًا لا تعرف بقصة هروبكم قبل خمسين عامًا مضت .. مثلى تمامًا لو لم ألتق بك مصادفة . هذا ما قاله زوجى .. ولكن قومى طبعًا لا يعرفون رأيه .. حتى عندما نقلت لهم هذا الرأى بصيغة الماضى الذى مات . لم أجد لديهم حافزًا قويًا لتبنيه .

وهكذا مرّ عشرون يومًا آخر فوق الشهر المنصرم .. وأنا فى حال من القلق المستمر .

قلق من أجل زوجى وقلق من أجلى ، قلق من أجل قومى ومصير الحياة البشرية الطبيعية . ولهفتى للحضارة التى على الجانب الآخر .

كل هذا القلق زد فوقه المأزق الذى وضعت نفسى فيه لو لم يسفر الأمر عن نتيجة مفيدة لنا .

إن قومى ما زالوا يشيحون بوجههم عنى ، كلما التقى بى أحد منهم ، يتجنبنى تجنب الحامل لمكروب شديد الخطورة .

حتى أختى لا تكاد ترد على حديثى وذلك عند الضرورة الملحة . ولم تبادرنى بالحديث من نفسها أبدًا . إنها دائمة الصمت والتجهم فى مجلس يضم حضورى . كثيرًا ما يخيل لى أنها نسيت الضحك

أو حتى الابتسام ، لو لم أرها وأنا على مبعدة وهى تضحك وتثرثر مع الجارات أو إخوتى الصبيان .

ولكن هل هذا جعلنى أغير من موقفى ؟. أبدًا . صمدت وقد استثير عنادى .. فلم أذهب إليه .

قلت لنفسى :

إنه أكثر حاجة إلينا مما نحن إليه .. وغيابى عنه سوف يربكه ويعجل بظهوره إلى قومى . يجب أن لا تستمر الأوضاع على ما هى عليه ، خاصة بعد أن رأيت بأم عينى الشأو الحضارى الذى كان قومنا الكبار يتمتعون به . ثم حرموا منه ، برغم أنهم الذين أوجدوه . وبالتالى انسحب ذلك الحرمان علينا ، نحن أبناءهم وأحفادهم .

يجب استعادة كل ما لنا من حقوق فى هذه الحضارة التى قامت على أكتاف البشر الطبيعيين آبائنا وأجدادنا .

يجب أن يظهر هذا الرجل المتعدد .

ويجب أن يتعاون مع بنى قومى فى القضاء على (المرأة المتعددة) أما أنا فسأكسب من ناحيتين الأولى أننا سنستعيد كبشر طبيعيين كل ما خلقناه من حضارة . التى لو لم أذق طعمها بعد احتلال الطائرة الأولى ، وكذلك من طائرة زوجى ، لما عرفت مبلغ شظف العيش الذى كنا ، ولازلنا نعيشه .

كنت فيما مضى سعيدة بحياتى ، لأننى لم أعرف نمطًا من العيش غير ما هو موجود أمامى ، منذ أن ولدت فى هذه البقعة الجرداء . أما الآن فالوضع مختلف . لابد من استعادة كل ما لنا من حقوق فى حضارة خلفها أجدادى ، وأجداد الآخرين من بنى قومى .

أما الناحية الأخرى .. وهى لا تقل أهمية فى نظرى عن الأولى

ألا وهى إمكانية العيش مع زوجى فى أمان مستتب ، وفى وضوح معلن ، وبدون سرية . وذلك بعد قص أجنحته ، فلا يكون فى ميسوره أن يتوئم نفسه .

هكذا كنت أظن أنى أقدم خدمة للجميع ، بما فيهم نفسى ، فتستغرقنى أفكارى فى ليلى ونهارى . بمفردى بعد أن صد عنى الجميع . وهجرنى أقرب الناس إلىّ بما فيهم أختى وإخوتى . وكل عشيرتى .

لست أدرى لماذا يواتينى الأمل وليس ثمة بارقة له سوى فى خيالى المفعم بالتطلع والشوق إلى شىء جديد ؟

لو فرض ، وظهر (الرجل المتعدد) . كما هو الاتفاق .. أترى قومى يملكون أعصابهم ، فلا يقتلونه .. وهل لديهم الاستعداد للتعاون معه ؟ إن أحدًا منهم لا يخوض فى مثل هذا الحديث أمامى .. وفى نفس الوقت لا أعرف ما يدور بينهم من أحاديث .. وعلى ماذا استقر الرأى فيما بينهم .. ولكن مع ذلك ، لابد من المجازفة .. لابد من المجازفة .

وأنا فى معترك مع هذه الخواطر ليلى ونهارى . وقد طال انتظارى ، سمعت أخيرًا من بعيد هدير طائرة مقبلة .. فقفزت من مكانى نشوى .

وكان ذلك اليوم هو اليوم الواحد والعشرون بعد الشهر المنصرم على اتفاقنا .

تراكض قومى صغارًا ، وكبارًا ، للاختباء داخل المغارات كما هى العادة . ولم تلبث الطائرة أن ظهرت على ارتفاع منخفض .. لقد أيقن قومى بأن (المرأة المتعددة) . اكتشفت أمرنا . وضموا

الآذان توقعًا لسماعهم الزلزال الآتى من الآلات التدميرية . المدوية .

ولكن بدلًا من ذلك . انتشر فى الجو كمية من الأوراق البيضاء الهفهافة ، تحلق ثم تقع بين الحقول ، أو على مقربة من المغارات .. ولكن أى أمرئ منهم لم يجرؤ على الخروج لتناول البعض منها .

أيقنت أنا ، أنه هو ، ولكنى لم أحرك ساكنًا .. بقيت متظاهرة بالخوف والرعب ، مثل شأنى فى كل مرة عند مرور إحدى الطائرات .

أما فى الحقيقة ، فإن قلبى يثب ويهتز فى صدرى طربًا .. يا له من رجل ذكى .. إذن تدبر الأمر على هذه الصورة .. إذن هذا ما أخّره عن الظهور .. لقد كان يعد العدة .

غابت الطائرة عن الأبصار .. ولكن لم يجرؤ أحد على الخروج من المغارات .. حتىّ قال أبى موجهًا الحديث لإخوتى :

ـ أظن المحلق هو (الرجل المتعدد) . وليست (المرأة المتعددة) .. لقد أسقطت الطائرة أوراقًا .. يجب معرفة ما بها .

فردت أختى ، وهى ترمقنى بنظرة اتهام .

ـ وكيف عرف (الرجل المتعدد) بقعتنا ؟ لقد قتلنا النسخة التى وصلت إلينا .

لم أر بدًا من معاونتهم ، لإدراك الأمر . فرددت بعصبية .

ـ أنسيت أن (الرجل المتعدد) له فكر واحد .. لأنه شخص واحدٌ .. كيف لم يفهم أن نسخته قتلت فى هذه البقعة ؟

فردت .. انتقامًا لسخريتى من نكائها .

ـ آه ـ افرحى .. لقد أتى أحد أزواجك .

فصرخ بها أبى .

ـ اصمتى .. سأجلب إحدى هذه الوريقات .

وخرج راكضًا .. ولم يلبث حتى ركض معه أعداد أخرى من الرجال المسنين فى المغارات الأخرى .. فاجتمعوا خارجًا بالقرب من مغارتنا كلهم طبعًا يعرفون القراءة باللغة السيرالية .

ولكن لا أحد منهم يعرف القراءة باللغة العربية سواى .

وبما أن (الرجل المتعدد) لا يستعمل فى مراسلاته سوى اللغة العربية ، لأصله العربى . لذا كل مسن كان ممسكًا بيده إحدى الوريقات ، ينظر إليها .. ولا يعرف كيف يفك رموزها .

صاح أحدهم :

ـ ربما تكون خدعة لمعرفة مكاننا .

فرد آخر .

ـ كلا .. إنه يعرفه دون شك .. يستطيع تمزيقنا بآلاته التدميرية . حتى ونحن داخل الكهوف .. يستطيع سحقنا بإلقاء المتفجرات علينا .. كلا ، ليست خدعة .

وخرج إخوتى الصبيان .. وخرجت أختى فتبعتها .. ثم تبعنا كل من فى الكهوف من الشباب . الذين لا يعرفون ما فى داخل هذه الأوراق .. إما للجهل التام بالقراءة ، أو لأنهم يعرفون فقط اللغة السيرالية .. أنا فقط التى تستطيع القراءة باللغتين .. ولكم أشعر بالامتنان لوالدتى ، لشعور الفخر الذى أحسه ، وأنا ألتقط إحدى

الوريقات من يد أحد الشباب ، والكل يتصايح ، اقرئى اقرئى .

قرأت :

« أرغب فى الهبوط فى بقعتكم .. إنى مسالم . لدى الاستعداد التام للتعاون معكم .. لا أرغب فى تعريض نفسى للقتل .. لدى استعداد للتعاون معكم للقضاء على (المرأة المتعددة) .. كما يجب أن تعلموا أنه ليس فى مقدورى توأمة نفسى .. اطمئنوا لهذه الناحية ، لدى القدرة على تحطيم (المرأة المتعددة) .. بشرط مساعدتكم ..*نحن سبع نسخ فقط .. عندما نموت لن يظهر غيرنا .. ولكننا نرغب فى الموت الطبيعى ، وليس قتلًا .. أرغب فى العيش معكم بسلام .. إذا كنتم موافقين على اقتراحى .. لوحوا بأى شىء أبيض .. حتى لو كانت بإحدى هذه الوريقات الساقطة عليكم .. إننى أثق بأنكم لن تغدروا بى .. إننى أثق بوعدكم .. الورقة البيضاء ، هى كلمة الشرف الصادرة منكم .. كلمة الشرف .. إننى أثق .. إننى أثق .

« على »

صاح أحد الشيوخ :

ـ يا له من رجل ماكر .. أسقط فى يده .. لكن من يدرى بعد ما يتيسر له القضاء على (المرأة المتعددة) .. قد يعود ليدمرنا .

فقال آخر : ولكن أعداده قليلة .

ـ يكاثر نفسه .

صاح ثالث :

ـ لا يستطيع نحن نمنعه .. يجب أولًا القضاء على (المرأة المتعددة) .

فرد الأول :

بعدها نقضى عليه .

ـ بعدها نقتله .

نظرت أختى فى وجهى .. ولكن لم أريم .. إننى أثق به ، لديه القدرة على إقناعهم بحسن نواياه .. ليته يحصل على موافقتهم الآن .

تطلعت إلى (ماريو) خلسة فرأيته ينظر إلىّ بغضب مكتوم .

قالت أختى :

ـ حقًّا .. لنستفد بما عنده .. ثم نقتله بعد القضاء على (المرأة المتعددة) .

فرد أبى : لا أحبذ الغدر ..

هل كان أبى صادقًا فيما قاله .. أم أنه قال ذلك إرضاءًا لى .. أو خوفًا من إيصال الخبر إليه ؟ لست أدرى .. لعله لا يثق بى ، بعد ما صدر منى وقد جُوبه أبى بالرد الرافض من معظمهم .. قال أحدهم :

ـ حماية النفس تجيز الغدر .. نحن فى حالة حرب مع (الإنسان المتعدد) .. هو لن يرحمنا ، لو أصبح أقوى منا .

ـ ولكنه ضعيف الآن ..

واشتبك الجدل .

ـ من يدرى ماذا سيكون عليه فيما بعد .. لتكن هذه النية موجودة .. وكما هو المثل اليهودى السحيق (ليكن غذاء لنا قبل أن نصبح عشاء له) .

وبعد جدل ونقاش مرير حسم أبى الموقف بقوله :

ـ اسمعوا .. نحن مجبرون بالموافقة على اقتراحه .. شئنا ذلك

أم أبينا .. إن له القدرة على تدميرنا .. ونحن فى بقعتنا الجرداء هذه .. إذن لنبدى ترحيبًا به ، كما لو كنا نصدقه ثم نرى بعد ذلك ماذا يمكن فعله .. وسوف نتبين نواياه فى معاشرتنا له .. وعلى ما سيتكشف لنا من أمره ، نقرّر ما يجب علينا فعله .

اتفقوا أخيرًا على التلويح له عند ظهور الطائرة بورقة بيضاء علامة الموافقة . كما طلب فى آخر خطابه .

والغريب فى الأمر ، أنهم أجمعوا على أن أقوم أنا بهذه المهمة لمزيد من الإيحاء بحسن نواياهم .

ولأول مرة منذ أكثر من شهرين ، لم يشعرنى أحد بأهميتى ، مثل الآن . ولكن مضى النهار بطوله . والآذان مرهفة لسماع هدير الطائرة .. ولا أحد ظهر .. فبدأ القلق يظهر على الوجوه .. خافوا منه الغدر .

وعندما رأيت النقاش بدأ يحتدم بين مصدق ومكذب .. اقتربت من أبى . وجرؤت على القول :

ـ أبى .. إنه يعرف أن حشدًا كبيرًا مثل قومنا ، لن يتفقوا على قرار سريع .. ربما احتاج الأمر منهم إلى بضع ساعات أو أيام .. لذا لن يظهر مرة أخرى قبل الغد .. ثم إنه عارف بمواقعنا قبل حضوره إلينا فلو كان فى نيته ضربنا لضربنا .

وفعلًا . لكأنى رسول إلهام فقد ظهر فى اليوم التالى يحلق على ارتفاع منخفض .. وما كاد يرى الورقة التى ألوح بها حتى هبط ، فى إحدى البقع المنبسطة ، وزوبعة من الغبار ، ورذاذ من التراب يضرب صفحة وجهى ، ويكاد يعمى عيونى .. لأنى لم أشأ أن أبتعد عن تيار الهواء ، الذى أثارته الطائرة لرغبتى فى أن أكون قربه عند هبوطه منها لشدة فرحتى به .. ولا شعوريًا ودون اكتراث

بما أسببه لعائلتى من حرج ودون أدنى شعور بالخجل . وجدت نفسى أندفع إليه فاتحة ذراعى بمجرد نزوله من الطائرة . قائلة لنفسى « إن لم أفعلها الآن ، فلن أفعلها أبدًا » .. أحتضننى على مرأى من الجميع . وسرت به إليهم .. وكأنى أقول لهم .. إياكم ومسّه .. إنه فى حمايتى .

رحب به رجال القبيلة فى فتور شديد . خاصة بعد ما رأوا منى من اندفاع نحوه .. جلس معهم فى العراء .. وعندما اشتد عصف الريح ، وانخفضت درجة الحرارة .. اقترح عليهم اللجوء إلى الطائرة لاستكمال الحديث .. ولكنهم رفضوا عرضه .. لقد خشوا الغدر .. قد تكون الطائرة ملغمة بمواد متفجرة .. وأن عرضه ليس إلا حيلة للقضاء عليهم .. الكل خائف دون تمحيص لمبررات الخوف . عدا أبى فقد أبدى موافقته على الذهاب . ولكن صوته ضاع بين أصوات المعارضين .

مساكين .. الكثير منهم ينقصه تحليل الموقف وتقييمه . لو كان يريد الغدر .. لماذا لا يغدر وهو فى الجو طائرًا ؟ ولكن لمن تقول ومن الذى يصغى لقولك ؟

عاد إلى الجلوس معهم ، متحملًا قرص البرد ، أضعاف ما يحتملونه لرفاهية جسده ، وخشونة أجسادهم .

إن ذلك الرفض الذى أبداه قومى ، حمى الطائرة من عملية السلب والنهب فيما بعد . فحسنًا فعلوا .

ودارت حلقة النقاش مباشرة .. قال لهم :

إننا سبعة من النسخ الموجودة على قيد الحياة .. وكل واحد منا يقبع فى بقعة منعزلة بطائرته .. ولكن مهما حملت الطائرة من الأطعمة والمؤن فمآلها إلى النفاد حتمًا .. ولذا فقد أصبح ولا غنى لنا

عن الإنسان الطبيعى ، من أجل التعايش معه ، بعد أن استعصى توأمة نفسى ، إننى أريد أن أعيش بقدر ما تسعفنى به حيويتى . مثلى فى ذلك مثل الإنسان الطبيعى .. ومن أجل ذلك ، لابد من القضاء على (المرأة المتعددة) .. ولكن أحتاج إلى مساعدتكم .. وأنتم أيضًا بحاجة إلى الحضارة التى خلفتموها .. وهنا تلتقى مصالحنا مما يوجب تعاوننا .

وقال أيضًا .

ونظرًا إلى أننى كنت أتعايش مع (المرأة المتعددة) . فأنا أعرف كل مكامن قوتها وضعفها .

وقال :

إنها الآن موقنة تمامًا ، أنها وحدها السائدة على الأرض .. وأن ليس ثمة من مزاحم لها .. لذا فهى راكنة إلى السلم مع نفسها .. ولا تقوم بأى أعمال لشحذ أسلحتها .. لأنها لا تعلم بأمر (الإنسان الطبيعى) الهارب .. كما كنت أنا أيضًا أجهل هذا الأمر ، لو لم أكتشفه بمحض الصدفة ، عندما قتل نسختى فى بقعتكم .

وقال :

هى أيضًا لا تعرف بأمرى ، وتوأمى الستة ولذا فهى أوصدت الأبواب ، على ذخائرها التدميرية ، حتى أصابها الصدأ والعطل ، ولذا فقد تحتاج إلى عدد من الأشهر لإعادة القدرة التدميرية إلى هذه الآلات .. بعكس ما نحن عليه . فكل طائرة من طائراتنا تحمل مئات من الأطنان من هذه الآلات . كلها تحت صيانة كاملة . جاهزة تمامًا للقتال .. بالإضافة إلى أن لدينا مخزونًا كبيرًا أيضًا من الأسلحة فى مخازن بعيدة عن تصورها ، كنا ندخرها ، بعد أن حل الخلاف بيننا .

واستطرد :

ثم هى لن تعرف مطلقًا من أى بقعة من الأرض يأتى إليها الخراب .. إذا أحسنا التخطيط .. وبما أنها تجهل أعدادنا ربما تظن أننا وفرة ، نوازيها فى العدد وهذا الظن سوف يربكها . ويهبط من معنوياتها .. ولذلك فمن الأفضل القيام بإلقاء مواد مستعلة على معامل الذخيرة ، ومخازنها ، لشل حركتها .. ومن ثم الإغارة على معامل التكرار لتدميرها ، بعد ذلك نشن هجمات على مراكز تجمع اعدادها ، إلى أن يحيق بها الفناء .

فقيل له :

ومن أين لنا هذا الكم من الآلات التدميرية ، التى تكفل لنا القضاء عليها ؟

وكان واضحًا أن القصد من هذا السؤال التأكد من كمية الذخيرة التى عنده .. إن هذا الكم يكون عامل تهديد للإنسان الطبيعى ، فيما لو رفض التعاون معه .. ربما يدمره انتقامًا .. فى نفس الوقت فهو عامل اطمئنان .. إذ يبين أنه لو كان فى نيته القضاء علينا لفعل مع ما يملك من هذه المواد المدمرة .

قد يكون زوجى فهم هذا المغزى من السؤال أو لم يفهم . إلا أنه أجاب .

ـ لقد ذكرت قبل لحظات ، أن كل طائرة من طائراتنا السبعة معبأة بشتى أنواع الذخيرة .. كافية للقضاء على كل المراكز الحيوية لديها .. ثم إن لدينا ذخيرة تدميرية ، فى مخازن بعيدة عن متناول يدها تمدنا بما نحتاج عندما نريد .. ولكننا لم نتمكن من استعمال هذه الذخائر ضدها ، لأن أعدادنا قليلة . بعد أن دب الموت بين صفوفنا ، وامتناعها عن توأمة أى منّا . كنا ندخر هذه الذخائر لاستعمالها فى حالة اليأس التام ، من عدم التمكن من إقناعها

بمساعدتنا .. ونحن أيضًا لم نكن نعرف ، أنها لا ترغب في التعايش السلمى معنا ، حتى لو لم نطلب منها توأمتنا .. هذا ما أخرنا عن ضربها ، حتى أصبحت الغلبة لها . وسكت لحظة .. ثم تابع .

إذا كان هذا العرض يحوز رضاكم . سأدعوا نسخى للهبوط لديكم .. لا أريد إعطائى قرارًا مرتجلًا ، دون اقتناع تام منكم .. لن أرغمكم على شيء .. وليس فى مقدورى ذلك .. فى حال عدم الموافقة على اقتراحى ، سأنسحب من بقعتكم ، ولن أزعجكم بظهورى أبدًا .

والآن سأذهب إلى الطائرة .. وغدًا صباحًا تعطونى رأيكم النهائى .

فقال أحد الرجال :

لحظة من فضلك .. فى حالة موافقتنا للتعاون معك ، يجب أن تعرف أننا أيضًا لن ندعك تتوئم نفسك .. وأنت تعرف لماذا .. فالتاريخ القريب يوضح لك السبب .

رد :

ـ أعرف هذا مسبقًا .. ولكنكم راضون بالتعايش سلميًا معى إلى حين استهلاك ما لدى من طاقة جسدية .. أليس كذلك ؟ هذا ما أريد التأكد منه .

صاح أكثر من واحد .

ـ طبعًا .. طبعًا .. هذا شيء مفروغ منه .. إذا أمنا عدم اعتدائك علينا .

ـ إننى الأضعف .. وحكمكم سيكون هو السائد .

قال هذا واستدار إلى حيث تجثم طائرته .. ولكنه لم ينس أن يرمقنى بنظرة عجلى .

همست بأذن أبى .. أنى راغبة فى الذهاب معه .

فهمست أختى .. برغم أنها لم تسمع ما همست به .. صاحت بصوت منخفض زاجر .

ـ لماذا ؟ إن زوجك قد قتل :

ـ أولًا إنهم كل لواحد .. ثم إن هذه النسخة هى التى تزوجتها .. أما تلك التى قتلت . فليست بزوجى .

فقالت أختى :

ـ اخرسى .. لا تدعها تفعل ذلك يا أبى .. لا تدعها تفضحنا .

ولكن أبى كان يفكر بطريقة أخرى . لأن نسبية الشعور بالفضيحة تحتلف عنده عما هى عند أختى لأنه ليس نصف عربى كما هو الحال عندها لذا فقد قال :

ـ لتذهب .. إنه زوجها .. وإن تعددت نسخه .

فصرخت أختى مزمجرة ولكن بصوت منخفض .

ـ أبى .. إن والدتنا مسلمة .. ونحن أولادها نعتنق دينها وأنت تعرف أن كل الديانات لا تسمح بتعدد الأزواج فنظر إليها وقال بحدة .

ـ إنه واحد .. لماذا لا تدركين ذلك .

لفت انفعال أختى الأنظار .. وتجمهر الكثير حولنا .. فخشيت من إثارة النفوس .. وحسمًا للموقف .. ركضت إلى المغارة . وانزويت فى ركن منها أنتحب بخفوت .

ذهب بمفرده إلى الطائرة .. أظن أنه خشى مثلى إثارة النفوس ، ولكن فى منتصف الليل تسللت من المغارة . ذاهبة إليه فقالت أختى ، رافعة رأسها من على كومة الجلود التى تتوسدها :

ـ عودى .. عودى .. البرد شديد فى الخارج .

فقال أبى رافعًا رأسه أيضًا :

ـ دعيها .. دعيها .

فقالت بغيظ :

ـ وإذا اجتمع السبع نسخ فى بقعة واحدة .. هل سترقدين عند كل واحد ليلة .

فأستشطت غضبًا .

ـ اخرسى .. إنه فقط زوجى .

ـ زوجك مات باعترافك .

ـ كذبت عليك .. هذا هو زوجى .

فقالت .. وقد جلست تمامًا على مرقدها :

ـ أبى أسمعت .. إنها مؤامرة تحاك لنا .. إنها معه .. إنها ضدنا .

استيقظ زوجها وأحد إخوتى على الحوار فقالا بصوت واحد موجهين اللوم إليها .. ما هذا ما لكما .. ألا تريا أنه منتصف الليل ؟

وقال أبى نافذ الصبر :

ـ أتركيها يا ليلى .. دعيها وشأنها .. لا تدعى إخوتك وزوجك وأبناءك يستغيظون .. إنها تعرف ماذا تفعل .. إننى أثق بها .. والدتك أيضًا تثق بها .. أنسيت ؟

وغادرت غير عابئة بأحد .

★ ★ ★

بعد مضى ثلاثة أيام . انضمت النسخ الستة الباقية إلى زوجى .. وبذلك جثمت سبعة من الطائرات فى بقعتنا . كان ذلك حدثًا فريدًا فى حياتنا .. حتى أطفالنا بهروا بالحدث . ولكنهم استمروا يتهيبون الاقتراب منها لكثرة ما عانوا من الرعب .

رفضت أنا أن أتبادل الحديث مع أى من النسخ الستة الباقية . كنت أتجنب قدر الإمكان الاحتكاك بهم . وكان اثنان من النسخ الستة فى سن يماثل سن زوجى . ولذا فهم متطابقون معه تمامًا فى الشكل والتفكير ، متطابقون فى الأحاسيس والمشاعر والنزعات النفسية .. أما الأربعة الباقون ، فأحدهم يافع لا يتجاوز عمره الخامسة عشرة . والثلاثة الباقون فى سن متقدمة . وكان يسهل علىّ تمييز هؤلاء النسخ الأربعة عن زوجى من نضارة الجلد ونعومته بالنسبة لليافع ، أو من قدم الجلد ، أو الخطوط التى تبدو على الجبين ، وحول العينين والذقن ، التى خطتها السنون على محيا الإنسان .

أما بالنسبة للنسختين الباقيتين . فلم يكن فى ميسورى تمييزها عن زوجى مهما دققت النظر أو الفكر .

ولذا كإجراء احتياطى للموقف ، فقد ربطت سيرًا جلديًا فى معصم زوجى ، كى أميزه عن هذين الاثنين .

قالت أختى ساخرة منى كعادتها فى معرض هذا الإجراء .

ـ من أدراك أنهم لن يتبادلوا ذلك السير الجلدى ؟ ثم إنهم فى السن الواحدة .. تكون مشاعرهم مطابقة تمامًا .. كما تقول والدتى فى مخطوطها .. أى أنهم يكونون معك بالمشاعر عندما تكونى مع أحدهم وإن كانوا خارج المكان .

تميزت غيظًا ، فقلت بعناد :

ـ لا يهم .. إنهم واحد كما يقول أبى . وكما هى الحقيقة العلمية .

ـ إذن لماذا السير الجلدى ؟

ـ لست مجبرة على الإجابة .. أنا حرة أعمل ما يروق لى ..

قلت ذلك مكابرة .. برغم أنى نفسى لا أعرف الإجابة على ذلك السؤال .. إنه واحد ، وإن تعددت نسخه .. ولكن مورثنا الطبيعى ، يرفض في داخلى التسليم بهذه النظرية الجديدة .. مقولة إنهم واحد . لم أستطع هضمها أبدًا .. وكان هذا ما ينغص علىّ هنائى مع زوجى .. برغم حبى الكبير له .

ومرة أخرى قالت أختى إغاظة لى :

ـ ليتزوج من نساء أخريات طالما أنت تصرين على أن تختصى بواحد .

شعرت بالغيرة .. ولكن أخفيت مشاعرى . قلت متحدية :

ـ لم أمنعه .. ترى لو لم تكونى متزوجة ولك أولاد .. أكنت ترضين بأحد نسخه زوجًا لك .. طالما أنك لا تعترفين بكونه شخصًا واحدًا ؟

قهقهت أختى بسخرية وقالت :

ـ العياذ بالله .. ربما عندما يصاب عقلى بالجنون .. أنسى ما عمله بنا هذا المسخ وزوجته العديدة .. ليس أنا فقط التى ترفض . بل كل واحدة من قبيلتنا لن ترضى به زوجًا .. ليهنأ بالك ويطمئن .

فقلت محنقة :

ـ أتظنيننى مجنونة إذًا ؟ لتهنئى بعقلك الراجح ؟

كنت فى عراك دائم مع أختى حول هذا الموضوع .. بينما رجالات القبيلة وشبابها منهمكون فى وضع الخطط أو دراسة الخرائط التى جلبها زوجى معه .

كانت الخطة تتلخص فى الآتى :

أولًا : ضرب طيرانها فى شتى مواقعها على الأرض . وهى لا تزيد على أربعة وعشرين مطارًا . بعد أن قلصت أماكن تواجدها وكثفت أعدادها فى مواقع متقاربة ، بعد أن أمنت على نفسها من المزاحمة .

وخطة الهجوم ، أن يقوم الطيار الواحد بالإغارة على أربعة مواقع مختلفة .. كل ستة من هذه المواقع تضرب فى آن واحد ..

المدة بين هجوم ، وهجوم لا تزيد على الست ساعات للمواقع البعيدة ، وأربع ساعات للمواقع القريبة ، بعد الهجمة الأولى . التى ستتم فى آن واحد . ولن يستخدم فى العملية سوى ستة طيارين .. ورسم مخطط تزامن الهجوم ومواقعه وفيما يلى رسم مبسط لتوضيحه :

×	×	×	×	×	×	الهجمة الأولى
×	×	×	×	×	×	الهجمة الثانية
×	×	×	×	×	×	الهجمة الثالثة
×	×	×	×	×	×	الهجمة الرابعة

وبما أن استخداماتها للطيران قليلة . لا تعدوا نقل ما يفيض عن حاجتها من المؤن إلى الأماكن التى تشح بها هذه المؤن ، لذا لا توجد كثافة عالية لسلاح الطيران . ومعظم ما فى المطارات عبارة عن طائرات الحمولة .

هذه المعلومة ، مع عنصر المفاجأة ، ساعدت كثيرًا فى كسب الجولة الأولى معها فيما بعد .

ثانيًا : أو الخطوة الثانية ، القيام بضرب أماكن تخزين السلاح . وأيضًا هناك معلومة لا تقل عن المعلومة الأولى جدارة بالأهمية . إن معظم أسلحتها علاها الصدأ ، وأهملت منذ زمن طويل زيادة ذخيرتها ، أو تطويرها لانتفاء الحاجة إليها ، لشعورها بالاطمئنان لتفردها على الأرض ، فمع من تحارب ؟ هل يحارب المرء نفسه ؟

إذن ضرب هذا الكوم من الأسلحة الصدئة يفجرها ، ويقضى على أعداد كبيرة من نسخ (المرأة المتعددة) . فى قطر يساوى ثلاثة أرباع أماكن تواجدها . وذلك لأن (الرجل المتعدد) يعرف مواقع مخازن الأسلحة . الخطوة الثالثة والمهمة جدًّا . تتلخص فى ضرب مستشفيات التكرار . وهى لا تزيد على ثمانية مراكز فى ثمان من المدن الكبيرة فقط .

أيضًا قلصت معامل التكرار لشعورها بالأمان من المزاحمة فى كم الأعداد .

ما تبقى بعد ذلك يتلخص فى حصد الباقى الحى من أعدادها . وهذه أسهل المهمات .

وقسموا العمل فيما بينهم .. كل طيار من النسخ الست مع طاقم من المساعدين من شباب القبيلة يتكون من عشرة أفراد لكل طائرة .

أما الطيار السابع فيبقى احتياطيًا . مهمته نجدة أية طائرة تتعرض للخطر .

وكانت النسخة اليافعة هى من وقع عليها الاختيار للبقاء كاحتياط ، برغم حماسه الكبير للقيام بدور الهجوم .

★ ★ ★

وبعد إتمام التدريب لشباب القبيلة المختار ، للمشاركة في الهجوم . تم كل شيء ، حسب ما هو مخطط له .

ضربت المطارات . وفجرت مخازن الأسلحة ، فزلزلت الأرض تحت أقدام (المرأة المتعددة) .

لقد دمر خمسة وسبعون بالمائة من تعدادها على الأرض في الجولة الأولى ، والثانية .

فارتعبت المرأة . وقد شلت حركتها ، فجهلها بمقدار قوة عدوها ، وجهلها بمن يكون هذا العدو ، شل قدرتها على التفكير ، وأصبحت عاجزة عن الرد على أي هجوم ، فضلًا عن أنه لم يتبق بين يديها ما ترد به .

فطيرانها القليل دمر ، وأسلحتها المخزونة فجرت .. وبعد أن بدأ الهجوم المركز على معامل التكرار ، وبعد أن سحقت أعدادها الكثيفة ، لم يعد أمامها من مهرب من الهلاك المؤكد ، سوى الفرار .

لاذت أعداد قليلة منها إلى الجبال . وفنى الباقي عن بكرة أبيه ، وهن يهممن بالفرار . .

حتى النسخ التي تمكنت من الفرار ، متن ، جوعًا وعطشًا ، ففي عملية الهروب من الحمم المتساقطة من السماء .. لم تجد معه الفرصة لنقل ما تتزود به ، يعينها على الحياة ، حتى إلى أيام قليلة . واحدة فقط نجت من بين كل ذلك الجمع ، الذي يعد بما يقارب الخمسة ملايين نسخة . وجدتها أنا بين الركام ، عندما انتقلنا إلى إحدى مدنها ، بعد النصر المؤزر الذي أحرزناه . كانت تفضل الموت

جوعًا على أن تخرج إلى الأنظار . وكانت من النسخ اليافعة . إذ لا تتجاوز العشرين من العمر .

ما إن رأتنى حتى اصطكت ركبتاها . وركعت أمامى تتوسل فى هلوسة ، تخلط فى جملها بين اللغة العربية والسيرالية دون وعى .

ـ رحماك سيدتى .. لا أستطيع الإضرار بأحد .. ماتت كل توائمى .. إنى وحيدة .. لا تقتلينى .. لا تقتلينى .

فرحت بها ، لست أدرى لماذا .. لكأنى كنت طوال هذه المدة من التنقيب أبحث عن واحدة منها .

ربما لأنها ضرة سابقة لى .. أو ربما حبًا فى الاستطلاع والتقصى .

المهم أخذ قلبى يخفق بشدة .. وكأنى عثرت على كنز ثمين ، ابتسمت لطمأنتها وقلت :

ـ لن أقتلك .. إنى لا أجرؤ على قتل حشرة فما بالك بإنسان .

ونظرًا إلى أنها عربية الأصل ، كما مرّ ذكره فى قصة (الإنسان المتعدد) التاريخية . لذا فقد كانت تجيد التكلم باللغة العربية التى أنا الأخرى أجيدها ، لأصل والدتى العربى .

قالت بعربية خالصة :

ـ لا تدعيهم يقتلوننى .. لا تدعى قومك يقتلوننى .

كنا أنا وزوجى وأبى وإخوتى ، وأختى وزوجها وأولادها .

قد اتخذنا إحدى دور التجمع (للمرأة المتعددة) كمنزل مؤقت لنا . كما احتل غيرنا أماكن مشابهة .

فقلت : تعالى .. تعالى .

هربت فى فزع مميت .

كلا .. كلا سوف يقتلنى (الإنسان الطبيعى) ، سوف يقتلنى ..

أرجوك دعينى هنا .. أحضرى لى شيئًا من الطعام والشراب .. لن أطلب منك أكثر من هذا .

ـ كلا .. قد يجدك أحد غيرى .. كلنا فى جولة تفتيشية لمعرفة المكان ، والتعرف على موجوداته ، وإزالة الركام عن الصالح منه .. تعالى معى . قبل أن يجدك غيرى .. وعندئذ لن يكون فى ميسورى أن أحميك .. سوف أخبئك داخل المنزل .. لن يراك أحد سواى .. ولكن انتظرى سأجلب لك أحد الجلود ، كى ترتديه ، عوضًا عن ثوبك هذا .. ستعرفين به من بعيد ، لو ظهرت به .

لم نغير ثيابنا بعد ، سوف نغيرها عندما تشتغل المصانع لغزل الثياب . رفض الجميع ارتداء أى من ثياب (المرأة المتعددة) .

ـ لن يعرفك أحد .. وأنت فى الثوب الجلدى سوى المسنين منا ، هم قد استكانوا إلى أفياء ظلال الظهيرة بعد عناء عملية البحث والتنقيب .. ربما يعرفك (الإنسان المتعدد) .. ولكن لن نصادف أحدًا منه ، إنه مستغرق فى عمليات النقل بطائراته .

فغرت فاها لتتحدث .. وأظنها استغربت أن يكون (الإنسان المتعدد) متعاونًا معنا للقضاء عليها . ولكنى لم أعطها الفرصة للتعبير عن دهشتها . إذ خرجت على عجل ، قبل أن يستدل أحد على مكانها .

وعندما عدت إليها بالثوب الجلدى .. اطمأنت نفسها ، وعلمت أنى جادة ، وأنى أريد حمايتها حقًا .. فركعت تقبل قدمى .. ولكنى

طلبت منها أن تكف عن ذلك .. وقدمت لها ما معى من طعام وشراب حاولت أن يكون قليلًا ، كى لا تؤذى نفسها فازدردته بسرعة كبيرة .. وهى تقول :

ـ لقد مضى علىّ ثلاثة أيام دون مأكل أو مشرب :

واردفت بعد أن انتعشت حيويتها قليلًا .

ـ هيا .. قبل أن يجدنا أحد .. لقد رفضت أن أهرب .. أردت أن أموت حيث أنا .. كل الذين هربوا ماتوا جوعًا وعطشًا .. لم يتزود أحدنا بطعام أو شراب ، للعجلة التى كنا بها .. عداى أنا ، كنت أستطيع الحصول على الطعام ، برغم القصف الشديد .. لكن عندما دخلتم المدينة ، منذ ثلاثة أيام ، لم أستطع الخروج للبحث عنه .. ذكرت يا سيدتى .. أوه ما اسمك ؟ فقلت لها :

ـ (منى) .. وأنت .

فقالت :

ـ من اسمك يبدو أنك عربية .. اسمى (أمل) .. منذ قرون وأنا أحمل هذا الاسم .. ألم تقرئى قصتى التاريخية (للإنسان المتعدد) .. ولكن الاسم لم يعد ذا أهمية لدىّ ، منذ أن فارقت جميع البشر .. فأنا أفهم ما أريد أينما أكون .. إنك عربية مثلى . أليس كذلك . إنك تجيدين التحدث بالعربية .

ـ أعرفها .. ثم إننى لست عربية خالصة .. والدتى فقط عربية .. أما أبى فمن سيرال .. أظنك تعرفين اللغة السيرالية ؟ .

ـ طبعًا اللغة السيرالية والعربية .. والعديد من اللغات الأخرى المندثرة كالإنجليزية والفرنسية وغيرها أعرفها .. أو إنى سريعة التعلم لها . لأن نسخى الستة تعرفها .. إننا لا نحتاج إلى اللغات ..

نحن نفهم ما نريد بالتراسل الفكرى .. ولولا ممارستنا لهذه اللغات منذ القدم لما عرفنا كيف نتحدث بها .. لأننا لم نعد فى حاجة إلى الحديث ، بعد أن رحل عنا (الرجل المتعدد) .. ومن قبله أنتم .. آه لقد ذكرت فى معرض حديثك أن (الرجل المتعدد) .. قد يتعرف علىّ .. حتمًا سيعرفنى .. فهل هو موجود .. لقد دمرت أعداده . منذ نصف عقد من الزمن .. ولم يبق منه باقية ولم يظهر له أثر ، هذا ما أعرفه .

فقلت بحيادية ، دون أن أحاول إيلامها .

ـ إنه موجود .. وهو الذى قاد الهجوم عليك .. ولولاه لما تمكنا من القضاء عليك .. لقد تحالفنا معه شريطة ألا يتوئم نفسه ..

ولكن هناك سؤال يلح علىّ .. لماذا رفضت معاونته فى توأمة نفسه ؟ فقالت :

ـ انتهت غريزة الميل إليه .. لم أعد فى حاجة إليه .

ورد على ذهنى ما أخبرنى به ، كما ذكرت تمامًا .. وشعرت بسرور غامر لصدقه معى .

ثم جهرت .

ـ كما أنك لم تعودى فى حاجة إلينا ؟

ـ هذا صحيح .. ولكنى الأضعف الآن .. ولن أقدر على توأمة نفسى . كل ما أطلبه السماح لى بالتعايش السلمى معكم ، تحت أى شروط تملونها علىّ .

إنكم مختلفون عنى .. نفوسكم تقبل المزاحمة والتنافس ،

غرائزكم مبنية على ذلك ، لن يضركم تواجدى ، طالما أنى لا أشكل أى نوع من الخطر على كيانكم .. أليس كذلك ؟

ـ اسمعى يا أمل .. سأبذل قصارى جهدى لمساعدتك .. ولكن لن أضمن لك قومى .. لذا يجب أن تبقى فى حال من الاستخفاء ، حتى أستطيع أن آخذ الأمان لك .. سأحاول اقناع قومى ، أنه لا خطر منك . خاصة وأنك سوف تموتين عند استهلاك جسدك ، مثلنا تمامًا ، بعد أن دمرنا كافة معامل التوأمة لديك ، قطعًا لن يكون فى ميسورك تدبر أمرك قبل استهلاك جسدك .. إذن لا خوف منك .

أصفر وجه الفتاة لذكر الموت .. وقالت :

منذ قرون عديدة ، لم تعد فكرة الموت واردة فى حسبانى فعندما يهلك أحد أجزائى فالعديد من الأجزاء الأخرى يعوض عنها .. ولكن سوف أمرن نفسى عليها .. لايهم .. المهم ألا يقتلنى أحد .

فقلت بتحد :

ـ لا شك سوف تجربى كل براعتك ، فى محاولة إعادة توأمة نفسك .. ولكن اعلمى جيدًا .. أننا لن نسمح لك بذلك .. بمجرد علمنا بأى محاولة منك ، ولو تافهة ، سوف نلغى وجودك من الدنيا بأسرع مما تتصورين . يجب أن تفهمى ذلك جيدًا .. فلا مجال للرحمة .. أو الشفقة لدى قومى . بسبب ما تعرضوا له من التشرد منذ أكثر من نصف قرن ، عن الحضارة التى صنعوها بأفكارهم .. والتى كنت وحدك وزوجك المستفيد من قطف ثمارها لصالحكما فقط .. لقد كنتما فى منتهى الأنانية .

ـ فقالت فى مذلة واستكانة :

ـ إنها الطبيعة يا سيدتى .. إنها الطبيعة تفرض وجودها .. ليس هناك من كائن لا يبرر خلقه سبب وجوده .. وعندما لم يعد لنا مبرر ، للارتباط بأى كائن آخر .. عندما أصبحت فى غنى عن كل البشر ، تصرفت ذلك التصرف الذى ترينه أنانية مطلقة منى . وما هو فى الحقيقة سوى نزعة الخلق فى تركيبى الجديد .. على أية حال ، وجد المبرر الآن للرضى بالتعايش معكم .. إننى فى حاجة ماسة إليكم .. إنى فى حاجة إلى العون لكى أعيش .. ولن تروا منى ما يريبكم .

فقلت لها بتأكيد أكثر .

ـ حتمًا لن تقدرى على فعل أى شىء مضر بنا .. وكذلك زوجك السابق لن يقدر على ذلك .. ثمة سؤال .. هل تشعرين بميل نحوه الآن ؟ أو نحو أى رجل .. هل استعدت غرائزك تجاه الرجل ؟.

لا أدرى ربما دفعنى إلى هذا السؤال شعور بالغيرة .

أجابت :

ـ كلا .. الأمور لا تحدث فى مثل هذا المدى القصير .. إنها أمور تطورية .. يجب أن أعيش فترة طويلة عن طريق تكرر أجزائى وعن طريق الرجل ، كى يحدث تطور ارتدادى .. أى أن استعيد غرائزى للحاجة المستجدة .. والله وحده الذى يعلم كم يستغرق ذلك من الزمن ، أما فى عمرى الجزئى القصير حتمًا سأبقى على ما أنا عليه .

شعرت بارتياح غامض ، زادنى عزمًا على مساعدتها دون خوف .

قلت :

ـ توجد سبع نسخ من (الرجل المتعدد) .. وأنت واحدة .. أما نحن كبشر طبيعيون ، نعد بأكثر من ألف رجل وامرأة وطفل ، وسوف يتضاعف عددنا فى مدى قصير لتحسن الظروف المعيشية .. أى أن الغلبة لنا ، وسوف تخضع كل تحركاتك وسكناتك لمراقبة شديدة ، مثلما نفعل (بالرجل المتعدد) وعند وجود ما يشتبه به ، سوف نقتلكم شر قتلة .. فدعى الطموح إلى العودة إلى سالف ما مضى من أيامك .

فردت :

ـ إننى أفهم .. إننى أفهم .. أريد أن أعيش فقط .

ـ على أية حال سوف أخبئك فى مخزن الغلال فى منزلنا .. إنه أحد مخازنك الذى لم تتح لك الفرصة لملئه ، عندما فاجأتك الغارة .. سوف تختبئين هناك ، إلى أن أتدبر أمر إقناع قومى ، لجعلك تعيشين حتى يستهلك جسدك .

عنّ لى سؤال آخر . فقلت :

ـ لو فرضنا أنك وتوأم لك موجودان فى ساحة خطر ، بين أعدائك وقرر العدو ، أن يقتل أحدكما وطلب منك الخيار أن تموتى أنت أم توأمك فهل تطلبين الموت لتوأمك .

ابتسمت لأول مرة ابتسامة ضئيلة ساخرة ، وقالت :

ـ مثلما يعرض عليك أمر اختيار قطع أحد قدميك .. أو اختيار قلع إحدى عينيك . فأيهما تختارين؟ بما أن الأمر سيان لديك .. فإنك تدعين العدو يختار ذلك ، كذلك الأمر بالنسبة لى .. إذا قتلت أنا ، فالباقى منى هو أنا .



كان الرأى استقر عند قومى على اختيار قرية صغيرة ، سكنًا مؤقتًا لنا ، بما فى ذلك زوجى ونسخه . الذى اقترح فى مبدأ الأمر أن يتخذ له مدينة أخرى بعيدة عنا . ولكن قومى رفضو طلبه بشدة .. وصمموا على أن يعيش بين ظهرانينا ، وتحت مراقبتنا .

قدت الفتاة إلى منزلنا ، محاولة قدر الإمكان الابتعاد عن أماكن تواجد قومى ، وخاصة المسنين منهم .. أدخلتها المخزن فى غفلة من أختى التى كانت تجهز الطعام داخل المطبخ .

ظلت الفتاة متخفية عن الأنظار لمدة أسبوع كامل ، داخل مخزن الغلال . وكنت خلاله أسرق لها الطعام ، أثناء غياب أختى عن الدار . وكان غيابها قليلًا .. فهى لم تصدق أنها لقيت منزلًا تديره . حتى تفننت فى تنظيفه .. وبهرجته .. وهى فرحة جدًّا .

لقد تركت لأبى وإخوتى المشاركة مع قومى فى أعمال التنقيب ، فى الخرائب الضاربة فى المدينة ثم إنهم كانوا يرحلون .. إلى المدن الأخرى . داخل الطائرات التى يقودها زوجى .. ونسخه للتنقيب ، والتقصى عن أى أثر (للمرأة المتعددة) .

كان فى القرية التى نحن بها ، وفى المدن الأخرى ، من مخزون الغلال ما يكفى إلى عقود قادمة . ولكنها حتمًا ستفسد . ولذلك أخذ الرجال ، ومن ضمنهم زوجى ، فى تنظيم إحدى المدن الصغيرة التى استقر الرأى على اختيارها سكنًا دائمًا لنا ، لتنطلق الحياة منها فأخذ فى فى تهيئتها ، من عمليات حرث الأرض . وتشغيل محطات المياه والكهرباء . حتى رجالنا المسنون شحذت هممهم ، فعادوا أكثر نشاطًا وحيوية ، وأخذ كل واحد منهم ، يحاول استعادة ما لديه من خبرات ، فيما مضى له من أعمال . فإن كان كهربائيًا ، جمع له عدد من شباب القبيلة وترأسهم فى أعمال

الكهرباء ، ليتم تدريبهم في هذا المجال .. وإذا كان مختصًا في أعمال الطرق . كثف جهوده مع شباب آخرين في رصف التالف من الطرق . وتنظيفها . وهم الذين لا يعرفون من هذا العمل الحضاري شيئًا .

ومن كان مختصًا في العلوم . أخذ في تصنيف السجلات وتبويبها ، وتسجيل كل فرد بها .

شيء واحد كان عليه اتفاق إجماعي ، بين كل رجالات القرية ونسائها . هو حرق وإتلاف كل ما يختص بعلوم التوأمة . وهدم وتخريب كل ما يمت له من المباني بصلة .

حتى زوجي ونسخه كانوا يسهمون في عملية الهدم ، واستخراج السجلات ، والبيانات ، الخاصة بهذا الموضوع لحرقها ، ويبدو أن ذلك للبرهنة على حسن نواياهم .

قلت : إنه مضى أسبوع على وجود (أمل) داخل مخزن الغلال . وكنت أسرق لها الطعام . كما ذكرت في غفلة من عين أختي .

في اليوم السابع خرجت أختي إلى الشارع . وكأنها فقط في هذا اليوم ، فطنت إلى أنها حبست نفسها اختياريًا .. وعندما فطنت إلى أن هناك مجالًا أرحب للتفرج عليه ، خرجت .

فرحت أنا بهذه الحرية . كي أخلو إلى ضيفتي التي لم أجرؤ خلال ذلك الأسبوع ، سوى أن أرمي لها بالطعام ، أو أنظف ما تقذفه من أوساخ ، في عجالة ، دون أن أتبادل معها الحديث .

كان بي فضول كبير إلى سماعها .. أريد أن أعرف نمط الحياة

لديها ، وكيفية تعايشها فى هذا الكون الواسع . وهى تعلم أنها منفردة ، لا يزاحمها فيه مزاحم .

استغرق حوارى معها كل صغيرة وكبيرة من أمور حياتها .

ولكنه لم يزد على مجمل ما ذكره زوجى عنها ، أو عما دار بينى وبينها فى أول لقاء بيننا سوى سؤال واحد لم أجد مجالاً لطرحه فى حينه .

فقلت :

ذكرت أول ما لقيتك . أنك قررت الاختباء بالمدينة . مع أن نسخك كلها فرت إلى الجبال .. وأنك وحدك قررت الاختباء هنا .. هل تحملين إرادة مستقلة عن بقية أجزائك لتقومى بفعل مستقل ؟

أجابت :

- طبعًا لدى إرادة مستقلة ولكنها نسبية ، وكى أقربها إلى تصورك . لنفرض أن عاصفة رملية ضربت وجهك فأقل عينيك تعرضًا للخطر تفتحينها كى ترى الطريق .. بينما تبقى الأخرى مغمضة .. ولو غاصت قدماك فى الوحل ، ففى كل مرة تبحثين عن مكان آمن لأحد القدمين ، غير المكان للقدم الأخرى .. ولكن المهم فى كل الأحوال الحفاظ على كيانك .. هكذا أنا ، ففى نجاة أى نسخة نجاة لبقاء كيانى ، واستمراره .. هذه أمثلة طبعًا مع الفارق .

طالت جلستى معها ما يقارب الساعتين ، دون أن أشعر بالتعب . ولكن فى الآخر ، فطنت إلى أنى أطلت الجلوس معها ، وخشيت من مغبة عودة أختى . فاستودعتها ، وخرجت من المخزن متسللة .

ويا لهول ما اصطدمت به .

كان وجه أختى العابس المرتاب . يقف فى مواجهتى عند خروجى .

قالت :

ـ يا لك من فتاة طائشة .. كان (الرجل المتعدد) أولًا .. سلمنا بأنك أحببته .. والآن ضرتك السابقة .. ماذا تستفيدين منها ؟.. ماذا وراء هذه الشائهة ؟ ألا تغارين منها .. إلى هذا الحد دمك بارد ؟

صرخت بها :

ـ ليست ضرتى .. زوجى طلقها .. أنت تعلمين ذلك .. ثم إنها إنسانة مثلنا .. لماذا لا ندعها تعيش ، طالما أنها لن تسبب لنا أى إيذاء ؟ لماذا أنت قاسية القلب دومًا ؟

فقالت :

ـ أريد أن أفهم فقط ، لماذا ترأفين بها ؟.. ألا تتذكرين من كان السبب فى دمارنا وتشريدنا لأكثر من نصف قرن ؟.. ألم ترى الفرق الذى كان من الممكن أن نعيشه . والذى حرمت منه .. أرأيت الحضارة التى أضعناها ، أو ضاعت منا بسببها ؟ .. دعى كل هذا . ألا تذكرين دماء خالك السائرة فى حوض التجارب ؟

فقلت بهدوء :

ـ قطعًا لن تفهمى وجهة نظرى ، حتى لو ذكرت لك السبب .

فاستشاطت غضبًا ، كعادتها عندما أتعرض لذكائها .

ـ يا الله .. فما من فاهم غيرك ؟ .. أتظنين بنفسك العبقرية ؟.. لمجرد معرفتك القراءة والكتابة ، أتظنين أنك أوتيت عقلًا لا يجارى ؟ إن والدتى من ملأك غرورًا .

ـ دعى والدتى ترقد بسلام .. ثم إن الأمر ليس كما بدا لك .. ليس هذا ما أعنيه .. حسنًا اسمعى .. لقد أويت هذه المسكينة ، لسببين أولهما .. من منطلق الوعى الإنسانى الذى ندعى أننا أربابه .. إنها امرأة عزلاء ، لا حول لها ولا قوة ، وعملية قتلها تدخل ضمن العمل الوحشى ، وهى قد استنجدت بإنسانيتى . ثانيا إننا لا نعرف شيئًا عن طبيعة الحياة التى عاشتها ، وهى منفردة بنفسها فقط .. فمن أجل التاريخ ، ومن أجل حضارتنا الجديدة التى سوف نبنيها الآن فعلت ما فعلت . والأهم من ذلك أنها لا تشكل أى خطورة علينا ، بعد ما حدث لها .

فقالت مكابرة ، غير مقتنعة :

ـ ماذا يهمنا من معرفة أى شىء ، عنها ؟ إننا لن ندع أحدًا يكرر تجربتها .

ـ أوه .. وتغضبين لو قلت إنك لن تفهمى هذا أبدًا .. حسنًا لندع هذا الجانب .. هل يرضيك أن تقتل امرأة عزلاء .. ضعى نفسك مكانها .. أو تصورى أى عزيز عليك يقتل ، وهو أعزل ، لن يضر أحدًا ، وإنما يقتل لمجرد أن عداء سابقًا كان بينك وبينها .. لقد ألقت أسلحتها وسلمت .. لماذا لا تعاملينها معاملة العدو ، الذى رفع راية الاستسلام ، كأى عدو تقليدى ، وهو أسير .

فانبرت .

ـ يا لك من فتاة متبجحة بألفاظ ليس لها معنى .

إن أى نقاش منطقى ، أو غير منطقى . لا جدوى منه مع أختى .. فغيرت أسلوبى سريعًا ، وانخرطت أبكى وأتوسل إليها .. أن تساعدنى فى جعل المرأة العزلاء تعيش عمرها ، توقفت

أختى عن دفعى . كى تجتاز ، الباب . وأخذت تنظر إلى نظرة طويلة . وكأنها رقت لى أخيرًا .. ثم قالت :

ـ حسنًا .. هاتى مفتاح مخزن الغلال .

ـ وماذا ستفعلين به ؟.

ـ سوف أغلق الباب .. وأدع المفتاح معى .

ـ حسنًا .. شكرًا .. شكرًا جزيلًا .. ولا تنسى تزويدها بالطعام والشراب . فخطفت المفتاح منى .. وأغلقت الباب على عجل وانصرفت .

★ ★ ★

جلست على حافة الفراش الوثير ، فى صالة النوم الجماعية أفكر .. يقول أبى .. إنه سوف يقيم الحواجز بين الأسر .

.. لم أعتد النوم على السّرير . إن أضلعى تؤلمنى . ولكن زوجى يقول : إننى سوف أعتاد على ذلك .. نحن فى مغارتنا ننام بدون حواجز .. وكثيرًا ما شاهدت أختى وزوجها فى وضع انسجام ..ولكن للضرورة أحكامها . كما تقول والدتى . رحمها الله .. ومع ذلك لم أقم بهذه الضرورة فى محضر أحد . حتى لو كان نائمًا .. ففى الغابات متسع ساتر .. مسكينة أختى . لو تدرى بما أفكر فيه عنها . لكفت .

شعرت بالارتياح لتصورى وضع الحواجز .

ثم عرج فكرى ، نحو الفتاة الحبيسة .

ـ ترى .. هل تجسر أختى على قتلها .. لا ، مستحيل .. مهما بدا من شراستها .. إلا أنها فى دخيلتها رحيمة .. ثم إنها تحبنى .. لن تفعل .. سوف أحدثها غدًا بأمر الفتاة لعلها تكون هدأت وفكرت جيدًا .. لعلها تستجيب .. منذ يومين .. منذ اغتصبت منى مفتاح المخزن وهى ترفض مجرد الإشارة إلى الحديث ، بشأن الفتاة .

ولكن لم أستطع صبرًا إلى الغد .. ذهبت أبحث عن أختى .. وجدتها تجلس القرفصاء أمام باب الدار . كما كانت تفعل فى الأيام السالفة . عندما كانت تجلس بنفس الطريقة أمام باب المغارة .. جلست قربها ، وقبل أن أطلب منها المفتاح . بدأت تدريجيًا أقص عليها بعضًا من أخبار الفتاة .. قلت :

ـ فيما بدا لى من حديثى مع (المرأة المتعددة) .. أنها مطمئنة كل الاطمئنان إلى وضعها الأمنى .. لقد كان واضحًا كل الوضوح أن ليس لديها أدنى هاجس عن إمكانية تواجد أى مخلوق بشرى على

الأرض غيرها . سواء أكان من الإنسان الطبيعى أو من (الرجل المتعدد) .

كان اطمئنانها إلى عدم تواجد إنسان طبيعى أكبر .. نظرًا لمرور أكثر من نصف قرن على اختفاء (الإنسان الطبيعى) فلم تسمع عنه شيئًا . أما بالنسبة (للرجل المتعدد) . فهى واثقة تمامًا أنه لن يكون فى مقدوره مكاثرة نفسه لامتناعها عن حمل توأمه . وتدمير كل معامل التكرار التى يمتلكها .. وأنه لم يعد فى ميسوره امتلاك أية إمكانية لعمل تجارب تعوضه عما فقده منها . وبالتالى لو تواجد نفر قليل منه هاربًا فى الجبال . أو فى أحد أطراف الأرض النائية ، فسوف يستهلك جسده . قبل التمكن من التوصل إلى أى شىء يساعده على البقاء .. من هذا المنطلق ، ركنت (المرأة المتعددة) . إلى حياتها الخاصة ، سادرة فى أمن وطمأنينة ، غير عابئة بأى شىء سوى الحفاظ على استمرارية بقائها أو العناية بمقومات هذا البقاء . بإنتاج الأغذية المناسبة لها . وتدجين الحيوانات لمساعدتها على الغذاء أولًا . ولجلب الاهتمام بشىء تشغل به نفسها ، لخلو حياتها من التلوين .

ومع ذلك ذكرت ، أنها برغم الفراغ الهائل الذى تعيشه إلا أنها سعيدة كل السعادة فى وضعها المنفرد على الأرض .. بيد أن واقعها الاجتماعى ، يختلف جذريًا عن الواقع الاجتماعى للإنسان الطبيعى . إذ أن نظامها الاجتماعى فى غير حاجة إلى رئيس ومرؤس . ولا إلى خدم ومخدومين فهى ترأس نفسها وتخدم نفسها . وتقرر وتنفى لنفسها . كذلك واقعها مختلف عما كان عليه عندما كانت مرتبطة (بالرجل المتعدد) . فوضعها الجديد جعلها قليلة الكلام .. فمن تكلم ؟. هل تكلم نفسها ؟. فالمرء عادة لا يفعل ذلك . فهى أينما كانت تفهم ماذا تريد على الجانب الآخر .. وماذا تحتاج إليه نسخها الأخريات .

أحيانًا قليلة تأخذ النسخ المسنة فى توجيه الحديث لليافعات لعدم اكتمال نضجهن الحسى لملاحقة النسخة المسنة فى تفكيرها لتراكم الخبرات فى دماغ هذه الأخيرة .

كانت أولئك المسنات يوجهن اليافعات من النسخ بألفاظ موجزة ، فيما يجب القيام به من أعمال تستدعيها معلومة أعلى من خبرتهن . كانت هذه التوجيهات بأقل الألفاظ كمًا . أو حتى أحيانًا تتم بإيماءه .. لأن الإدراك العقلى كان موصولًا .. كما يعطى عقلك إيعازًا إلى يدك لتهرش مكان قرص من جسمك .. إذ سرعان ما تفهم النسخة اليافعة ، ماذا يراد منها فتقوم بتأديته سريًعا . لتضاف خبرة جديدة على ما لديها تغنيها فيما بعد عن سماع التوجيه بشأنها .

أما الباقى من الأعمال فيتم فى صمت دؤوب . وكأن ليس ما أمامنا ، إلا مملكة للنحل ، كل سرب متجه إلى مكان عمل معين له (فالمرأة المتعددة) قسمت نفسها إلى مجاميع بنسبة كثافة الأعمال ، مجموعة لنسج الثياب وأخرى لتصنيع الأغذية .. وأجزاء إلى تنظيف الشوارع ، وأماكن التجمع . لقد ألغيت أماكن السكن الخاصة ، مثل كل الأشياء الخاصة الأخرى . إذ لا تدعو الحاجة إلى تمايز بعضها عن بعض ، أو تنافس بعضها مع البعض . كذلك أفردت أجزاء منها إلى معامل التكرار ، والتى هى الأخرى قلصتها كثيرًا ، بعد أن اطمأنت إلى وضعها ، بعد أن كانت تعد بمئات الملايين . إذ أضحى عددها قبل هجومنا عليها لا يزيد إلا قليلًا على المليونى جزء وكذلك قلصت ، أماكن تواجدها إلى أربعة مدن صغيرة بالقياس إلى ما كانت عليه المدن فى الماضى .. حتى المستشفيات التقليدية ، أغلقت فالنسخة المريضة . إن لم تقاوم المرض ذاتيًا تمت ، لأن النسخ الجديدة تفى بالغرض الذى هو استمرار البقاء .. فالضعيف غير مستحب تواجده فى مجتمع

متجدد ، كما هو حال الخلية عند الإنسان الطبيعى . عندما تموت يعوضها بغيرها دون حزن على القديمة .

ثم إن كل أعمالها تتم فى صمت . صمت مطبق منذ الصباح الباكر ، إلى حلول الظلام ، ثم تنام فى سبات مستغرق ، لا يؤرقه هم جلب الرزق . أو قلق الخوف من الفناء ، إلى بزوغ شمس اليوم التالى ، ثم تبدأ الأسراب فى الحركة الدائبة ، دون ضوضاء ، قد لا يسمع فى اليوم الكامل سوى مواء القطط ، أو ثغاء الخراف ، أو زقزقة العصافير ، أو تغريد الطيور ، أو حفيف الأشجار و (هسهسة) الرياح .

ولكن أحيانًا قليلة متباعدة ، يقع حدث يصم الآذان المعتادة على الصمت ، وذلك عندما تحلق إحدى الطائرات ، حاملة بعض الأطعمة إلى بعض المناطق الأربعة التى تقطنها . أو مرور بعض السيارات فى فترات أكثر تباعدًا ، لنقل الفائض من الطعام ، من أحد أطراف المدينة إلى مخازن التعبئة .

وكانت هذه السيارات قليلة ، لا تزيد على عدد أصابع اليد الواحدة .. فى كل مدينة من المدن الأربع . وهى مثل أى صناعة زائدة عن الحاجة ، توقفت التجارب لتطويرها واكتفى بمصنع واحد لإنتاج سيارات النقل الكبيرة .. إذ ليس هناك أى نوع من السيارات الخاصة . فلم تعد هناك حاجة إلى امتياز أحد على أحد .

وكى تقرب الأمر إلى ذهنى . قالت :

تصورى نفسك كإنسانة طبيعية ، أن تشترى أشياء مميزة لأجزاء من جسمك ، دون الأجزاء الأخرى .. هل تشترين لأحد قدميك حذاء رخيصًا ، وتميزين القدم الأخرى بحذاء غالٍ . إن جاز التشبيه . لذا لا داعى لامتياز إحدى النسخ على الأخرى لأنها جزء من كل .

كذلك ألغيت صناعة التلفاز ، والراديو ، وإرسال البرقيات والمراسلات . فالتراسل بين النسخ يتم فكريًا كما مرّ ذكره .

هكذا نمط الحياة لديها . وهكذا كانت تمضى الأيام بها ، منذ ما يقارب الأربعة عقود خلت .

ولكن أختى لم تعلق على حديثى ، وظلت صامتة لا تريم ، فعدت إلى القول .

ـ إن الفتاة أسيرتك تتألم بشدة من جراء الألم الذى تتعرض له نسخها من الهاربات ، كل يوم من أيام تواجدها هنا . لقد ذكرت لى أن مجموعة من الهاربات ، هلكن عطشًا لشعورهن الشديد بالعطش برغم ما تشربه من ماء .. وآخريات سقطن من حالق من أحد الجبال .

شىء غريب آخر ، إنها تقول إن الألم الذى تشعر به لمعاناة أجزاء منها ، يكون مركزًا عندما تقل وفرتها ويهدد نوعها بالانقراض ، ويكون شذرات عندما تعم أعدادها .

حتى قالت لى يومًا وهى تبكى ألمًا .. لقد ماتت جميع النسخ .

فردت أختى أخيرًا :

ـ حسنًا من أدراك . أنها لا تكذب .. ثم منذ متى وهى هنا ؟ فقلت :

ـ منذ أسبوع واحد .

فنظرت إلىّ طويلًا . وعلقت :

ـ إنك أحيانًا تخيفيننى .. إنه لا ينقصك الحافز إلى خيانة قومك .

فقلت فى عجب :

ـ لماذا أنت مبالغة دومًا إنها لا تضر .. وليس فى مقدورها الإضرار حتى لو أرادت .. إننا فقط نستفيد من معلوماتها من الناحية التاريخية .

ـ لتذهب بتاريخها إلى الجحيم . نريد أن ننسى كل ما يتعلق بها .. ألم تشاهدى قومنا يحرقون ويدمرون كل ما له صلة بها ؟ ألا تفهمين ذلك ؟

من قولها هذا فكرت سريعًا . إن مخطوط والدتى ومخطوطى أصبحا فى خطر لو طالتهما يد أحد قومى لأحرقا .. يجب أن أحرص على إخفائهما . عندما رأتنى أختى ساهمة قالت :

ـ إغربى عن وجهى .. سوف أنقل لها الطعام ، والشراب بنفسى لن تريها أبدًا .

ـ لينى .

ـ قلت لك اغربى عن وجهى .. اخرجى مع الفتيات اللواتي فى مثل عمرك .. إنهن يساعدن فى تنظيم القرية .. اذهبى عنى الآن .

وخرجت .

وفى المساء حاولت مرة أخرى ، أخذ المفتاح من أختى كى أرى الفتاة ، ولكنها رفضت بشدة . لم أرغب أن أدخل فى مشادة معها . خشيت أن يسمع بقية إخوتى ، فيتعزز موقفها بهم .

وهكذا استمر الحال لأكثر من ثلاثة أيام أخرى .. وأختى تصر على عدم إعطائى مفتاح المخزن .. أو تجعلنى أقترب منه .

ـ أنا من سيذهب إليها بالطعام والشراب .. لن تريها مطلقًا .

أخذت تردد العبارة كلما حاولت استعطافها لنيل المفتاح .



صعدت الطائرة مع زوجى وبقية أهلى للإقلاع ، إلى المدينة الجديدة ، بعد أن تم تهيئتها .

هى المرة الثانية ، التى أحلق بها ، بعد عملية نقلنا من تلك البقعة النائية إلى هنا .

بحثت بعينى بين ركاب الطائرة ، فلم أجد للفتاة الحبيسة أثرًا ، تسللت ناحية أختى وهمست فى أذنها .

ـ أين الفتاة .

فردت بإيجاز عابس .

ـ تركناها هناك . ستكون فى رعاية أسرة أخرى .

فكرت .. أية أسرة ، إن الكل ذاهب إلى المدينة المستصلحة .

جهرت .

ـ أية أسرة .. كلنا ذاهبون إلى المدينة الجديدة .

ـ وهل كلنا فى هذه الطائرة ؟ إنها ستنتقل مع الأسر الأخرى .

لم أصدقها تمامًا . خشيت أن تكون تركتها فى المخزن لتموت جوعًا . عدت إلى قرب زوجى ، فى مقدمة الطائرة ، ساهمة أفكر .. إننى لم أخبره بأمر (المرأة المتعددة) .. ولن أخبره .

ترى لو عرف بأن زوجته السابقة أسيرة لدينا ، ماذا كان سيفعل .. هل يحن إليها .. شعرت بانقباض .. قلت لنفسى .

لأخبره .. وسأرى ردة الفعل عليه .

فقلت على حين غرة :

ـ على ..

التفت بسرعة .. فأردفت .

ـ لدىّ سر .. لست أدرى كيف أبوح به إليك .

فقال باسمًا :

ـ كما تبوح به الزوجة لزوجها عادة .

شجعنى قوله .

ـ لو فرض .. ووجدت نسخة من زوجتك السابقة .. ترى ماذا أنت فاعل ، بعد أن أصبحت لا حول لها ولا قوة .

فقال غامزًا بعينيه القريبة منى .

ـ هذا ليس بسر .. إننى أعلم أنك وجدت إحدى نسخها .. أما بالنسبة لى فالأمر لا يشكل أهمية البتة . لقد طلقتها بمحضر قومك .. ثم لماذا تفترضين الأمر افتراضًا ، وهو حقيقة واقعة .. إننى مقدر لك شدة عطفك النابع من كثافة إنسانيتك ، مما دعاك لحمايتها .

فحملقت فيه مبهورة .

ـ وكيف عرفت ذلك .. هل أخبرتك أختى ، .. هل عرف الجميع ؟

ـ الجميع يعرفون ذلك .. وفى نفس اليوم الذى اكتشفته أختك ليلى .. كانت مساءَهُ تُجَرّ فيه إلى الغابة .. وقد حطم أحد أخويك جمجمتها بفأسه الغليظة .. بعد أن قادها إلى أحد الأحراش .. حتمًا كل أهلك عارفون بأمرها .. وإلا كيف تم الحكم عليها بالإعدام ؟

فصرخت .

ـ أنا فقط التى لا تعرف ؟

ترك مقود الطائرة .. والتفت لتهدئتى .. لم يعرف أنى سأهتاج على هذه الصورة .. فنهضت مغادرة مقصورة القيادة .. حاول الإمساك بى . ولكنى أفلت من يده .. وركضت هاجمة على أختى ، وأنا أصرخ .

ـ أيتها القاتلة .. أيتها القاتلة .. لقد خنتينى .. لقد خنتينى ، وأخذت أضربها بهستريا .

حال القوم بيننا .. حتى وصلنا .

تركنى أهلى للزمن يواسينى .. ولم يكلمنى أحد بشأنها .. ولكن أختى لم تتركنى .

جاءت بعد يومين متسللة إلى مرقدى . قبل أوبة زوجى وقبل أن أنتقل إلى منزلى المستقل معه .

قالت وهى تربت على كتفى :

ـ ألا زلت غاضبة منى ؟.

كنت لا أكلمها منذ ذلك اليوم .. استطردت .

ـ برغم ثقافتك الواسعة .. إلا أنك لا ترين إلى أبعد من أنفك ..

لا زلت قليلة الخبرة فى مثل هذه الأمور .. ألا تدرين أن فى قتل هذه الفتاة حماية لحبك وعلاقتك بزوجك ، قبل أى اعتبار آخر ؟ فانبريت . قائلة :

ـ وهل يهمك حبى وعلاقتى بزوجى ؟. حتى ترتكبين جريمة من أجل الحفاظ عليهما ؟.

ـ أنت تعرفين رأيى .. ولن أخدعك بقولى إن علاقتك بزوجك تهمنى .. ولكن أحيانًا تتفق مصالح الأطراف ، حتى لو كانوا أعداء .. فمقتل (المرأة المتعددة) يحميك أيضًا .. فمن يضمن لنا أن هذه الفتاة لا تتفق مع زوجك على إعادة العلاقة بينهما .. وقد عادت بها الحاجة إليه ؟ ثم إنه أيضًا يعلم تمام العلم برفضنا لأعمال التوأمة . عندئذ هو أميل إليها فى هذه الحالة .. لا يغرنك إفراطه فى محبتك .. إنك الوحيدة التى أعطيته هذا الحب فى حين أن الكل يناصبه العداء خفية .. ومع ذلك محبتك له ناقصة أيضًا .. بل مشروطة بعدم توأمة نفسه .. هل جربت إخلاصه لو عرضت له واحدة غيرك تضمن له استمرارية البقاء ؟ أجيبى هل . هذا الاحتمال وارد أم لا ؟

ـ لماذا لم تدعينى أجرب ؟ لماذا تسرعتما بقتلها ؟

ـ ولكنها مجازفة غير مأمونة العواقب .. لذلك أسرعنا بقتلها .

ألقت بصخرتها فى جب أعماقى ، لتجعله يضطرب .. وانصرفت عنى .

حقًا .. إن لأختى من حصافة الفكر ما يذهلنى أحيانًا .. لم أفطن إلى هذا المنحنى من التفكير ، من قبل أن تلفت نظرى إليه .

شعرت بعدها أن حزنى على الفتاة بدأ ينقشع . ليحل محله مشاعر أخرى تجاه زوجى . بدأ فأر الشك يقرض داخلى .

أول ما عاد زوجى ليرقد إلى جوارى على السرير ، قلت له معاتبة :

ـ لماذا لم تحاول إنقاذ الفتاة المسكينة ؟

فقال :

ـ أنسيت أنى (الرجل المتعدد) ، كما تدعوننى .. لو رفعت إصبعًا لإنقاذها ، لما تردد قومك بتمزيقى شر ممزق ؟ إنهم بدون ما يدعو إلى الريبة ، يشكون فى كل حركة وسكنة منى .. وَلولا كلمة الشرف التى صدرت منهم لتركى وشأنى .. ولولا حاجتهم لمساعدتى فى القضاء على (المرأة المتعددة) .. ولولا مخاوفهم .. وأنا أحمل من مواد التدمير ما أحمل .. لم أترك وشأنى .

فقلت باستنكار :

ـ خوفهم منك ؟

ـ ألم تفكرى بهذا .. إن أحد أسباب حلفهم معى الخوف من تدمير بقعتكم بنيران المتفجرات التى تحملها طائراتى .. لولا كل هذه الأشياء لقتلت شر قتلة ، حتى بدون ذنب أجنيه .. مثلما فعلوا (بالمرأة المتعددة) .. فهل ترين أن أعطيهم المبرر لقتلى ؟

حديثه أيضًا أوضح لى أفكارًا ، لم تكن تخطر لى على بال .. لكم أنا ساذجة ، إنما يحكمنى عواطفى ، وليس عقلى . إنى أكره طريقتى فى النظر إلى الأمور .

بعد عدة أشهر من استقرارنا فى المدينة الجديدة ، وقد أخذت الحياة تمضى طبيعية . وكل شىء مستتب ، والهمم عالية فى تعمير وإصلاح كل ما من شأنه مساعدتنا فى اللحاق بركب الحضارة ، التى حرمنا من مميزاتها ، لتسهيل الأمور علينا .

لقد وزعت الثروات بين أفراد القبيلة .. وبدأت عملية سك النقود ، بناء على تقدير وتثمين مجموعة هذه الثروات ، كذلك أصبح لى وزوجى منزل مستقل ، فى القرية الجديدة .. وكذلك الحال لأختى وزوجها وأطفالها ، بل لكل أسرة فى قبيلتنا . وقد تزوج إخوتى الصبيان فتاتين من القبيلة ، ليستقلا هما الآخران .

أما أبى فقد توفى بعد شهر واحد من نزوحنا إلى القرية الجديدة ، فلم يهنأ بها . وهذا حزّ فى نفسى أكثر من فراقه .

كانت أختى لا تزال باقية على شراسة طباعها معى . ونفورها من زوجى ونسخه .. وأنا أيضًا أتجنب إطالة الحديث معها فى المرات القلائل التى أصطدم بها فى طريقى .

فبالرغم من إعزازى الكبير لها إلا أنه ليس فى ميسورى فهم ما يدور فى ذهنها من أفكار ، فكل ما يظهر لى من تصرفاتها أبعد ما يكون عن استساغتى . فنفورى متحفز لك هفوة تبدر منها .

أما فيما يتصل بالجار (ماريو) ، فقد تزوج هو الآخر ، وزوجته تحمل جنينًا فى بطنها منذ شهرين . وبرغم السعادة التى يبديها إلا أن عينيه لا تغرب عنى فى الروحة والغدوة .

النسخ الست فقط ، هم الذين لم يتزوج أحد منهم .. كل فتيات القبلية ونساؤها ينفرن من التعامل معهم أو الاحتكاك بهم سواء بالحديث أو غيره . لذا لم يتبق أمامهم من ملجأ للترويح عن أنفسهم سوى منزلنا . وهكذا أضحى منزلى مرتعًا للأكل والشرب وتغيير الثياب ، ولكل ما تتوق له نفوسهم من حياة أسرية .

كان أربعة من النسخ مميزة لدى عن زوجى .

النسخة اليافعة . تميزها النضارة البالغة والنسخ الثلاثة المسنة معروفة لدىّ بمياسيم السنين .

أما فيما يتعلق بتوأم زوجى المساوين له فى العمر الخلوى . فقد كان من المتعذر علىّ ، إلى حد الاستحالة المطلقة أن أفرق بين أى منهم .

لهذا السبب ، احتاط عند توجيه كلمة خاصة ، أو دعابة ما إلى

زوجى ، قبل أن أمعن النظر إلى معصمه لألحظ السير الجلدى قبل الشروع معه فى الحديث .

كل شىء مقدر احتمالًا ، أن يسير الحال على ما هو عليه ، بعد استتبابه لنا ، لو لم ألحظ ذات يوم ، ونحن على مائدة الغداء بياضًا ناصعًا بمساحة أصبعين مضمومين ، يحيط بمعصم أحد النسختين المشابهتين لزوجى . ويميزه عن سائر جلد ذراعه الأسمر .

فالتفت إلى زوجى . وطلبت منه أن يفك السير الجلدى عن معصمه .. لم يفهم مرادى ، ولكنه أطاعنى فحلّه .. رأيت أيضًا الشريط الأبيض من المعصم .

طلبت أيضًا من النسخة الثالثة ، أن يرينى معصمه . فمد يده مشمرًا كمه ، لكى أرى نفس المساحة البيضاء ، تحيط بمعصمه .

شعرت بكل ما فى جسدى من دم يصعد إلى وجهى .. وأحسست ، بأن كل ما فى بدنى من شعيرات تقف كالشوك .. إذن كانوا يتناوبون السير الجلدى دون علمى .

يا له من رجل نذل لا يؤتمن .

فنهضت من المائدة .. وأنا أصرخ بانفعال .

ـ من كان منكم زوجى فليتبعنى إلى غرفتى .

وتبعنى ، من كان يرتدى السير الجلدى ، فى ذلك الآن . ضحكت ساخرة ، مستهزئة بمجرد دخوله الغرفة .

ـ إذن .. أنت زوجى الآن .. لكونك ترتدى السير الجلدى .. أما ما قبله من أيام ، فلم تكن كذلك .. أليست هذه الحقيقة ؟.. لم يكن السير الجلدى فى معصمك . لذا لست زوجًا لى حينها .

فهم أخيرًا ما أرمى إليه .. فضحك مخففًا الأمر علىّ .

ـ الأمر فى غاية البساطة .. إننا واحد .. لا أدرى لماذا لا تدركين ذلك ..

إننا واحد .. أنت نفسك لم يكن فى ميسورك التمييز بيننا .

لولا هذا السير الجلدى .

صرخت فيه .

ـ لماذا خدعتنى.؟

ـ لم أخدعك ، كما يبدو لك .. إنها مكابرة منك .. لا تريدين أن تعترفى بحقيقة أننا واحد .

ـ لنفترض أنك واحد .. لقد اتفقنا أن أختص بجزء من هذا الواحد ، خليق بك أن تحترم هذا الاتفاق كرجل متحضر .

فقال مجادلًا فى مكابرة .

ـ هذا صحيح .. أنا لم أخل بالاتفاق .. الأحرى بك أن تفهمى ، إنى فى كل مرة أكون ذلك الجزء .

ـ يبدو أننا لن نصل إلى تفاهم بشأن هذا .. طلقنى .. طلقنى .. ابحث لك عن زوجة خرقاء ترضى بهذا الوضع المزرى .

فوجئ بطلبى ذاك .. فقال مستغربًا :

ـ إلى هذا المدى يبدو لك الأمر بشعًا ؟.. إلى هذه الدرجة موروثك الأخلاقى متأصل فى أعماقك ؟.. إلى درجة أنه شل عقلك عن رؤية الحقائق ، كما يقتضيها المنطق العلمى ؟

ثم تابع بغضب .

ثم لنفرض أنى طلقتك .. مَنْ من بنات قومك التى ترضى بالزواج منى .. ألا ترين كيف يتجنبن الاحتكاك بى ؟ كيف الرضى بالزواج منى .. أنت الوحيدة من بين هذا الحشد التى كنت أعلق عليها الآمال الكبار لتفهمك وضعى ، ولامتيازك على شابات قومك بالعلم والثقافة .. ولكن ها أنت خذلتنى .. خذلتنى .. تبينت الآن أن التربية فوق العلم .. وما غرس فى عقلك لا تمحوه حجج العلوم ومنطقها .. هذا واضح .. ولكن ليس لدى خيار .

فقاطعته مزمجرة .

ـ خيار ماذا .. ليست مسؤليتى تجاهك .. ما لم يرض أحد بالزواج منك .. يكفى أنى لا أرغب باستمرار الحياة معك .. هذا قرارى الأخير .. مهما أبديت من مبررات علمية عن وضعك الخاص .

فقال بتوسل ، متراجعًا عن حدته :

ـ اهدئى يا حبيبتى .. اهدئى .. كى نعرف كيف نتحدث .. ليس لدى مانع من تحقيق كل رغائبك بشرط ألا تضرّ بى ـ لا أظن أن لديك ريبًا فى أنى لا أمانع فى زواج أى من نسخى من أخريات من بنات قومك .. إن ذلك يمدنى بمتعه أكبر كأى رجل طبيعى عندما يتزوج بأكثر من واحدة .. ولكن أنت تعرفين استحالة ذلك ، حتمًا .. إنهن ينفرن منى نفور السليم من المجذوم .. بل قومك ينفرون منك أيضًا .. حتى لو طلقتك سوف تعيشين منفردة ، منبوذة .. لن تجدى بينهم من يرضى بالزواج منك .. بعد أن ألصقوك بى .. واضح أنه لم يعد من يعترف بك كإنسانه طبيعية .. لا معدى لك من تبصر هذا الأمر .. إنه الواقع الذى فرض نفسه عليك .

وتذكرت قول أختى .. إنه مجبر على محبتك ، وليس مخير لها .. إذن لو كان بيده الزواج بأخري ، لفعل ، فحقدت عليه أكثر .

واستأنف بعد برهة وجيزة .

ـ فيم تفكرين ؟ أرجو أن تكوني فهمت وضعك ، ثمة حل واحد .. إذا وافقت عليه نصبح نحن الاثنان من أسعد مخلوقات الله ..

فقاطعته بحدة .

ـ لا أرى حلًا إلا طلاقي منك .. حقًا إن قومي ينفرون مني .. ولكن لن يهمني ذلك .. ثم إني لا أبحث عن زوج جديد .. المهم أن أتملص من هذا الوضع الشاذ .. لا أريد أن أكون زوجة لك بعد الآن ، حتى لو نبذني العالم أجمع .

استشاط قائلًا :

ـ يستحيل طلاقي منك .. إن طلاقي منك معناه حكم بالإعدام عليّ .. إنك تحميني تجاه قومك . حماية معنوية على الأقل . لا تدخليني مجبرًا في صراع بقاء ، أو فناء مع قومك . وأنت تعرفين النتيجة .

فقلت :

ـ إنك الأضعف .

ضحك ساخرًا .. وقال بتنمر :

ـ مهما أوتيت من عقل راجح .. إلا أن خبرتك القصيرة في الحياة تقتزم ذكاءك أمامي .. إذن اسمعي .. أصبح لا معدى لك من معرفة ما كنت أخفيه عنك .. لست الأضعف كما تتوهمين .. ولا يغرنك توسلي أمامك .. إن فكرك أقصر من أن يدرك ما يدور في ذهني في أية لحظة .. أنت لا تعرفين إلا ما أبديه لك تطوعًا .. إن

لدى مخزونًا من الأسلحة مالا يعرفه أو يعلمه قومك .. لست غبيًّا كى أضع نفسى تحت رحمتك .. إن لم ترضى بما سوف أعرض عليك فسوف أدمر كل شىء .. كل شىء .. لن تبقى لهذه الحياة باقية على الأرض .. إننى أحبك .. وأفضلك على أية امرأة تشاركنى حياتى . باستطاعتى أن أختطف أى امرأة ، وأهرب بها ، لأنفذ ما يدور فى ذهنى .. ولكنى أقترحه عليك فقط وأطلب منك أن تتفهمى .. أصغى إلى ..

أحسست بالرعب .. آه .. الذى يكلمنى الآن غير الذى أعرفه سابقًا .. لقد تغيرت أساليب الاستكانة ، وبدأ التهديد .

جهرت فى مهاودة ، دون أن أتنازل تمامًا ، كى لا يشعر بالرعب الذى أنا فيه .

ـ حسنًا .. اعرض ما عندك ، ولكن يجب أن تعلم أنه مهما قلت . لن أنزل عن طلبى للطلاق .

فانبرى بتحد :

ـ الطلاق ليس موضوع نقاش .. إنه أبعد ما يكون استحالة من المستحيل نفسه .. وعلى هذا يجب أن تصغى إلى حديثى إلى آخره .

ثم استأنف :

ـ لموروثك من التربية ، تريدين أن تختصى بنسخة واحدة . كزوج لك .

فقاطعته .

ـ نعم .. نعم .. وهذا مستحيل كما رأيت .

ـ لا تقاطعينى أرجوك .. وفتيات قومك يرفضن الزواج من أى جزء منى وأنا لا أرغب أن أدخل فى صراع مع قومك من أجل ذلك .. إذن ليس أمامى سوى حل واحد .. هو أن أتوئمك . كى تتزوج نسخى الباقية من نسخك .. وأنا أرى أن هذا حل عادل يرضينى ويرضيك .

فقلت غاضبة .

ـ لنعاود الكرة مرة أخرى ..لينكب الإنسان الطبيعى .. يهرب مشردًا فى الجبال .. ثم أفقد ..

فقاطعنى .

ـ لم تتضح لك الرؤية بعد .. إنك لا تصغين بالقدر الذى يجعلك تتفهمين وجهة نظرى .. سأعمل معك اتفاقًا .. أتعهد بموجبه بعدم توأمة نفسى إلى ما لا نهاية .. السبعة الموجودة ، هى التى تعوض باستمرار عن فقدها .. وأنت لن تزيد توأمتك على سبع من النسخ .. أيطمئنك هذا العهد ؟

آه .. إنه يريد أن يأخذنى بالتدريج .. إنه كما قال يستهين بذكائى .. أى اتفاق هذا الذى سيعقد بين هر وفأر .

لم أفصح عما فى داخلى بيد أنى قلت متسائلة :

ـ كيف تتم عملية التوأمة .. وقد قوضنا معامل التكرار وأحرقنا كل علومها ؟

ضحك ساخرًا .

ـ أما علومها فمخزونة فى دماغى . إنها إحدى معلوماتى فى الحياة .. أما عن معامل التوأمة . فلدى معمل بعيد عن الأنظار .. كنت أدخره إلى هذه الساعة .

فقلت بتجرد من أى انفعال :

ـ أنت لا تريد توأمة نفسك أكثر من السبعة الموجودة .

ـ قطعًا لا أريد .

كنت أعلم أنه كاذب .. إنه يحاول تطويقى تدريجيًا .. واثقًا من أن له الغلبة فى النهاية .. ألم يتحد ذكائى .. سنرى إذن ..

جهرت :

ـ أشك أن قومى سيوافقون على توأمتى .

ـ أعلم أنهم لن يرضخوا للأمر حتى لو فرض عليهم فرضًا .. المسألة أن بينى وبينهم صراعًا على البقاء .. ولكن لن أدعهم ينتصرون فى النهاية .. سنخفى الأمر عنهم .. سوف أستصلح قرية صغيرة بعيدة عن هنا ، لإيواء التوأم الجدد .

هكذا إذن . فكرت ثم جهرت .

ـ وإذا أبصروا بى حاملة طفلًا . وهم يعلمون أنك عقيم ؟

ـ هذا أيضًا له حل .. لندّع أنك سترحلين معى للفرجة .. وبما أنه ليس ثمة من يقود الطائرة غيرى .. فسوف أملك زمام الأمر .

فقلت مندهشة :

ـ ألهذا السبب رفضت أن تدرب أيًا من شباب قومى على قيادة الطائرات ؟.. ثم هل أسافر إلى سنين طويلة ؟.. إن هذا خليق بالريبة .

ـ حسنًا هناك حل بديل .

ـ هات ما عندك .

ـ الموت .. أنت تعرفين أن ليس ثمة من بين قومك من يمارس مهنة الطب .. أنا الطبيب الأوحد فيهم .

فقلت .. نعم أنت كل شيء .. الطبيب والمهندس .. والخادم أيضًا .

ضحك مستبشرًا . وقد ظن حديثي دعابة له . فقال :

ـ أرأيت ؟ هل الخلود يغضبك ؟ سوف تبقين خالدة .

ـ لم توضح بعد .. من الذي سيموت .. أتقتلني حقًا ؟

فقال بشغف :

ـ إن حياتي متوقفة على حياتك .. إن محبتي لك مساوية لمحبتي لنفسي .. هل أقتل روحي .. وأنا أنشد الخلود .

وضمني إليه بشدة .

لقد كشف نفسه تمامًا .. قال مستأنفًا :

ـ هناك طريقتان .. إما إعطاؤك جرعة مخدرة .. وأقرر بصفتي طبيبك أنك مت .. وأعالجك لأنقلك إلى القرية الأخرى . أو ترحلين معي . وأعود بمفردي معلنًا موتك أثناء السفر .

فقلت لنفسي .. بل تعود لتلقي عليهم حممك .

جهرت :

ـ وأفارق أهلي ، وقومي إلى الأبد ؟ إنني لا أحتمل فراقهم .

جلس يفكر .. ثم قال بتهديد :

ـ إذن عليك أن ترضى بنا نحن السبعة .

ثارت أعصابي . ولكن تماسكت . فلم أصرخ بل قلت بهدوء ،

ـ لنفرض أننى قبلت توأمتك لى .. ألا يأخذ هذا وقتًا طويلًا كى تكبر العروس ؟

ـ لا يهم .. لتكبر على مهلها .

فقدت أعصابى تمامًا . فصرخت به .

ـ كيف لا يهم .. وأنت تريد زوجات لنسخك الستة .. إن نسختك اليافعة سوف تصبح عجوزًا .. أما نسخك الباقية ، ربما لن يكونوا على قيد الحياة .. إنك تغالط في عرض أفكارك .. ليس الهدف تزويج نسخك الستة .. إنك تريد ترويضى على فكرة التوأمة . كى يتم لك توأمة نفسك .. لقد نقضت اتفاقك مع قومى .. إنك خائن .. خائن ..

وظللت أصرخ .. وأضربه بهياج شديد .. عندئذ دخلت النسخ الستة الباقية الغرفة ، وكل واحد منهم يتكلم بنفس الألفاظ .. وبصوت واحد حتى لم أعد أميز ما يقال لشدة غرابة الأمر على سمعى .. لم أسمعهم قط يتبادلون الحديث أمامى كان يسود بينهم الصمت . وإذا تكلموا معى تكلموا بالتناوب . لقد ظهروا فى تلك اللحظة على طبيعتهم التى وصفتها والدتى فى مخطوطها .. فازداد فزعى واستمررت فى الصراخ . حتى سقطت مغشيًا علىّ .

لست أدرى كم مضى علىّ من الوقت .. ولكن عندما أفقت لم أر سوى النسخة التى تلبس السير الجلدى .

أحضر كوبًا من عصير البرتقال .. وأسند كتفى كى أجلس . ثم أخذ يمسد لى شعرى . ويربت على خدى فى حنو بالغ قبل أن يقول :

ـ لشد ما أنا آسف لإزعاجك .. فقط فكرى فى الأمر جيدًا .. ثم أبلغينى ردك .. أنا واثق فى النهاية أنك سوف تشاركيننى الرأى ..

لا أحد يرفض الخلود .. فقط موروثك الطبيعي والبيئى ، هو ما يجعلك تعارضين الفكرة .. ولكن لو رجعت إلى أعماقك سوف ترين أن الوضع أفضل لك لو قبلت ..

لا أحد يفلت هذه الفرصة المتاحة ، مهما كان انتماؤه لطبيعته .. وفى النهاية ثقى أننى لن أقسرك على شىء لا يرضيك .. فقط فكرى فى إمكانيات خلودك .

على عكس ما أبداه لي من مهاودة . كنت موقنة بأنه سوف يقسرنى بشدة فى نهاية الأمر على ما يريد .. اعتماده الآن على فكرة إغرائى بالخلود .. ولكن عندما يفشل هذا الإغراء .. سيستعمل طرائقه الأخرى .. إنى واثقة .. واثقة .

حقًا إن عملية الخلود ، هائلة حافلة بالإغراء .. وفى يقينى ليس ثمة بشر لا يقع صريعًا لها .. ولكن هناك ثمة مبدأ .. كيف يتقدم الجندى إلى ميدان القتال معرضًا وجوده إلى الخطر الداهم .. غير مبال فى النهاية ، بسوى الدفاع عن هدف يؤمن به .. أو مطيعًا أمرًا يقدسه .. هكذا أنا .. لن أخذل أمى .. لن أخذل إخوتى .. ولن أخذل قومى .. لأمتْ فى سبيل البشرية الطبيعية .

ولكن يحسن بى أن أبدى الرضوخ له . درءًا لشره .. ليكن هذا الرضوخ تدريجيًا . كى لا يستريب .

فقلت له :

ليس ثمة أمرؤ يرفض الخلود .. وإلا كان معتوهًا .. ولكن ما يؤرقنى ، ما سيئول إليه أمرى .. أى أننى فى نهاية الأمر سأكون مثل زوجتك السابقة ، أفقد الرغبة فى ملاذ الحياة .. وأفقد طموحاتى ، واختصر رغباتى فى توأمة نفسى فقط ، لا أستمر فى عيش رتيب ، أشبه بالحيوان الدونى ، الذى ليس له من مطلب

سوى استمرارية البقاء لقد قال أحد الفلاسفة : « وجد الإنسان عندما انفصل عن الطبيعة ، عندما كان له وعى ، ونظرة جمالية مستقلة عن احتياجاته الطبيعية » .

وأنا فى تلك الحالة ستجعلنى أعاود الالتصاق بالطبيعة وأفقد إنسانيتى . ضحك فرحًا .. وقد ظن أنه أحرز النصر .. وأن ما قلته بداية الموافقة ، فقال مطمئنًا .. وهو يضمنى .

ـ أنت يا فيلسوفتى الصغيرة تسابقين الزمن بتخيلك الأمر هكذا .. ألا تعلمين أن (المرأة المتعددة) كما تسمينها .. وأنت على وشك أن تكونى مثلها ، لم تصبح على ما هى عليه إلا بعد مرور قرون عدة على توأمتها ؟. إننى لن أكرر أخطاء الماضى .. لقد فكرت فى الأمر ، ودرسته من كافة جوانبه .. لن أدع لك الفرصة لعمل التوأمة لنفسك بنفسك ، كى لا تستغنى عنى بعقلك .. ستكونين فى محل احتياج مستمر للرجل .. أرأيت ألا خوف عليك .. من فقد إنسانيتك ؟

ـ حسنًا .. دعنى أفكر .

ـ فكرى .. ما وسعك الفكر .. لا أحد يرفض الخلود .. إننى أثق بالنتيجة النهائية إذ لا يعقل أن ترفضى ما هو متاح أمامك . خوفًا من نتيجة تأتى بعد قرنين أو أكثر من الزمن .. استمتعى الآن بحياة طويلة .. قرنين أو ثلاثة قرون . وليحدث ما يحدث من تطور .. ومع ذلك أنا كفيل بصده عنك .

ـ ولكنك لن تستطيع صده عن نفسك .

ـ فى الوقت الحالى وكما هو منظور .. لابد من ذلك التطور ولكن العلم لا يقف عند حد سيستجد الكثير منه وعندما نعرف السبب نزيل المسبب .

لا أنكر أنى دخلت فى صراع رهيب مع نفسى ، ولولا رسوخ ما تعلمت من والدتى .. ولولا وثوقى من أنه لن يبقى على قومى .. ولولا شدة محبتى لذوىّ ..لو كنت أثق فقط بأنه لن يمس قومى إلا بعد مضى قرن من الزمن . كى يبتعد إحساسى بالانتماء إليهم بعد أن يموت من أعرفهم . ويستجد غيرهم من الناس ، لانصعت لطلبه .. ولكنى أعلم أنه لن يؤجل تدميرهم .. هو نفسه لا يثق بهم .. إذن هو صراع البقاء .

بت ليلتى تنتهبنى الهواجس ، وتتقاذفنى الطموحات .. إننى أريد الحياة الخالدة . سأكون شابة باستمرار .. سوف أعيش إلى أبد الآبدين .. إننى أحبه إنه نصف نفسى .. وقومى نصفها الآخر .

أخذت تتجاذبنى هذه الانفعالات حتى خلت نفسى أنها ستنشطر .

فلم أستطع أن أخلد إلى النوم .. لاحظ هو أرقى .. ولكنه لم يكلمنى لقد ترك لى القرار .. وكأنه واثق من النتيجة .

قرابة الفجر .. وقد أرهقنى الأرق .. ولكنى قد وصلت إلى قرار نهائى ، لا رجعة فيه ، بعدها سقطت فى نوم عميق لم أفق منه إلا عند ظهر اليوم التالى .

فتحت عينى ، لا أحد كان فى المنزل ، سوى ذى السير الجلدى .. لقد كففت عن دعوته بزوجى ، لأنى لست واثقة فيما إذا كان هو دائمًا ، أو أنه أعطى السير إلى أحد توائمه وفى نفس الوقت لم أعد إلى مناقشة الموضوع .

كان أعدّ الفطور لنا نحن الاثنين . وجلس أمام الطاولة يقرأ مخطوطًا لمشروع صحيفة أسبوعية . كان قومى يعدون العدة لإصدارها .. يحاولون عن طريقها استعادة نمط الحياة السابقة ويعلنون فى هذه الصحيفة البدائية عن افتتاح أول مدرسة بعد العودة

إلى الحضارة الآفلة ، لتعليم القراءة والكتابة لكل الشباب والأطفال ويستدعون إليها ، كل من له إلمام بالقراءة والكتابة للالتحاق بهذه المدرسة كمعلم بها .

نهض لملاقاتي عند نهوضي من السرير . وقال :

ـ أرهقت نفسك ليلة البارحة .. لم تنامي إلا عند الفجر .

فقلت .. نعم .. نعم .. إلا بعد أن استقر قراري .

فقال متوجسًا .. قرارك ؟

ـ نعم لقد قررت .. قررت .. أن أتوئم نفسي .

صرخ من شدة الفرح .. وألقى بنفسه عليّ يضمني ، ويشبعني تقبيلًا وهو يرد .

ـ كنت أثق .. كنت أثق من حصافة عقلك .

فقلت وأنا أدفعه عني .. متى تريد أن نبدأ ؟

ـ في أسرع وقت .. بعد أسبوع من الآن على أطول تقدير .. أشيعي بين بني قومك رغبتك في السفر .. قولي إنك تهوين ركوب الطائرة .. والفرجة على بعض المدن الخربة .

ـ وفكرة الموت .

ـ كلا .. لا أريد أن أعرض صحتك للخطر .. سأعود إليهم بمفردي لأعلن لهم خبر موتك ، أثناء السفر .. هذا أفضل .. سوف أرحل اليوم ، لألقى نظرة على المدينة ، والمعمل ، وسوف أعود في المساء .. وغدًا صباحًا سوف نرحل جميعًا . نحن السبعة .. وأنت معنا .. ثم أعود وحدي لأعلن لهم خبر موتك .

أثناء تناول الفطور .. قلت متسائلة في ود :

ـ لكم أنت رقيق يا (على) .. وكريم النفس أيضًا .. كان فى مقدورك إخضاعى بالقوة الجبرية إلى ما تريد .. ولكنك تركت لى الخيار . لماذا ؟

فقال بتواضع ردًا على رقتى :

ـ ليس كرمًا بعد تجربتى الطويلة بالحياة .. عرفت أن أكمل الأعمال ما يتم بدون عصبية .. وبدراسة متأنية .. منذ ما يقارب من السنتين ونحن متزوجان .. وفى كل لحظة من هذه اللحظات كان فى مقدورى أخذك عنوة .. وإخضاعك إلى ما أريد ، حتى من قبل أن يعرف قومك بوجودى .. أنسيت ؟ ألم نكن نلتقى خلسة .. ولكنى لم أفعل .. لأن عمل التوأمة إذا تم برضاك يكون نتاجه أفضل .. وقد مررنا بتجارب عديدة عندما كنا نجبر المرأة الطبيعية على إنتاج البويضات لنا .. كانت التوائم المنتجة سريعة التلف تشيخ خلاياها بسرعة غير عادية . وكذلك الشابات اللاتي كنا نقسرهن كن يصبن بعقم نوعى ، دون مرض عضوى ، فلم أشأ أن أعرضك إلى القسر وصبرت كل هذه المدة لعلمى أنك ستقتنعين عاجلًا أو آجلًا لحصافة عقلك .. وفكرت حتى لو لم تكونى حصيفة . إن إقناعك سيكون سهلًا عندما تقتربين من سن الأربعين ، ويبدأ الخوف الطبيعى من الشيخوخة .. وألوح لك بتجديد الشباب .. عند ذلك يكون الإغراء أكبر حتى من فكرة الموت . نعم كان سيمتد صبرى إلى ذلك الوقت .. لولا الظروف التى عجلت بالموضوع .. وهى كشفك المساحة البيضاء فى ذراع كل منا .

وضحك .. وضحكت معه .

وعندما تهيأ للانصراف قلت له :

ـ سوف أعد لك عشاءً شهيًا .

ـ وغدًا لتوأمى .. هذا رجاء .

ـ وغدًا لتوأمك .

ثم قبلنى وأسرع خارجًا .

القيت نظرة عجلى على ما جاء فى مخطوط الصحيفة .. ثم أعددت الغداء على عجل .. وقبل أن أخرج تركت خطابًا تحت عقب الباب يشرح للتوائم الستة فترة غيابى .. ويرشدهم إلى تناول الغداء ... وانصرفت لا ألوى على شىء .

بمجرد دخولى منزل أختى .. نظرت إلىّ بجفاء وغلظة كعادتها معى ، وزادت على ذلك بأن ألقت على الأرض الإناء الذى تمسك به بيدها ، (فطرقع) على أرضية المطبخ ، وبما أنه من المعدن فإنه لم ينكسر .. وقالت :

ـ حسنًا .. ماذا تريدين .. الآن فقط تذكرت أن لك أختًا .

فقلت بسرعة :

ـ لقد أتيت لك على عجل .. قبل أن أغير رأيى .. برغم ما فى حضورى إليك من مجازفة .

فقاطعتنى :

ـ تغيرى رأيك ؟.. من استدعاك .. غيرى رأيك على مهل .. هل قررت أن تصبحى مدرسة ؟.. لن أدرس على يديك .. لقد نسيناك .. لم نحسب لك حسابًا .. اعتبرناك ميتة .. اغربى عن وجهى .

ـ اسمعى يا ليلى .. أرجوك افهمينى .. أخشى أن أقع صريعة الإغراء .. لقد رأيت أن أتخلص منه بالإسراع إليك .. سوف أطلعك على جلية أمر غاية فى الخطورة علينا كبشر طبيعيين .. إن زوجى خان ثقة قومى به .. إنه ينوى توأمتى برضاى أو .. كرهًا منى .. وحتمًا ينوى تدمير الإنسان الطبيعى عرفت أن له

مخزونًا كبيرًا من الأسلحة بعيدًا عن هنا . كما أن له معملًا سريًا للتكرار .. لم يدل قومي عليه ، كان يدخره لحين الحاجة .. لقد اتفق معي على السفر كي يتوئمني . وبالتالي يتوئم نفسه .. أي سوف تعاد الكرة مرة أخرى ، لكل ما مضى بالنسبة لنا نحن البشر الطبيعيين .. هذا إذا لم نفن بآلاته التدميرية .. التي يختزنها .

أرجوك ، أخبري إخوتي .. وكل بني قومنا .. أنه ليس في مقدوري إبلاغهم بذلك ، وإلّا لفت نظره .. إنه سيرحل غدًا مع توائمه ويصطحبني معه .. ربما يتعجل خوفًا من تغيير رأيي .. فيتم رحيلنا هذه الليلة .. يجب تدبير كمين له مع نسخه الستة داخل منزلنا .. وإلا لن نستطيع القضاء عليهم .. إنهم يمتلكون زمام الطائرات .

اسمعي .. ليكن الكمين كالآتي ..

سيعود في المساء إلى المنزل وكذلك ستأتي نسخهه الست ظهرًا لتناول الغذاء كعادتهم ، وسوف أعمل جهدي على إطالة مكثهم إلى المساء إلى حين عودته ، حينئذ ستكون كل الأجزاء في المنزل .. وهم قلة مجردون من السلاح .. بعيدون عن موقع الطائرات .. ربما تكون معهم بعض الغدارات .. ولكن لا يهم كثيرًا سيكون المخزون من الرصاص قليلًا وسينفذ سريعًا .. عندئذ يبادر رجالنا بالهجوم عليهم ليقتلوهم كلهم دفعة واحدة ، لا تدعي أحدًا يفلت .. لو أفلت أي منهم لن تبقى منًّا باقية .. أختي أسرعي .. دعي ما بيدك .. وأسرعي بلّغي الرجال ، ولكن في سرية تامة .. لا تنسي ، ليس قبل المساء بعد أن يعود زوجي . سأعود إلى المنزل الآن .. لعلي أكون موجودة قبل حضور أي منهم .. انتبهي .. انتبهي .

وقبل أن أستدير ناحية الباب لأغادر ، كانت أختي تهجم على

تحتضنني ، وهي ترتجف من الانفعال والخوف ، قبلتني وهي تقول :

ـ لم يخب ظن والدتي فيك .. لم يخب ظنها .. أسرعي يا حبيبتي ولاتفكري في شيء .. كوني مطمئنة .

عدت إلى المنزل ، تنتهبني طيلة الطريق الهواجس ، ونفسي مفعمة بانفعالات عدة متضاربة ، متباينة .. الخوف من فشل الخطة وانكشاف أمر الهجوم .. الألم الممض لمعارضة نفسي رغبتها في الخلود .

هل أنا غبية .. إني دومًا متسرعة في اتخاذ قراراتي لأقيم الأمور في ميزانها الصحيح .. ماذا دفعني إلى إخبار أختي أعظم عدوة لدودة لزوجي ؟

هل بادرت بالعمل الجيد ؟.

هل ما فعلت هو الأكثر صحة ؟

لا أدري ..

حتى بعد أن دخلت إلى المنزل وانتزعت الوريقة من تحت عقب الباب فرحة بأن أحدًا منهم لم يأت ليلتقطها ، وبالتالي لن يلحظ خروجي من المنزل .

عدت إلى توتري .

ماذا دهاني ؟

أخذت في تدبر أمور البيت .. لم يعد في ميسوري التركيز على شيء .. ليت في مقدوري النوم لكي أنسى .. إنني لم آخذ كفايتي

منه ليلة البارحة ، وهكذا ظللت فى صراع مع نفسى ، حتى سمعت صرير المفتاح فى ثقب القفل فى الساعة الثالثة ظهرًا .

دخل علىّ خمسة من النسخ . ثم جاء السادس بعد دقائق .

كلهم ينهشهم الجوع ، وشهيتهم مفتوحة إلى طعام الغداء .



منذ الساعة الرابعة . بدأت وفود قومى تتقاطر على الشارع الذى نسكنه والشوارع المحيطة به حتى سدوا كل منافذه .

إن زوجى لم يعد بعد ، ولو أقبل وشاهد هذا الاجتماع الحاشد ، لا شك سوف يستريب للأمر .. إنه تصرف أحمق ، يدل على غباء شديد من أختى ، حتمًا لم تشرح لهم الأمر كما أريد .

لماذا لم يبعثوا بعين ترقب الطريق ، حتى يروه داخلًا . لن ينقذنا إلا غفلة زوجى عند دخوله الحى ، قبل أن يعرف بالتجمع ، عندئذ لن يدعوه يفلت .. ولكن هناك احتمالًا آخر للخطر لو أن أحد هذه النسخ بدا له أن يذهب خارج المنزل الآن ، ومن ثم يشاهد هذا الحشد .. حتمًا سينقل إحساسه إلى ذى السير الجلدى .

ليتهم يتفرقون إلى حين حضوره .

حتى أختى بصوتها الراعد تنبئ بوجودها . نظرت خلسة من النافذة ، ليست هى فقط ، كل نساء المدينة وأطفالها يتجمهرون مكونين صفًا ثانيًا خلف الرجال .

لا يستدعى الأمر كل هذا الجهد . قلة منهم تكفى .. ولكنه الخوف والحقد القديم ، فجرا لكل هذه الفورة من المشاعر .

كلهم ينتظرون مجىء زوجى كى يبدأ الهجوم .

غرب عن بالهم أخذ جانب الحيطة والحذر عن خاصة نقل الأفكار والأحاسيس بين النسخ بعضهم البعض ، وحتى لو فطن أحد منهم إلى ذلك فمن الصعب عليه تنبيه القوم وسط هذه الضوضاء ، والفوضى ، إنه تصرف ارتجالى غوغائى غير منسق ، وغير حكيم .. لعل ذلك ناتج من ضيق الوقت .

قلت لنفسى .. لقد فشلت الخطة .. ليرحمنا الله .

أظن أن ارتجاف أوصالى ، واصفرار وجهى ، وربكة حركاتى أثارت الريبة هى أيضًا ، مع ما يترامى إلينا من ، أصوات إذ نهض أحد النسخ ونظر من النافذة ، ثم عاد ليسألنى .

ـ لماذا قومك يصطفون حشودًا فى الشارع يسدون كافة منافذه .. أأخبرتهم شيئًا عن الاتفاق ؟

فقلت بتلعثم واضح الكذب :

ـ كلا .. كلا .. أقسم على ذلك .. لم أغادر المنزل إطلاقًا .

ـ إنك لكاذبة .. اعلمى أن ذا السير الجلدى كما تدعين قد أحيط علمًا الآن . وهو موجود على مقربة من المدينة .. لتعلمى أن كل طائرة من طائراتنا محملة بالأسلحة ، وعلى أهبة الاستعداد كما هى عادتنا ، وسوف يلقى عليكم حممه إن لم تخرجينا من هذا المنزل سالمين الآن .. أو أنك ستموتين مع بنى قومك .. يا لك من امرأة شريرة غبية .

لقد شعرت لحظتها بشدة غبائى فعلًا ، لم أرض بما عرضه علىّ ، فقلت دون أدنى خطة فى ذهنى .

فى ميسورى تدبر الأمر ، فى ميسوزى تدبيره .. سوف أنادى أخى سأستدعى (إيدى) .

ركضت إلى الباب أفتحه .

وقبل أن أنبس لأحد منهم ، بل بمجرد أن رأوا ظهورى زائغة النظرات ، حتى فهموا أن أمرهم قد كشف ، فهجموا على المنزل دفعة واحدة ، ومزقوا النسخ الستة شر ممزق ، برغم الطلقات النارية الطائشة التى سمعت تدوى فى الجو .

ركضت أختي ناحيتي ، ولكن لم أتوقف لها .. واصلت الجرى .. خرجت من الشارع ومن الحارة .. ومن المدينة .. إلى جهة الخرائب والطريق الصحراوى . وهى تركض خلفى فى محاولة لتهدئتى حتى أمسكت بى أخيرًا .

قلت لها لاهثة :

ـ لنهرب .. لنهرب من هنا .. سوف يحضر ذو السير الجلدى ليدمرنا بحممه لم تكن لدى الفرصة وسط الضوضاء والفوضى الضارية ، ووسط ما أعانيه من رعب مميت من أن أوجه اللوم إلى أختى على سوء تدبرها ، أو من أن أنبه أحدًا إلى الخطر الداهم الموشك على الظهور ممثلًا فى طائرة زوجى المحملة بالحمم .

خرجت من المدينة راكضة ، وأختى تركض خلفى ، وأقدامنا لا تكاد تحملنا .

كانت عربة تطاردنا وتثير الغبار خلفنا ، خرجت لنا من أحد منعطفات الطريق الصحراوى .

فزدت سرعتى ، وحثثت أختى على زيادة سرعتها ، حتى قالت وأنفاسها متقطعة :

ـ لا تخافى .. أظنه (ماريو) .. إنه الوحيد الذى يعرف قيادة العربة من قومنا ، لنقف ليحملنا .

تبين لنا أنه الوحيد من كل الجمع من بنى قومنا ، الذى لا يعرف عن الخبر شيئًا ، كان فرحًا بتعلمه قيادة العربة .. وكان هو الذى استطاع من شبابنا تعلم ذلك من مدة وجيزة قياسية لذا فقد كان طيلة الوقت يقود السيارة الكبيرة بين القرى والخرائب ، ذارعًا الطرق المهجورة ذهابًا وإيابًا ، حاملًا معه فى بعض الأحيان شيئًا مما

يعجبه فى تلك الخرائب . ما إن سمع الخبر .. ودون أن يفهم فهمًا واضحًا صرخ بنا .

ـ إلى منزلى .. إنه بعيد عن ذلك الحى .

فقلت :

ـ كلا ستدك المدينة بكاملها بالقنابل .

صرخت أختى .. وكأنها انتبهت فجأة .

ـ أبنائى زوجى .. أريد أن أعود لتحذيرهم .

كان صوت هدير الطائرة التى تقل ذا السير الجلدى يسمع من بعيد .

فأمسك بها جارنا .

ـ كلا .. كلا .. لن أدعك تذهبين .. كل إنسان لمصيره .. فات وقت المحاولة ، فاتت الفرصة لإنقاذهم .

ولكنها أخذت تقاوم .. مما اضطره إلى توثيق يديها وقدميها ، بعد أن أمرنى بتمزيق ذيل ثوبى .

ثم ألقى بها داخل السيارة ، وهى تصرخ ، وتلعنه وتلعننى .. حتى تعبت فانخرطت فى البكاء .

وهو يدير المقود مبتعدًا ، تساءل :

ـ ما تفاصيل الخبر ؟ .

وعندما عرف قال :

ـ ليتنى أستطع الغفران لك .. رفضتنى من أجله .

فقلت منفعلة :

ـ كان همنا الوصول إلى الحضارة التى خلفناها .

فقال حكمة لم أتوقعها منه :

ـ البقاء يوصل إلى الحضارة .. أما الفناء فإنه لا يخلق إلا العدم ، لقد أخطأت خطأ فادحًا يا جارتى .. منذ البداية :

فقلت مدافعة عن نفسى لنفسى ، قبل أن يكون دفاعًا أمامه .

ـ النتيجة واحدة .. لا تنس أنه عرف ببقعتنا بمحض الصدفة وحدها .. أنا لم أعرفه عليها .. لو لم نتعاون معه لدك بقعتنا بقنابله منذ البداية .

فتذكر قائلًا بعصبية :

هل زوجتى وابنى مع الحشد ؟.

فقلت :

لست أدرى .

ردت أختى على أمل أن يعود بها .

ـ لم يبق فى المدينة من رجل أو امرأة أو طفل إلا واحتشد أمام منزل ذلك الشائه .. حتمًا قتلت النسخ الست .. ولم يتبق سوى ذى السير الجلدى .. لنعد لنحذرهم منه .. سوف يحصد المدينة حصدًا .

فقال :

ـ لا فائدة من المجازفة .. ألا تسمعين هدير الطائرة ؟ إنها على مقربة .. سوف يدمر المدينة بكاملها .. وليس الشارع الذى يقطنه .. لنخرج من أطراف المدينة .. ربما نجونا .

وانطلقت السيارة بسرعة شديدة .. ولم نكد نبتعد إلا قليلًا حتى

زنزلت الأرض زلزالها ، كادت السيارة المنطلقة بأقصى سرعة تنقلب ، كان الدوى شديدًا هائلًا .. لابد أنه يحمل آلاف الأطنان من المواد المتفجرة داخل طائرته .

ركنا السيارة فى أحد جوانب الطريق تحت أحد الجسور الأثرية .. ووقفنا مذهولين ، ننظر إلى تصاعد أعمدة الدخان تشق عنان السماء فولولت أختى .. أبنائى .. أبنائى .

أما أنا فلشدة خوفى ورعبى ، لم أشعر بالحزن على أحد ، كأن الأمر لا يعنينى .. لم أشعر به إلا بعد مضى فترة طويلة .

قال (ماريو) بصوت عال يخاطب نفسه .

ـ كل هذه الانفجارات عملها بمفرده ؟ أكان يختزن كل هذه الكمية من المواد المدمرة فى طائرته طيلة هذه المدة ؟ ألهذا لم يرض قط تدريب أحد على قيادة الطائرة ؟ ترى هل نجا أحد ؟

طبعًا .. لم يرد أحد على تساؤله .

كانت أختى تشهق .. والدموع تنهمر من بين مآقيها مدرارًا .

أوقف (ماريو) العربة . وذهب يبحث عن مكان مناسب يأوينا . عاد بعد قليل من جولته التفتيشية قائلًا :

ـ هناك حفرة صغيرة لمداراة العربة داخلها .. أما نحن فسوف ننام هنا .. ولكن المشكل الذى سنواجهه فى كيفية تدبر أمر الغذاء والماء .

قلنا بصوت واحد :

لا نريد طعامًا .. لا نريد طعامًا .

فقال بموضوعية :

ـ أنتما الآن لا تريدان طعامًا .. ولكن ماذا عن الأيام التالية .. اجلسا لنبيت ليلتنا .. ربما ينجو أحد من قومنا فيقضي عليه سنرى ما تسفر عنه الأحداث .

فقلت بأمل :

ـ إنه الآن بمفرده .. لولا هذه الطائرة اللعينة .

وتبخر آخر أمل لنا في نجاة أحد من قومنا بعد أن سمعنا في منتصف ليلتنا الأولى زلزلة الهجوم الثاني ، ثم زلزلة الهجوم الثالث قرابة الفجر .. إنه أفرغ حمولة ثلاث طائرات على القرية .

قال (ماريو) :

ـ إنه في حالة يأس دفعه إلى القضاء على كل الموجودين .

فردت أختي :

ـ حتى بدون يأس .. إن هدفه القضاء على كل الموجودين .. لقد كان مدبرًا أمر الخيانة مسبقًا .. رباه ماذا حل بنا ليتنا بقينا في بقعتنا .

فقلت ألوم نفسي قبل أن ينحيا باللائمة عليّ .

ـ إني السبب .. إني السبب .

لأول مرة مدّ (ماريو) يده وربت على كتفي ومسد شعر أختي في مواساة كان هو أحوج ما يكون إليها . قال :

ـ لا تفكرا في شيء الآن .. لنرتح .. فقط لنرتح ، كي يتيسر لنا تمعن الأمر بروية .

مكثنا فى تلك الحفرة لمدة أربعة أيام نقتات على جذور النبات البرية ونشرب من ماء منظف العربة حتى نفد .

أصابنا الهزال سريعًا ، وعلت أجسادنا الأوساخ ، لم يكن أى نبع أو مصدر آخر للماء قريبًا منا .

حتمًا إننا هالكون ، لو بقينا حيث نحن .. أخذنا نتدارس الأمر .

قالت أختى ، أو (ماريو) هو القائل لست أذكر .. قيل .

ـ لو كان موجودًا لسمعنا هدير طائرته .. انقطع تحويمه بعد هجوم الفجر .. قد يكون هلك مع الهالكين .. قد نجد أحدًا من قومنا حيًا يحسن بنا أن نعود وإلا متنا جوعًا وعطشًا .. إن ما ينتظرنا ليس أكثر سوءًا مما نحن فيه .

فى النهاية اتفقنا على العودة متسللين .. العربة لن تقلنا إلا لمسافة قليلة .. وفعلا توقفت بعد أن نفذ وقودها ، ومع ذلك فقد وفرت علينا بعض الجهد ولو قليلًا .

كنا نغذ السير ليلًا ونختبئ على جوانب الطريق نهارًا .. لقد التزمنا فى سيرنا بقايا الطريق المعبد ، كى لا نتوه فى الصحراء المترامية . وخرائب المدن الدائرة .

عند مشارف مدينتنا كانت حرارة النيران لا تزال تشع ، ولا أثر لحياة داخلها ، حتى الحيوانات القريبة من مشارفها وجدت متفحمة .

صرخت أختى جزعة .. وقد نكأت جراحها بشدة مناظر تلك الجثث المحترقة . لا أريد البقاء هاهنا ، قد يأتون لقتلنا ، لنأخذ بعض الطعام .. ولنهرب .

قلت أطمئنها .

- ومن الذى يأتى ؟.. لقد مات ستة من النسخ قبل عملية التدمير هذه ، وقد تكون النسخة السابعة لحقت بهم ، وحتى مع افتراض أن ذا السير الجلدى لا يزال على قيد الحياة .. فهو لن يقتلنا نحن بالذات .. لن يقتل أيًا منا نحن الاثنتين .. إنه فى أمس الحاجة إلينا .. فقط ليختفـ (ماريو) .. تعالى .. تعالى .. لندخل حطام المدينة ، سنفتشها ركنًا ركنًا .. علنا نجد أحدًا من قومنا .. أو حتى نجد جثة ذى السير الجلدى .. وعند ذاك ..

فأمن (ماريو) على حديثى .. وأردف :

سأذهب إلى منزلى .. إن كان به بقايا .. عودوا إلـى جولـة التفتيش ، عرفت أن الأمل يحدوه لوجود زوجته وابنه .. ولكن هيهات .. كان المنزل مثل غيره أطلالاً مهدمة لا يحتوى على أى أثر للإنسان حيًا أو ميتًا .

دخلت وأختى المدينة ، كانت الجثث ملقاة فى الشوارع .. وفى الأزقة وعلى مداخل البيوت المتهدمة .. يلوح واضحًا أن كل امرئ حاول الفرار ، ولكن بعد عملية الهجوم ، وليس قبلها كما فعلت أنا وقد أنقذت أختى لركضها خلفى ، كذلك كان واضحًا أن الهجوم الأول تركز على الحى الذى به منزلنا ، والذى كان يغص بحشد قومنا ، لذلك لم يسلم منهم أحد .

دخلنا منزلى قلت :

تعالى .. انظرى هذه هى ستة من جثث (الرجل المتعدد) ، برغم تفحمها ، إلا أنها تبدو واضحة المعالم .. ها هى أذرعهم خالية من السير الجلدى . يحسن بنا أن نواصل البحث عن جثته كى نطمئن .

فقالت بيأس :

من أدراك أنه مات .. لو كان بين الموتى لرأيت طائرته جاثمة في القريب من المدينة .. أو رأيت حطامها .

ـ أوه .. حقًا .. لم أفطن إلى ذلك لشدة رغبتى فى موته . فكرت أن الذى يقود الهجوم يدمر نفسه أحيانًا .. على أية حال نحن ثلاثة ، وهو واحد فى مقدورنا القضاء عليه لو نصبنا له كمينًا .

ـ قد يلقى علينا متفجرة ما .

ـ لن يفعل لن يمسنا بسوء .. نحن بالذات .. أنا وأنت سيفرح بنا .. لو لم يكن فى حالة يأس لما صب جام قنابله على المدينة . ولذا عندما يرانا سيفرح بنا لقد فهمت طرائق تفكيره .. الخطر يحيق (بماريو) .

لذا يجب عليه الاختباء ، عن الأنظار إلى حين التأكد من سلامة الوضع هنا .. قد يكون يجوب الأجواء بطائرته .. بعد أن دمر القرية .. وقد يكون اصطاد له إحدى فتيات القرية .. وهو مشغول بتوأمتها .. إذا لم يكن أى من الاحتمالين صحيحًا .. حتمًا سيعود ليتأكد من خلو القرية ، أو فى عملية بحث عن امرأة ما .. فى حال حضوره يجب أن نعرض نفسينا لأنظاره ، حتمًا سيفعم بالفرح لو رآنا .

ـ هل يغفر لك خيانته ؟.

ـ ليس فى وسع أحد التكهن بفهم نفسيته .. ولكن بناء على ما مضى من معايشته عن كثب .. لا شيء يتعارض مع مصلحته ، وهى تقتضى تناسى إساءتى إليه .. ألم يغفر لقومى قتلهم نسخته ؟! إنه الآن فى أمس الحاجة إلينا أكثر من ذى قبل .. علينا أن نظهر له كى نصطاده لو وجد .

ولكنه لم يظهر ، مرت سنة كاملة على الكارثة .. ولم يظهر فى خلالها ، رتبنا بعض أمور معيشتنا .. بدأنا بدفن الجثث وإحصائها ، كان العدد مطابقًا لما نعرفه من أعدادنا .. وهذه خيبة أمل جديدة منينا لها لعدم وجود أحد غيرنا ، كنا ندفن عشرات الجثث فى اليوم الواحد ، حتى خلت المدينة تمامًا فاستصلحنا بيتًا صغيرًا متواضعًا لسكنانا نحن الثلاثة . كان كل شىء متوفر فى المدينة الخربة الخاوية ، أو فى المدن المجاورة ، مثوى (المرأة المتعددة) سابقًا نستطيع جلب ما نحتاجه فى أحد العربات ، لم يكن ينقصنا الطعام أو الشراب أو الثياب ، لم نرغب فى استبدال مدينتنا بأخرى ، كنا نروم اصطياده .. ولكن كان جل خوفنا أن يظهر ذو السير الجلدى ويرى إحدى العربات تتحرك على أحد الطرق ، فيعرف أن الذى يقودها (ماريو) ، لأنه الذى دربه على قيادتها ، لذا تعلمت أنا أيضًا قيادة العربة تحسبًا لظهوره فى أية لحظة .. حسبنا كل شىء حسابًا ، ليس .. ثمة مجال للمجازفة ، بعد أن أصبح جارنا المنبوذ هو رجلنا الوحيد .. نسيت أن أقول إنه خلال هذه الفترة تزوجناه أنا وأختى .

لله فى خلقه شئون كما يقال قديمًا ، بعد طول نفور واستكبار ، رضخت للأمر الواقع ، قبلت الزواج من الرجل الذى احتقرته طويلًا ، وأهنته مرارًا وتكرارًا .

قالت أختى :

إنه الرجل الوحيد الموجود على سطح الأرض ، الذى يمكنه بناء الحياة الطبيعية من جديد ، برغم أن هذا الزواج مخالف لعقيدتنا كأختين ، ولكن للضرورة أحكامها كما يقال .. لنتزوجه معًا .

أجبت :

لا يدعو الأمر إلى محاولة إقناع .. إننى أعرف أنه لا معدى لنا عن ذلك .. لنتزوجه .

وهكذا بات جارنا مكروهًا وأصبح محبوبًا ولا هم لنا نحن الاثنتين إلا مراعاته ، وتدليله ، يفرض شروطه وينال مرضاته .

وحملت كل منا فى بطنها جنينًا .

ومضت الأيام طويلة مملة . وهى تمر بنا نحن الثلاثة .. أيام مغلفة بالصمت الموحش ، ولولا انتظار الحدث السعيد لكل منا ولولا تسجيلى لهذه الأحداث .. وانشغالى بكتابتها لمت كمدًا .

قلت لأختى .. ونحن نجلس على حافة أحد الطرق المتهدمة فى مدينتنا :

ـ آمل أن يكون ما نحمله فى أحشائنا جنسين مختلفين كى تستأنف الحياة مسيرتها . فإن أنجبت أنت الولد ، أنجبت أنا البنت .

فردت باقتضاب : .. أرجو ذلك .

لم نكد ننهى عبارتينا ، حتى صك سمعينا فى الأفق البعيد هدير طائرة مقبلة .. إن السكون الشامل يضخم الصوت ويوضحه ، لذا سمعنا هديرها وهى على مبعدة .

صرخت كلانا بزوجنا .. أن يختبئ .. وتراكضنا أنا .. وهى نلوح بخرقة بيضاء ، حتى قبل أن تظهر الطائرة للعيان .

ولكن ها هى بانت .. إنها تحوم فوق المدينة .. ضاعفنا جهدنا فى التلويح .. ولكن الطائرة غابت عن ناظرينا مرة أخرى .

انبرت أختى قائلة :

ـ سوف يجلب مواد مدمرة لإحراقنا .

قلت بثقة تامة :

ـ كلا .. لن يفعل .. سوف يعود .. إنه يقوم بجولة تفتيشية . بعد أن تأكد من ظهورنا .

فعلًا عادت الطائرة بعد ساعتين ، وحومت على ارتفاع منخفض ولكنها لم تنزل ، ثم ارتفعت لتختفى .

فى صباح اليوم التالى ظهرت من جديد ثم حطت على مقربة منا .

وفتح الباب ونزل .. إنه لم يخلع السير الجلدى عن معصمه ، إلا حين رآنى أنظر إليه .

قال وهو يطوح به إلى الأرض :

نسيته بحكم العادة .

ثم أردف :

لم خنتنى ؟

كانت مفاصل أختى تصطك ، ولكنه لم يعرها التفاتًا .

رددت عليه دون خوف .

ـ أنت أسبق إلى الخيانة .. ألم تقطع عهدًا إلى قومى أنك ستتعايش معنا بسلام ، دون أن تلجأ إلى توأمة نفسك .

انبرى قائلًا بصلافة لأول مرة أراها منه .

ـ الوفاء بالعهد سمة الجانب الأضعف دائمًا .. لا عهد ولا ميثاق لمن يملك زمام النقض .. إقرئى تاريخكم .. وأنت تفهمين ، لم يكن قومك فى يوم ما كفئًا لى .. وها أنت رأيت النتيجة .. إنها واحدة تدمير كامل لقومك .

ـ أكنت تضمر النية لتدميرهم ؟

ـ لم أكن فى يوم أكثر تصميمًا على تدميرهم من اليوم الذى فيه أبرمت ذلك الاتفاق . فكل ما هنالك إنى عقدت عزمى على تجنيبك

مشاعر الحزن ليس غير .. لم أكن أريد أن أتعسك .. ولكن ها أنت جلبت التعاسة لنفسك .. أردت أن أوفر لك قرونا عديدة من العمر المديد .. ليس خطأك وحدك .. لقد جانبنى الصواب عندما لم أقيم عواملك النفسية بصورة دقيقة .. دفعت ستة من نسخى ثمنًا لذلك .. أما بالنسبة لك فالنتيجة واحدة .. ما رفضته طوعًا سترفضينه بدون خيار .

فقلت فى محاولة لكسب الوقت .

ـ ولكنى سوف أفقد القدرة على محبتك وأحاربك .

انبرى ساخرًا .

ـ إنك تماحكين فى القول .. أو لعلك نسيت ما ذكرته لك سابقًا .

ـ لا أذكر شيئًا .

فقال بقسوة :

ـ لست أدرى لماذا تكذبين .. ولكن ها أنا أعيده عليك مرة أخرى ، إن كرهك إياى واستغناءك عنى لن يتولد إلا بعد قرون عديدة بعد تركيز شديد فى الجينات .. أكون خلالها وجدت طريقة للتعويض عن رحمك .. أنا من سيستغنى عن محبتك عندئذ .. سيأتى الرفض منى هذه المرة .. ولو حدث ولم أجد هذه الطريقة فمن السابقة التى مرت بى لن أدعك تعرفين الإنتاجية .. سوف أقيدك . وأكبل قدراتك .. ستكونين تابعة لى كما كنت دومًا .. سأعيد زمنك السابق .. زمن الحريم .. لن تعرفى أيًا من العلوم والمعارف ، سأضرب ستارًا من الجهل ليغلف عقلك .. وهكذا لن تعرفى كيفية توأمة نفسك .. سأدع الأمر متوقفًا على كليًا .. ستكون لك نسخة مقابل كل نسختين لدىّ .. وكذلك أختك البلهاء سأفعل بها ما أفعله معك .. إننى الآن منفرد .. وأخشى على نفسى التلف ، بعد أن أفقدتنى من جراء خيانتك القذرة توأمى الستة ، الذى نشكل احتياطيًا لبعضنا البعض . لعلك تريدين أن تعلمى ، أن النسخة التى التقت بك فى البقعة ، كانت ضمن الستة الذين ماتوا ،

ولكنك لم تفطنى إليها عندما كنت أرتدى أنا السير الجلدى .

ضحك بسخرية وتابع .

ـ يحسن بنا الإسراع فى عمل التوائم .. الآن أنت وأختك أصبحتما ملكًا لى .. سوف أتوئمك لأزوج نسخك من نسخى . وأدع أختك تحمل توائمى .. ثم أعمل العكس .. فيكون عندى زوجتان فى آن واحد ، وهذا أدعى إلى انشقاقكم فيما بعد .. هيا اركبا الطائرة .

ثم قبض على ذراع كل منَّا وأخذ يدفعنا .

فصرخت أختى وهى تحاول الإفلات :

ـ لا تستطع ذلك .. لا تستطع ذلك .. إننا نحمل أجنة فى بطنينا .

توقف مبهورًا .. ماذا أيوجد رجال معكم ؟

فصرخت أسبقها فى الحديث :

ـ ذلك قبل عملية التدمير التى قمت بها ، شدد من قبضته على معصمى . وأخذ يدفعنى معها نحو الطائرة بسرعة أكبر ، وهو يقول غاضبًا :

ـ إنك من يكذب .. كنت زوجة لى حينها .. لنهرب قبل حضورهم .. سوف أجهضكما .. لنبدأ من جديد .

أخذنا نحاول التملص ، ولكنه كان أقوى منا .. استعمل كل ما فى يديه من قوة وشراسة ، فى دفعنا نحو الطائرة .

لم يبق بد من ظهور (ماريو) لإنقاذنا .

فلو ركبنا الطائرة ، فلن يستدل علينا قط .

لذا أخذنا نصرخ بأعلى صوتينا ، كى يهب إلى نجدتنا .

ظهر (ماريو) من باطن الدار راكضًا يحمل معولًا زراعيًا ..

ففوجئ ذو السير الجلدى بهجوم مباغت ، ولكنه كان مسلحًا .. حاد بسرعة عن الضربة الموجهة إلى كتفه ، وأخرج مسدسه مطلقًا عدة رصاصات .. أصابت واحدة منها جبين (ماريو) فخر صريعًا متكومًا عند قدميه ، فرفسه هذا ، وركض يريد الإمساك بأختى ، التى كانت تركض مبتعدة بما وسعها من سرعة .

التقطت أنا المعول الذى سقط من يد (ماريو) ، وركضت خلفهما ، ضربت ذا السير الجلدى على مؤخرة رأسه فى اللحظة التى أطبق بكفه على كتف أختى ، محاولاً إركاعها ليتمكن من السيطرة على مقاومتها ، فترنح وسقط تحت قدميها ، ابتعدت عنه ، وقد خارت قواى تمامًا ، ولكن أختى سحبت المعول من بين يدى ، وأخذت تضربه مرات متوالية حتى هرسته تمامًا ، وكأنها تفرغ كل شحناتها من غضب السنين التى مرت فى تلك اللحظة المروعة .

تراكضنا أنا وهى إلى زوجنا ، فى محاولة لإسعافه ، ولكن ليس ثمة فائدة .. لقد فارق الحياة .

جلسنا عند رأسه ننتحب .

ثم وارينا الرجلين التراب .

وعند عودتنا إلى المنزل ، قالت أختى :

ـ لقد خلا العالم من الرجال .

لكثرة ما عانينا من الام جمة ، ومصائب وأهوال . قست أفئدتنا ، لذا فقد سيطرنا على الحزن الأخير بأسرع مما كنت أتحسب له .. لقد وطدنا النفس على تقبل الوضع الجديد .

قلت لأختى أردد مقولتها قبل أيام .

لقد خلا العالم من الرجال .

ثم بصورة مفاجئة ، مرت كل منا بيدها على بطنها بتوارد خواطر فريد .. قلت :

ـ من يدرى ما جنس الطفلين .. كان قديمًا يعرف جنس الجنين من جهاز يدعى السونار .. ولكن الآن لا شىء حضارى كل شىء خراب فى خراب .

فردت أختى متمثلة بحكمة عربية قديمة :

ـ إن غدًا لناظره قريب .. سوف نلد ونعرف .

بعد ثلاثة شهور من الكارثة الأخيرة ، وضعت أختى طفلة جميلة أسمتها (بشرى) .

قالت بعد أسبوع من ولادتها .

ـ اسمعى يا (منى) ، لو وضعت أنت ولدًا ليكن اسمه (بشير) .. أظن أنى لن أشهد مولده .. لقد فقدت قوتى لا قدرة لى على المقاومة أكثر من ذلك .. أشعر أن الحياة تهرب منى .

فقلت جزعة .. وقد تخيلت نفسى فريدة فى هذا العالم الخرب :

ـ أرجوك .. لا تقولى هذا .. بل لا تدعى شيئًا كهذا يخطر ببالك

واحتضنتها أقبلها . قائلة لصرف ذهنها عما نفكر فيه :

ـ وإن أنجبت بنتًا .. ماذا أسميها ؟

فقالت بأسى أشد :

ـ لا داعى لتسميتها .. فعلى الدنيا السلام .

ثم أردفت وهى تربت على خدى .

ـ كنت سيئة الظن بك دومًا .. لم يخطر ببالى أن تقفى من الرجل الذى أحببته بكل كيانك هذا الموقف من أجل قومك .

فقلت :

ـ ومن أجل أمى التى أودعتنى كل ثقتها .

ثم أردفت وقد واتتنى لحظة ضعف أجبرتنى على الاعتراف :

ـ أتعلمين يا (ليلى) .. إننى لا زلت أحبه ، برغم حقدى الكبير عليه لغدره .. وإنى لم أحب غيره قط ، مهما بدا لك من طيش سنى المراهقة التى شهدتها .. وإلى الآن لو امتلأ العالم كله بالرجال ، لن تهفو نفسى إلى أحد غيره .

فقالت بتفهم :

ـ هذا يجسم حجم التضحية التى قدمتها .

ثم مدت يدها تتحسس بطنى .. وكأنها تريد صرف ذهنى عن التفكير .

قالت بابتهال : أرجو أن يكون صبيًا .

فقلت ضاحكة فى محاولة منى للتسرية عنها ، وقد شعرت بأنى آلمتها باعترافى ذاك .

ـ إن هذين الطفلين عربيان مسلمان ، لو كان ما فى أحشائى صبيًا سيعاود بناء الحياة على أكتاف العرب المسلمين . لذا لن نعلمهم سوى اللغة العربية والدين الإسلامى .. أنا سأقوم بعبء تعليمهما . وأنت تتولين عبء تهيئة وسائل العيش لنا نحن

الأربعة .

فقالت بابتسامة كئيبة :

ـ ولكنهمـا نصف عربييـن ، نصف مسلميـن .. أنسيت أن أباهما ؟ من سيرال .. نحن أيضًا نصف عربيين وإن اعتنقنا دين أمنا ، وعرفنا لغتها .

فعاودتنى رغبتى القديمة فى الجدل ، فقلت :

هل تعتقدين أن القومية كيان معنوى حقيقى ؟.. إنها اصطلاح وتربية .. إن سلامة الإنسان هى الكيان الحقيقى .

ـ إذن لماذا تريدين تعليمهما اللغة العربية ؟.. ألا يدل هذا على انحيازك ؟

ـ قطعًا يحمل كل الدلالة على انحيازى ، لموروثى التربوى .. ولكنه لا يد له على الحقيقة البحتة المجردة .. ولكن طالما أنى صاحبة الخيار . فلا خيار يرضى عواطفى ، أما فى الواقع فليس مهمًا أية لغة يتعلمها الطفلان .. المهم أن يسود العالم لغة واحدة ، ودين واحد ، كى يعم السلام .. فلا نزاع من أجل القومية ، ولا اختلاف من أجل الدين .. خالق هذا الكون يُعبد فقط .

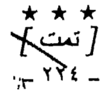
ـ أتظنين أن اختلاف الدين والقومية هما سبب مشاكل العالم القديم .

ـ اختلاف الدين والقومية .

وكما توقعت أختى ، لم يطل بها العمر . فقد قضت نحبها بعد شهر من ولادتها الطفلة ، بحمى النفاس .

لقد خلا العالم تمامًا حولى ، إلا من هذه الطفلة المسكينة التى أصبح لزامًا علىّ ، العناية بها .

وكانت تغذيتها من أهم المشاكل التى واجهتنى ، كم تمنيت أن ينقضى الشهران الباقيان من حملى ، كى أستطيع إرضاعها بعد ولادتى وها أنا فى كل مساء .. أرقب معها غروب الشمس جالسة على حافة الطريق فى كون يشمله السكون ، وهى فى حضنى تخربش الهواء بيديها الصغيرتين ، ولا أنيس لى سواها ، كان الله فى عونى .







المؤلفة
طيبة أحمد الابراهيم

انقراض الرجل

ان قصة « انقراض الرجل » هي القصة الثالثة في مجال الخيال العلمي ، لنفس المؤلفة . وذلك بعد قصتي « الانسان الباهت » و « الانسان المتعدد » كما انها نتيجة حتمية الى ما تؤول اليه مسيرة الحياة في قصة « الانسان المتعدد » التي تعتبر هذه الاخيرة ركيزة علمية لقصة « انقراض الرجل » ، بالاضافة الى توالي الأحداث والشخوص .

